# دولة مالي الإسلامية

## دراسات في التاريخ القومي الإفريقي

تأليف

دكتور إبراهيم علي طرخان



# دولة مالى الاسلامية

## دراسات فى التاريخ القومى الافريقى

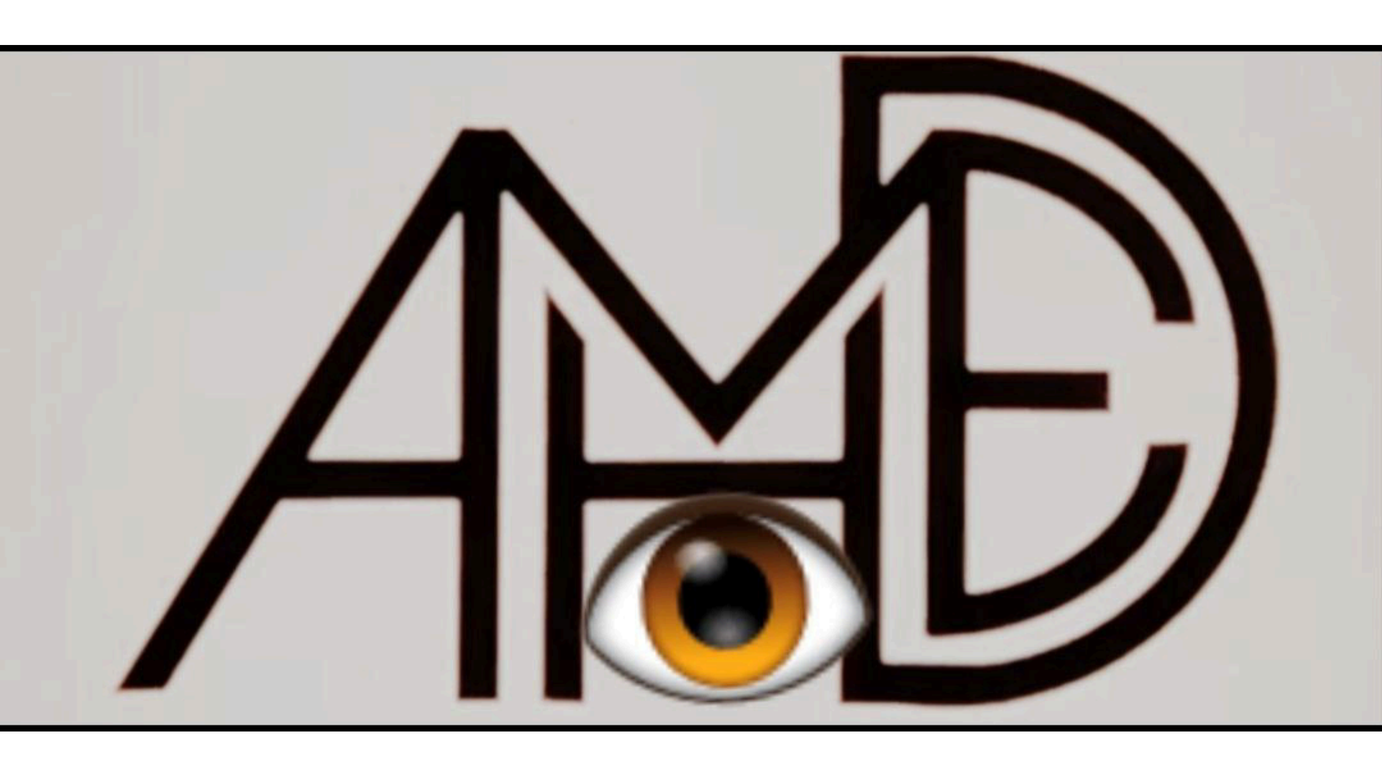
تأليف

دكتور ابراهيم على طرخان

استاذ كرسى العصور الوسطى ورئيس قسم
التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة بالخرطوم



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٣



بسم الله الرحمن الرحيم

# مدخل

**تاريخ مالي جزء من تاريخ غربي أفريقية ــ الامبراطوريات التاريخية في غربي افريقية ــ غربي افريقية أو السودان الأوسط والغربي جغرافيا ــ قدم الحضارة ــ الآثار المصرية والشرقية ــ الاسلام والعصر الذهبي في الحضارة القومية لغربي افريقية ــ مصادر التاريخ : الرواية الشفوية والأساطير المتداولة وقيمتها العالمية ــ ما كتبه القدماء من الاغريق والرومان ــ المصادر العربية الاسلامية : ما كتبه العلماء المسلمون الأجانب ــ ما كتبه السودانيون • ماكتبه الأوربيون : السجلات والوثائق البرتغالية ــ الكتب الاوربية الحديثة ــ الآثار المكتشفة حديثا .**

تاريخ مالى جزء من تاريخ غربى افريقية ، وهو الموضوع الذى أخذت نفسى بدراسته ، منذ وطأت قدماى أرض الجمهورية السودانية فى أغسطس من عام ١٩٥٦ م ، بل قبيل هذا التاريخ ، وقد أتيحت لى الفرصة لأن أبحث فى مكتبات الخرطوم ومؤسساتها العلمية ، فضلا على مكتبات ومؤسسات جمهورية مصر العربية، وأن ألتقى بكثير من مهاجرى غربى افريقية المستوطنين بالسودان ، فضلا على أعضاء البعثات العلمية منهم ، طلابا وأساتذة ، ومنهم الفولانيون والهوسا وأهل غمبيا المسلمون •

كان مشروع هذا البحث يقضى باخراج كتاب واحد فى التـــاريخ القومى لغربى افريقية ، غير أنه عندما اتسعت جوانب هذا البحث ، لم يعد كتاب واحد يكفى لاستيعاب تاريخ هذه البقعة من القارة ، اذ كشـــفت الدراسة عن وجود عدد كبير من الدول أو الامبراطوريات القومية التى قامت بدورها التاريخى ، وذلك قبل عصر الاستعمار ، لذلك قضى البحث باخراج كتاب مستقل لكل دولة . وليس من العجيب أن كان التـــاريخ القومى الافريقى لتلك البلاد ــ ابان مجدها وعزها ــ قبل عهد الاستعمار جزءا من التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، فى شتى مظاهرها .

لقد وجدت هذه الدول كلها فى عصر واحد تقريبا ، غير أن الشــهرة والعظمة والسيادة العامة ، قد تبودلت بين أكبر هذه الدول ، واحدة بعد الأخرى ، وأول هذه الدول وأقدمها دولة غانة أو امبراطورية غانة ،وبظهور مالى ، اختفت غانة ، كما اختفت امبراطورية الصـــوصو ، وكانت دولة التكارورة فى حوض السنغال الأدنى قائمة فى القرن الحادى عشر ، وكذلك قامت دولة صنغى فى أواسط النيجر ، وعندما ضعفت مالى ، برزت قوة صنغى ، وفى الوقت نفسه كانت امبراطورية الكانم والبرنو تنمو حول بحيرة تشاد ، وأسس الفولانيون أكثر من دولة ، وكذلك أقام الهوســـا أكثر من دولة ، اشتهرت فى التاريخ باسم دول الهوسا السبع ، وذلك فيما هو نيجيريا الحالية .

شهدت أغلب هذه الدول الكشوف الجغرافية وحركة الاستعمار الأوربى ، التى طوت صفحة التاريخ القومى لتلك البلاد . من هذه الدول ما عاصر الكشف الجغرافى وبداية الحركة الاستعمارية كما هو الشـــأن بالنسبة لدولة مالى ووريثتها فى القرن السابع عشر الميلادى ، وهى الوريثة التى قضى عليها الاستعمار الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، ومنها ما شهد الكشف والاستعمار زمن عظمتها مثل دولة صنغى ، ومنها ما اصـــطدم بالاستعمار اصـــطداما طويلا ومريرا كمـــا وقع لامبراطوريات البرنو والفولانيين والهوسا والتكارورة .

❋ ❋ ❋

قامت هذه الدول فيما هو معروف بالسودان الأوسط والغربى أو غربى افريقية ، وحدود هذه المنطقة ، من بحيرة تشاد شرقا الى ســاحل المحيط الأطلسى غربا ، قرب الرأس الأخضر ؛ وتقع هذه المساحة بين خطى عرض ٩ درجة ، ١٧ درجة شمالا تقريبا ، على أنها لم تشغل من هذه المساحة سوى أراضى السافانا التى تلى منطقة الغابات الاستوائية الساحلية ، وتمتد

منطقة السافانا الى حوالى ٦٠٠ أو ٧٠٠ ميل الى الشمال حيث يقل المطر الى نحو ١٥ بوصة أو أقل ، عندما تبدأ الصحراء ·

ومساحة غربى افريقية نحو ٤ر٢من مليون الميل المربع أىحوالى مساحة المملكة المتحدة ٢٥ مرة ، ونحو $\frac{5}{4}$ مساحة الولايات المتحدة الامريكية ، وتقدر المسافة بين طرفى هذا الاقليم الشرقى والغربى بنحو المسافة ما بين موسكو ولندن ·

وليس من المعروف متى بدأ سكن الانسان فى غربى أفريقية ، والمشهور أن هجرة الزنوج الى تلك البقعة من القارة ترد الى زمن موغل فى القدم ، وأن هؤلاء الزنوج نجحوا فى تنظيف بعض المساحات من الغابات وزرعوها ؛ والمعروف كذلك أن موجات من الهجرات البشرية الاخرى المتتابعة وصلت الى غربى افريقية من البربر من بلاد المغرب ، ومن وادى النيل ومن الشرق عامة ، وساعد دخول الجمل فى افريقية منذ نحو خمسة قرون قبل الميلاد ، على كثرة الرحلة وسهولة النقلة ·

ولقد أطلق العرب كلمة « السودان » ، وأرادوا بها أصحاب البشرة السوداء بصفة عامة ، ويشمل هذا المصطلح جغرافيا ما عرف باسم الحزام السودانى الممتد فى قلب القارة الافريقية من الشرق الى الغرب ، ولكن هذا المصطلح — كما عناه العرب — يكاد ينصب على سكان غربى افريقية — لأن للعرب أوصافا أخرى لأصحاب البشرة السوداء فى غير هذا الجزء من القارة ·

فالاصطخرى ، مثلا ، يصف بلدان السودان بأن سكانها ليسوا « بنوبه ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجه ، الا أنهم أشد سوادا من الجميع وأصفى » ·

ويصف أبو الفداء التكاررة بقوله : « أنهم أشبه الناس بالزنوج » وكذلك فعل ياقوت الحموى وغيره ·

أما النوبة والحبشة ، فهما تسميتان اطلقهما العرب على سكان بلاد النوبة جنوبى مصر وشمالى جمهورية السودان الديمقراطية ، وعلى سكان الحبشة . وأما العناصر السوداء الأخرى ، المقيمة فى الجهات الافريقية الأخرى ، فقد ميزها العرب بأسماء أخرى ، مثل « الزنج » سكان جنوبى شرقى الحبشة وبعض بلاد ساحل افريقية الجنوبى الشرقى ، ونسبوا غربى المحيط الهندى اليهم ، فقالوا عنه : « بحر الزنج » .

ظل التاريخ القديم لغربى افريقية غامضا حتى عهد قريب، حين كشفت البحوث الأثرية الحديثة عن حضارات وطنية قديمة ، وجـدت فى بعض أجزاء هذه المنطقة ، ودلت على أن تلك البلاد لم تكن من البربرية والتوحش والهمجية على النحو المتصور ، أثبتت هذه الكشوف الأثرية أن حوض النيجر كان مركز نشاط ومدنية منذ أقدم العصور ، وهناك اعتقاد بأن أقدم الصناعات الأوربية التى ترد الى العصر الباليوليتى ـ العصر الحجرى القديم ـ جاءت من افريقية عن طريق البر ، ويقـول بعض كتاب الغرب ان صناعة الحديد قديمة فى غربى افريقية ٠

والثابت كذلك ، أن الأثر الشرقى عامة ، والمصرى بصفة خاصة ، بارز فى حضارة غربى افريقية ، وأن هناك صناعات ونباتات وحيوانات مستأنسة قد نقلت من وادى النيل الى غربى افريقية (١) ، وقد عثر على بعض المصنوعات الفخارية والمصنوعات الحديدية فى منطقة اليوروبا ، كما عثر على رءوس تماثيل وعلى سبائك نحاسية فى مدينة أيف Ife ، ومنها تطورت صناعة البرنز فى بنين Benin ، وليس من شك فى أن مثل هذه المخلفات تدل على درجة متقدمة من الحضارة منذ القدم ، فضـلا على الأثر الشرقى عامة ووادى النيل بوجه خاص ٠

على أن أحدث الآثار الشرقية ، وأبرزها فى مدينة غربى افريقية، هى التى ترد الى عصر الاسلام ، حتى ان العالم الأوروبى ، ظل لبضعة قرون يعتقـد أن بلاد السودان عامة والصـحراء فى شـمالها ليست سوى جزء من العالم الاسلامى ٠

لقد اعتنق معظم سكان الحزام السودانى الاسلامى بحماسة ، وعن طريق الاسلام دخل قدر كبير من المدنية والعـلوم الاسلامية ، بجـانب مظاهر الحياة الشرقية ٠

يقول الرحالة منجو بارك M. Park :

« لقد عمل الاسلام على تطوير بلاد الزنوج ولا يزال يعمل » ٠

ويقول القمص ستانلى Dean Stanley

« لا يمكن أن ننسى أن الاسلام هو الديانة السامية الوحيدة التى أدت الى تقدم وتطور قارة افريقية الواسعة » ٠

---

(١) Johnston, H.H., A History of the Colonization of Africa, by Allien Races, pp. 19-20.

وبرز في رحاب الاسلام ، بتلك البلاد ، عدد كبير من العلماء الافريقيين الوطنيين ، وهؤلاء كتبوا باللغة العربية في شتى فنون المعرفة ، ومن بينها التاريخ القومي لبلادهم ، ثم بالاسلام ظهرت هذه الامبراطوريات الوطنية ، التي ناضلت ضد الاستعمار الاوربي ، اذا لم يخطىء الكاتب الفرنسي جوي Gouilly حين قال :

« انه بالاسلام ، يبدأ العصر التاريخي لافريقية السوداء »(١) والمقصود بالعصر التاريخي هنا ازدهار الحضارة الافريقية القومية الاسلامية . والحق أن العصر الذهبي في تاريخ افريقية الغربية القومي ، أو تاريخ السودان الأوسط ، بمعنى آخر ، هو العصر الوسيط ، ففي ذلك العصر ، برزت الخصائص المميزة للحضارة الافريقية الوطنية في تلك البلاد ، وقامت حكومات ونظم ادارية متقدمة ، ويمثل الاسلام القوة الدافعة المحركة التي خطت بالحياة الانسانية في غربي افريقية ، تلك الخطوات الحضارية القوية ؛ والاسلام هو الذي أمد هذه البلاد بالمعارف المختلفة من آداب وعلوم وفنون ، كما أمدها بوسائل المعرفة من علماء ومدارس وجامعات .

ففي الحقبة منذ نحو القرن الاول الهجري ( السابع الميلادي ) الى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري ( السادس عشر الميلادي ) حفلت بلاد السودان الأوسط والغربي بالآلاف من العلماء المسلمين الوطنيين والمستوطنين ، ومن الرحالة والتجار المسلمين ، من شتى أصقاع العالم الاسلامي : من المشرق ووادي النيل بصفة خاصة ، ومن بلاد المغرب العربي ، كما سافر عدد كبير من المسلمين الوطنيين في غربي افريقية لأداء فريضة الحج وطلب العلم في الأزهر وفي مكة والمدينة ، وفي القيروان وفاس ، وقد نهضت مراكز العلم والثقافة بتلك البلاد التي أمها المسلمون الافريقيون ، بما ينبغي عليها من الوفاء الذي سجله التاريخ من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال والاقامة وتيسير سبل العلم ، وهذا بجانب المصالح التجارية ، بل اختلطت دماء الافريقيين السود بدماء غيرهم من المسلمين ، مما زاد في الرابطة ووثق في العلاقة .

أدى هذا كله الى تجاوز شهرة المدن الافريقية الزاهرة ، حدود القارة ، وبدأ العالم الخارجي في أوربا وغيرها يسمع عن هذه المدن أمثال : كومبي صالح ومالي وجني وتنبكت وولاته وتكده وونقاوه ، ولقد فاقت

---

(١) Gouilly, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 50.

حضارة هذه البلاد حضارة معظم بلاد أوربا المعاصرة ، اذا كانت حضارة المدن الافريقية على صلة وثيقة بأرقى الحضارات الانسانية المعاصرة، وهى الحضارة الاسلامية .

***

من هذا يتضح أن أهم السجلات والمدونات والمصادر التى يرجع اليها فى تاريخ غربى افريقية عامة ، هى المصادر العربية ، سواء كتبها العرب من الجغرافيين والمؤرخين والرحالة والتجار، وهى كثرة لم تحصر بعد ، أو كتبها الوطنيون الافريقيون (١) .

ويمكن تلخيص مصادر التاريخ الافريقى جنوبى الصحراء فى الوقت الحاضر فيما يلى :

## أولا :
## الرواية الشفوية

وهذه يتناقلها الوطنيون فى غربى افريقية ، وهى من غير شك لها قيمتها ، فان الافريقيين يحتفظون بذكريات وقصص وأخبار متواترة ، ومع أن الكثير منها أسطورى ، يرجع الى تقاليد دينية أو دنيوية قديمة ، وفيه الخيال ، وفيه الخرافة ، الا أنها لا تخلو من قدر من الحقيقة التاريخية .

وهناك رواة للأسر الكبيرة يحتفظون بتاريخها وأخبارها وما يتعلق بها من قصص وأحداث ، ويعرف هؤلاء الرواة فى مالى باسم ديالى Dyali يوجد لكل أسرة كبيرة واحد من هؤلاء ، مهمته حفظ كل ما يتعلق بتاريخ الأسرة ، من سجلات وأخبار متواترة ، ويتعين على هذا الشخص أن يكون ملما دائما بأمجاد الأسرة التابع لها ؛ وكان هؤلاء على درجة كبيرة من سعة المعرفة وتنوعها ، فضلا على المقدرة على أدائها .

وبمرور الزمن ، يصيب هذه الأخبار التحريف والتغيير والمبالغات جيلا بعد جيل ، كما أن هذه الاخبار والروايات قد لا تدل على شيء لأنه يحدث أن تستعير أسرة من الأسر أو قبيلة من القبائل أخبار وأساطير

---

(١) انظر الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٣١ وما يليها .

أسرة أو قبيلة أخرى مشهورة ، وتنتحلها لنفسها ، لما فيها من شرف أو بطولة أو رواء .

والملاحظ ، أن الشخصيات التاريخية البارزة ، هى التى تحاك حولها الأساطير ، مثل مغامرات سنديا أو مارى جاطه ، البطل القومى فى مالى ، ولكن هذه الأساطير لا تحاك حول نكرات .

وبالفحص والدراسة والمقارنة والقياس ، يمكن تنقية هذه الأخبار من الجوانب الأسطورية فيها ، واستخلاص قدر كبير من المعلومات التاريخية ، مما يلقى ضوءا على أحوال تلك الشخصيات أو الجماعات .

وقد أفرد بعض المحدثين من الكتاب فصولا طويلة فى بحث هذه الأخبار الشفوية والاسطورية ، منهم : آدمز وأرنو ودولافوس ومونتى وتوتا ولانزاك ؛ ومما كتبه دولافوس ، مثلا ، كتاب ترجمه عن مخطوطة عربية وأصدره تحت عنوان :

Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental, Paris, 1913.

## ثانيا :

## ما كتبه القدماء من الاغريق والرومان

نقل هؤلاء وسجلوا ما سمعوا أو شهدوا أو قرءوا فى رحلاتهم ودراساتهم ، أمثال هيردوت ( ت ٤٥٠ ق . م ) وبوليبيوس ( ت ١٤٠ ق . م ) وبلينى الكبير ( ت حوالى ١١٥ م ) .

ومن الرحلات القديمة التى دون هؤلاء أخبارها ، رحلات الفينيقيين ، مثل الرحلة المشهورة التى تمت بتكليف من فرعون مصر نخاو الثانى حوالى عام ٦٠٠ ق.م ، وهى الرحلة التى طافت حول افريقية ؛ ورحلة هانو Hanno القرطاجنى حوالى عام ٥٢٠ ق . م ، وقد وصل فيها الى مصب نهر السنغال ، وتجاوز هذه المنطقة الى مصب نهر غمبيا ومنطقة سيراليون ، وأنشأ مراكز فينيقية على ساحل غربى افريقية ، وقص ما شاهده بعد عودته ، ولأخبار هذه الرحلة أهمية خاصة ، فيما روته عن « التجارة الصامتة » .

ومن الرحلات البرية فى أقليم غربى افريقية ، رحلة قام بها خمسة فتية من المغامرين البربر من النسوميين Nasomenes عبروا فيهـــا الصحراء الكبرى الى منحنى النيجر عن طريق فزان ، عند موضع مدينة تنبكت ، حيث شهدوا السكان ولمسوا حسن معاملتهم ، وعادوا .

أورد هيرودوت أخبار هذه الرحلة ، وعنها عرف اتجاه نهر النيجر الحقيقى ، وقال : انه يسير من الغرب الى الشرق ، وقال أيضا : انه ملىء بالتماسيح .

أما بوليبيوس الاغريقى الآخر ، فقد رحل فى شمالى افريقية حوالى عام ١٤٠ ق٠م ، ومع انه لم يتجاوز شمالى افريقية ، الا أنه دون ما سمع من أخبـــار متواترة عن نهر السنغال ، وأطلق عليه اســـم بامبـــوتس . Bambotus وقال : انه ملىء بالتماسيح وأفراس النهر الضخمة .

كذلك قام الرومان بجهود فى كشف الصحراء ، منذ انتصارهم على قرطاجنة ، فتوغل قادتهم فى الصحراء جنوبا ، ويقال ان القائد الرومانى سبتموس فلاكـــوس Sep. Flaccus وصل حوالى عام ١٩ ق ٠ م الى حدود بلاد السودان ، وأن رحلته استغرقت ثلاثة شهور ، وانه استخدم الجمل فى هذه الرحلة .

والرومان هم الذين أطلقوا اســـم النيجر عليه ، فان بلينى الـــكبير سماه : Ni-gin ومعناه « نيل الأجناس السوداء » ، ومن هذه التسمية اللاتينية ، اشتق كتاب العصور الوســـطى فى أوربا اســـم نيجرتيا Nigritia ، وعنـــوا به كل أقليم غربى افريقية .

ومثل هذه المعلومات التى أوردها القدماء ، وهى على سبيل التمثيل لا الحصر ، لها من غير شـــك قيمتها فى التعريف بتاريخ بلاد السودان الأوسط والغربى .

## ثالثا :
## المصادر العربية الاسلامية
### ( أ ) ما كتبه المسلمون الأجانب

وهؤلاء كثرة ، فمن مؤرخى القرن العاشر الميلادى : المسعودى ( ت ٩٥٦ م ) وابن حوقل ( ت ٩٦٨ م ) ، وتعتبر المعلومات التى أوردها

ابن حوقل ، أقدم معلومات كتبها عالم عربى مسلم عن السودان الغربى ، فقد زار هذا الرحالة المسلم أودغست وكومبى صالح عاصمة غانة ، ورأى النيجر ، وعرف أنه يســـير من الغرب الى الشرق ، واعتقد أنه امتداد لنيـــل مصر .

وفى القرن الحادى عشر الميلادى ، كتب البكرى ( ت ١٠٩٤ م ) أول محاولة للوصف العام لأحوال تلك البلاد .

ومن علماء القرن الثانى عشر : الادريسى ، وهو عربى اسبانى ولد فى مدينة سوتا عـــام ١١٠٠ م ، ورحل فى أســبانيا وافريقية وآسيا الصغرى ، ثم دعاه روجر Roger الثانى النورمانى أمير صقلية .

وتحت رعايته ، أخــرج الادريسى كتــابه عام ١١٥٤ م وعنوانه : « كتاب نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق»، ونسب هذا الكتاب الى روجر، ويعد من أهم الكتب الجغرافية بعد كتاب المسعودى. كذلك كتب أبو حامد الأندلسى الملقب بشيخ عبدالله (ت ١١٧٠م) عن تاريخ وأحوال افريقية فى كتابه : تحفة الألباب .

وفى القــرن الثالث عشر : ياقوت الحموى الرومى ( ت ١٢٢٩ م ) وابن سعيد ( ١٢٨٦ م ) ، وكتابات الأخير مفقودة ، لكن الكثير منها عن بلاد السودان ، ورد فيما كتبه أبو الفداء والقلقشندى وغيرهما .

وكتب عن بلاد السودان فى القرن الرابع عشر مؤلفون كثيرون منهم : ابن أبى زرع ( ت ١٣٢٦ م ) صاحب « الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب » ، وأبو الفداء (ت ١٣٣٢ م) والعمرى (ت ١٣٤٨م) وابن بطوطة ( ت ١٣٦٩ م ) وابن كثـير ( ت ١٣٧٢ م ) وابن خلدون ( ت ١٤٠٥ م ) .

ومن أهــم مؤرخى القــرن الخامس عشر الميـــلادى : القلقشــندى ( ت ١٤١٨ م ) والمقريزى ( ت ١٤٤١ م ) وابن حجر ( ت ١٤٤٨ م ).

على أن أهم كتاب القرن السادس عشر الميــلادى : حسن بن محمد الوزان ( ولد حوالى عام ١٤٩٣ م ) وهو من أسرة مغربية شريفه ، أشتهر باســـم ليـــو الافريقى Leo Africanus ، كان قد وقع أسيرا فى أيدى المسيحيين قرب تونس ، فأهدوه الى البابا ليو العاشر ، فحوله الى

المسيحية ، واطلق عليه أسمه Giovani Leoni ، لكنه اشتهر باسم ليو الافريقى .

كان مع ابن الوزان مسودة كتابه باللغة العربية عن «تاريخ ووصف افريقية وأشهر مافيها من عجائب » وقد أتمه باللغة الايطالية بعد وفاة البابا بثلاث سنوات ، ومعلوماته أول معلومات دقيقة وافية عن قلب افريقية ، كان ليو قد زار امبراطورية صنغى الاسلامية ، وهى فى ذروة مجدها وقوتها ، وذلك حوالى عام ١٥١٠ م ، ووصفها كما وصف مالى وغيرهما . وعلى أساس معلومات ليو، وضعت الخرائط التى ظهرت فى آوربا عن أفريقية والعالم ، فجاءت أوضح وأدق من الخرائط التى سبقتها.

ولكتاب ليو ترجمات باللغة اللاتينية والفرنسية والانجليزية ، كما أن له عدة طبعات باللغة الايطالية ، وأول ترجمة انجليزية لكتاب ليو ــ فيما أعلم ــ ظهرت فى لندن عام ١٦٠٠ م ، وهذه أصدرها جون بورى John Pory.

وفى القرن السادس عشر ، أشار السيوطى ( ت ١٥٠٥ م ) الى ظهور سره على ( ت ١٤٩٢ م ) ملك صنغى الاسلامية ، والتقى السيوطى بأعظم أساكى ــ أى ملوك ــ صنغى فى القاهرة ، وهو أمير المؤمنين أسكيا الحاج ( ت ٩٥٣ هـ = ١٥٢٩ م ) خلال رحلة حج ملك صنغى ، وفى القاهرة ناقشه السيوطى وتنبأ له بعظم ملكه ، وأصبح أسكيا من أعظم أصدقاء السيوطى ، حتى قيل ان أسكى كان لا يقبل على ابرام أمر هام فى مملكته الا بعد التشاور مع السيوطى .

والواقع أن عبد الرحمن أبا بكر السيوطى ، كان يتمتع بمكانة رفيعة فى غربى افريقية عامة ، وقد زار بلاد الهوسا ، ومدينة كشنه Katsina بصفة خاصة ودرس فيها (١) ، وكان صديقا لساركس Sarkis ــ أى ملك ــ كشنه وهو ابراهيم ماجى من أسرة كومايوه Kamàyo ، ويقال انه ألف كتابا سماه « رسالة الملوك » وأهداه الى ساركس ابراهيم والى سلطان أغاديس محمد بن ساتافا.

كذلك أورد ابن اياس ( ت ١٥٢٤ م ) معلومات عن بلاد السودان فى كتابه « نشق الأزهار » .

---

(١) أشار السيوطى الى رحلة فى بلاد التكرور فى ترجمة لنفسه بكتابه «حسن المحاضرة» جـ ١ ص ١٥٧ .

## ( ب ) ماكتبه السودانيون

ما وصلنا من مؤلفات هؤلاء الوطنيين ، يرد الى القرن السادس عشر الميلادى وما يليه ، وربما فقدت كتاباتهم السابقة على ذلك القرن ، أو لم تكتشف بعد ، والذى وصلنا هو ما أفلت من حركة الدمار التى لحقت ببلاد غربى افريقية منذ بداية الكشف الجغرافى وخلال حركات الاستعمار الأوربى والتذرع بحركة القضاء على الرق فى القرن السابع عشر بصفة خاصة ، فضلا على حركات الكفاح الوطنى ضد الاستعمار البرتغالى والفرنسى والانجليزى والألمانى • لقد اسفر هذا الاستعمار عن تدمير المدن الاسلامية الزاهرة فى غربى افريقية •

كتب هؤلاء الوطنيون باللغة العربية ، وظلوا كذلك حتى قضى الاستعمار الأوربى على هذه اللغة وحضارتها وتراثها فى تلك الأصقاع ، ومن أشهر المراكز الاسلامية فى قلب أفريقية تنبكت وجنى وجاو على النيجر وصكت ( بفتح الصاد وضم الكاف المشددة وضم التاء ، كما ينطقها الوطنيون ) وكانوا وكستنا ، من بلاد الهوسا شرقى النيجر ، ولهذه المراكز الثقافية الاسلامية صلات واسعة ومتنوعة بالعالم الخارجى ولا سيما العالم الاسلامى •

من المؤرخين الوطنيين الفع محمود كعت ( بفتح الكاف وسكون العين وكسر التاء ) ، وهو من مواطنى تنبكت ، عاصر أسكيا الحاج ( ت ١٥٢٩ م ) سلطان صنغى الاسلامية ، وصحبه فى الحج الى مكة ، وكتابه « تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور تفريق أنساب العبيد من الأحرار » ، بدأ فى تأليفه عام ٩٢٥ هـ/١٥١٩ م ، ويتضمن وصفا دقيقا لامبراطورية زمن صنغى الأساكى ، وقد أكمله حفيده الى حوادث عام ١٦٠٠ م ، وقام غيره بالتذييل عليه وتكملته حتى عام ١٦٦٠م . وقد نشره المستشرقان الفرنسيان هوداس ودولافوس فى باريس عام ١٩١٣ م وترجماه الى اللغة الفرنسية •

ومن الوطنيين أحمد بن فرتوا مؤرخ بلاط امبراطورية البرنو الاسلامية زمن الماى ادريس ألوما ( ت ١٥٨٣ م ) ولابن فرتوا كتاب فى تاريخ الماى ادريس ألوما ، يتناول أحداث وحروب الاثنتى عشرة سنة الأولى من حكمه ؛ وقد نشر هذا الكتاب وترجم الى الانجليزية فى لندن عام ١٩٢٦ م • ولهذا المؤلف كتاب آخر يتناول الحروب بين كانم وقبائل

البـولالا ، وقد نشر رتشموند بالمـر Sir R. Palmer هذين الكتابين، كما ترجم الكثير منهما فى كتابه The Bornu Sahara & Sudan.

ومن أعلام العلماء المؤرخين أحمد بابا المتوفى فى تنبكت عـام ١٦٠٧م ، وله كتاب «الذيل» ، ومع أن أحمد بابا من أسرة أقيت الشهيرة من قبيلة جداله البربرية ، الا أنه استوطن بلاد السودان وتلقى العلم على يدى عالم من الماندنجو ، كان هذا العالم تلميذا لجد أحمد بابا .

وقد عثر الرحالة دكتور بارث Dr. Barth خلال رحلته فى افريقيـة ( ١٨٤٩ ـ ١٨٥٥ م ) على بعض الوثائق العربية التى كتبها الافريقيون ، منها تاريخ لمملكة صنغى لمؤلفه أحمد بابا ، وبعض تاريخ البرنو ، وكانوا ، ونشرها ، ولم يخف بارث اعجابه بمؤلف أحمد بابا ، وعلق عليه بأنه أعظم ما يضـاف الى معلومات العصر الحديث عن تاريخ البشرية ، فى جانب لم يكن معروفا من قبل .

أما عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السـعدى ( توفى بعد عام ١٦٥٥ م ) ، فهو من أسرة سودانية ارستقراطية ، ومن مواطنى تنبكت وكتابه « تاريخ السودان » انتهى فيه الى حوادث ١٠٦٥ هـ = ١٦٥٤ م ونقل فيه كثيرا عن الذيل لأحمد بابا . وكذلك كان كتاب السعدى من بين ماعثر عليه بارث فى مدينة جواندو عـام ١٨٥٣ م ، وقد حققه ونشره المستشرقان الفرنسيان هوداس وبنوا فى باريس ١٨٩٨ م .

هناك مؤلفات أخرى كثيرة كتبها العلماء الافريقيون المتأخرون أمثال عثمان دان فودى ـ أى ابن فودى بلغة الهوسا ـ ( ت ١٨١٧ م ) مؤسس امبراطورية الفولانيين الاسلامية ، وابنه محمد بلو ، صـاحب كتاب « انفاق الميسور فى فتح بلاد التكرور » ، عرض فيه لتاريخ وأحوال السودان الأوسط والحروب التى خاضها الفولانيون ضد البرنو والهوسا ، والرسائل المتبادلة بين عثمان دان فودى والشـيخ محمد أمين الكانمى راعى دولة البرنو الروحى ، وقد حققه ونشره الأستاذ هويتنج C.E.J. Whitting فى لندن عام ١٩٥١ م ، والأستاذ هويتنج كان يعمل مدرسا بمدرسة العلوم العربية فى كانو .

كذلك للعالم الفولانى عبد القادر دان تافا ـ نسبة لأمه تافابنت عثمان دان فودى ـ مؤلفات ، منها : أخبار بلاد الهوسا والسودان .

وهناك كتاب « تاريخ نوب » الواقعة شرقى النيجر عند اتصاله بفرعه بنوى ، لمؤلفه محمود بن محمد الوالى الفولانى ، ويحتمل ان هـذا الكتاب

ألف سنة ١٨٩٠ م ، واشتهر مؤلفه بلقب أمين العلماء ، وينصب موضوع الكتاب على أحوال هذه المنطقة زمن الحكم الفولانى .

ومن الكتب التى أصدرها هؤلاء العلماء ، ما تناول التاريخ العام ، مبتدئا بقصة خلق العالم ، شأن مؤرخى الاسلام الأولين .

وقد جمع الدكتور ولموت بليدن Dr. W. Blyden – السياسى المسيحى الليبيرى المثقف فى القرن الماضى – عددا من المخطوطات العربية عثر عليها خلال رحلته التى قام بها عام ١٨٥٦ م ، وعلق على ما جمعه من بلاد الماندنجو ، بأنها أحسن خطا وموضوعا من المخطوطات العربية الأخرى التى عثر عليها فى منطقة غمبيا ؛ ونشر بليدن كتابا بخلاصة دراساته وبحوثه ورحلاته ، فى لندن عام ١٨٨١ م ، تحت عنوان : Christianity, Islam & the Negro Race

وقام بعض الكتاب باحصاء المخطوطات العربية ، على اختلافها ، والموجودة حاليا فى بعض بلاد غربى افريقية ، وتنهض الجامعات الافريقية الحديثة فى نيجريا وغانة وغينية والسنغال بمثل هذا العمل .

ومن القوائم التى صدرت حديثا ، ما أصدره جاكسون فى لندن عام ١٩٢٠ تحت عنوان :

G. Jackson, An Account of Timbuctoo & Hausa.

وما كتبه كسنديل W.E.N. Kensdale تحت عنوان :

A Catalogue of the Arabic Manuscripts preserved in the University Library, Ibadan, Nigeria, 1955-58.

وغير هذين الكاتبين ، كثيرون ممن عنوا باحصاء التراث العربى عامة، فى غربى افريقية ، ولا يزال الكثير من هذا التراث فى حاجة الى نشر علمى سليم ، على أيدى المؤرخين والعلماء العرب والأفارقة؛ لأنه ليس من المقبول أن ينفرد باحياء التراث العربى من هم من غير العرب أو من غير الأفارقة ، فلا ينبغى أن نبقى عالة على غيرنا ، حتى هذا العصر ، وان كنا لا ننكر أو نغمط من حق من تجشموا المصاعب وصبروا فى هذا العمل العلمى الرفيع ، فلهم منا التقدير (١) .

(١) لمزيد من التفاصيل عن جهود بعض المستشرقين فى نشر التراث العربى الافريقى وترجمته ، انظر : الاسلام واللغة العربية للمؤلف ص ٤٤ وما يليها .

## ـ رابعا ـ

## ما كتبه الأوربيون

وأولهم البرتغاليون ، فان السجلات والمدونات التى كتبها بحارتهم ومكتشفو هم ؛ عن بعض جهات افريقية وأحوالها العامة ، تعد من المراجع الهامة ، وكان البرتغاليون قد استفادوا كثيرا من تراث المسلمين ومعارفهم عن تلك البلاد ، حتى من قبل حركة الكشف الجغرافى ، وهذا لا يعنى أن بعض ما كتبه البرتغاليون لم يكن فيه خطأ أو تحريف .

وفى أعقاب البرتغاليين جاءت بقية الدول المكتشفة والمستعمرة الى افريقية ، ومن المراجع الهامة المتخصصة التى كتبها الأوربيون ما أصدره :

Cooley (1841) — Barth, (1849-55) — Dr. Guintin (1881) — Basset (1888) — Tautain (1895) — Le Chatelier (1899) — Delafosse (1913) — Marty (1921) — Monteil (1930) — Urvoy (1942) — Rouch (1954-1956) — Davidson (1959).

وحديثا أصدر رولاند أوليفر R. Oliver كتابا تحت عنوان :
The Middle Ages of African History, London, 1967.

ورولاند أوليفر ناشر لهذا الكتاب ، واشترك فى كتابة فصوله عدد من المتخصصين فى التاريخ الافريقى من الافريقيين وغيرهم ، أمثال :

Allan Ryder — Ado Boahén — Walter Rodney — Gray — David Birmingham — Andrew Roberts.

وقد عالج هذا الكتاب التاريخ القومى الافريقى من شتى جوانبه ، وذلك قبل عصر الاستعمار ، وأذيعت موضوعاته وفصوله من اذاعة لندن فى الفترة ما بين آبريل ويونيو ١٩٦٧ م ، وهذا على نحو ما اتبع فى الكتاب الذى أصدره قبل ذلك تحت عنوان :
The Dawn of African History

وعن الاسلام فى غربى آفريقية ، نجد عشرات الكتب التى أصدرها الأوربيون ، منها تسعة بحوث أصدرها بول مارتى P. Marty الفرنسى وحده ، بين كتب ومقالات ، من بينها كتاب يقع فى أربعة أجزاء، وقد أصدر هده البحوث خلال الفترة من ١٩١٩ الى ١٩٣٢ م ، وممن كتب عن الاسلام من الأوربيين غير مارتى :

Binger (1891) — Marchand (1897) — Le Chatelier (1899) — Aè Quellien (1910) — Brevié (1923) — Montzer (1939) — Veniat (1947) — Azan (1948).

وصدر في عام ١٩٤٩ م بحوث أخرى عن الاسلام في افريقية السوداء عامة ، منها ما كتبه :

Chailly — Griaule — Capt. Cardaire — Marcel de Coffet — Trimingham.

وقد جمع بعض البحاث كل ما استطاع حصره من الكتب والبحوث التي تتناول أحوال غربي افريقية الفرنسي (سابقا) فقط ، ما بين عربية وانجليزية وفرنسية وألمانية وأسبانية وبرتغالية وغيرها ، حتى عام ١٩٣٧ م ، وهذا ما نهض به جوكلا E. Joucla في كتاب أصدره تحت عنوان :

Bibliographie de l'Afrique Occidentale Française.

أحصى جوكلا في هذا العمل العلمي النافع نحو ٩٥٤٣ مرجعا ، رتبها على حروف المعجم ، وفيها مئات من الكتب التاريخية .

## ـ خامسا ـ

## الآثار المكتشفة حديثا

وهذه لاتزال في فجر نشاطها ، وهي هامة جدا لما تلقيه من ضوء على تاريخ هذا الجزء أو غيره من القارة الافريقية ، ولما تحققه أو تدعمه أو تصححه من كثير مما هو معروف حتى الآن .

بدأت الحفائر في منطقة غربي افريقية عام ١٩٠٧م واستمرت حتى عام ١٩٥٤ م . ومن المراجع الهامة التي جمعت أعمال الحفائر والكشوف الأثرية ، ما أصدره موني R. Mauny الفرنسي في داكار عام ١٩٥٤ م تحت عنوان :

Gravures, Peintures et Inscriptions Rupestres de l'Ouest Africain.

وكان موني ممن عمل في الحفر مع زميله توماس في الفترة ما بين ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ م ، واليهما يرجع الفضل في تحقيق موضع مدينة كومبي صالح عاصمة غانة والحي الاسلامي فيها بصفة خاصة .

واعتمد باسل دفيدسن B. Davidson على أعمال البحوث الأثرية
في اصدار كتابه : Old Africa Rediscovered.

وقد صـــدر هذا الكتاب في لندن عام ١٩٥٩ م ، كذلك اعتمدت
الكاتبة مارجريت شيني M. Shinnie على أعمال الحفائر ،
في اصدار كتابها الحديث في لندن عام ١٩٦٥ م ، وعنوانه :
Ancient African Kingdoms.

أما بعد ـ فاني أرجو أن أسد بهذا الكتاب ثغرة في المكتبة العربية
في التاريخ القومي الافريقي · والله ولى التوفيق ؟

**ابراهيم على طرخان**

القاهرة

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ
٧ أغسطس ـ آب ١٩٧٢ م

# الفهــرس

## الفصل الثالث

## خلفاء مارى جاطه

## ١٢٥٥ ـ ١٣١٢ م

منسا على ( ١٢٥٥ ـ ١٢٧٠ م ) ـ اتســـاع مساحة دولة مالى ـ السيادة على صنغى ـ استغلال مناجم الذهب فى ونقاره وأهميتها لدولة مالى ـ فترة اضطرابات ( ١٢٧٠ ـ ١٢٨٥ م ) ـ عهود : ولى وخليفة وأبى بكر ـ المغتصب سيكره ( ١٢٨٥ ـ ١٣٠٠ م ) ـ اعادة هيبة مالى واتساعها ـ حجة وزيارة مصر زمن الناصر محمد بن قلاوون ـ مقتل سيكره سنة ١٣٠٠ م ـ فترة اضطرابات أخرى ( ١٣٠٠ ـ ١٣١٢ م ) ـ عهود : قو ومحمد وأبى بكر ٠

**( ص ٦٣ ـ ٧٠ )**

## الفصل الرابع

## دولة مالى الاسلامية فى ذروة مجدها

## السلطان كنكن موسى

## ( ٧١٢ ـ ٧٣٨ هـ = ١٣١٢ ـ ١٣٣٧ م )

شخصية السلطان موسى وألقابه ـ ولايته ـ اتساع الدولة فى زمنه اخضاع ما بقى من أملاك غانة ـ اخضاع بلاد التكرور ـ فتح جاو عاصمة صنغى ١٣٢٥ م ـ اخضاع تنبكت ١٣٢٩ / ١٣٣٠ م ـ أقاليم مالى الأربعة عشر ـ مساحة مالى زمن موسى تعدل مســـاحة كل دول غربى أوربا ـ حجه وموكبه ٧٢٤ هـ/١٣٢٤ م ـ استقباله فى القاهرة ـ سفره الى الحجاز وعودته ـ اقتراضه ووفاؤه بديونه ـ ذيوع شهرة مالى ـ ظهور مانسا موسى فى خرائط العالم التى صدرت فى أوربا فى العصور الوسطى ٠

**( ص ٧١ ـ ٩٢ )**

## الفصل الخامس

## دولة مالى بعد كنكن موسى

مغان الأول بن مانسا موسى ( ١٣٣٧ ـ ١٣٤١ م ) ـ غزو قبائل موش ونهب تنبكت ـ السفارة المغربية ـ فرار رهائن صنغى ـ مانسا سليمان أخو مانسا موسى ( ١٣٤١ ـ ١٣٦٠ م ) ـ الاصـــلاح الداخلى

**الفصل السادس**

**نهاية دولة مالى**



**الفصل السابع**

**الأحوال العامة فى دولة مالى**

**( أ ) نظم الحكم وتقاليده :**

( ب ) **الحياة الاقتصادية :**

العمران فى دولة مالى ـ ثرواتها الطبيعية ـ الزراعية ـ الحيوانات ـ الطيور ـ التجارة والتحكم فى طرق القوافل ـ سلع التبادل الافريقية والأجنبية ـ مناجم النحاس فى تكده وضخامة القوافل المارة بها ـ الذهب فى ونقاره ـ مناجم الملح فى تفازه ووصف ابن بطوطة لها ـ التعامل بالملح ـ شهرة مدينة جنى التجارية ـ الودع ـ شركة المقرى التجارية .
**( ص ١٣٥ ـ ١٤٥ )**

( جـ ) **الحياة الروحية والعلمية والفنية :**

سيادة المذهب السنى المالكى ـ مذهب الخوارج الاباضية ( صغنغو ) ـ المساجد وانتشارها ـ المسجد الجامع فى تنبكت ـ مسجد سنكرى ـ بعض الأئمة من السود والبيض ـ المحافظة على صلاة الجماعة ـ صلاة العيد ـ حرمة المساجد ودار الخطيب ـ العلماء والفقهاء ـ جامعة سنكرى ـ المدارس ـ جنى وكثرة العلماء بها ـ الحرص على حفظ القرآن ـ اللغة العربية ومكانتها ـ الأطباء المصريون فى مالى ـ تطور فن العمارة فى مالى
**( ص ١٤٧ ـ ١٥٥ )**

( د ) **الحياة الاجتماعية :**

طابع الحكم وأثره ـ مكانة السلطان فى نظر الرعية ـ كيفية دخول القصر السلطانى ـ نظام التحية ـ كيفية مخاطبة السلطان ـ ظاهرة التتريب فى مجلس السلطان ـ الأثر الشرقى والاسلامى : الشعار والرنك وهيئة ركوب السلطان ـ هيئة جلوس السلطان فى المشور ـ جلوسه فى القبة ـ مواكب الأعياد وألعاب التسلية ـ تقاليد الأكل ـ سطحية الفهم للدين الاسلامى ـ جوارى السلطان ـ الاختلاط بين الجنسين ـ بعض العادات السيئة ـ خروج الخدم والجوارى عاريات ـ الأزياء وتنوعها
**( ص ١٥٦ ـ ١٦٤ )**

( هـ ) **العلاقات الخارجية :**

شهرة مالى فى الخارج ـ اهتمام أوربا وظهور مالى زمن كنكن موسى فى خرائط العالم ـ الصلات مع الجيران الافريقيين: الصوصو ـ جنى ـ صنغى ـ الطوارق ـ موش ـ الفولانيون ـ العلاقات مع دول المغرب ـ العلاقات مع مصر ـ : الصلات القديمة ـ أهمية موقع مصر ومركزها

الدينى والسياسى والثقافى ـ شواهد حية على قدم العلاقة ـ العلاقات التجارية والثقافية ـ الصيغ الخاصة فى الدواوين الملوكية لمخاطبة ملوك مالى ـ العلاقة مع أوربا .

( ص ١٦٥ ـ ١٧٠ )

## خاتمـــة

**( أ ) ظهور البامباره على أنقاض مالى وصنغى :**

اسطورة الأخوين كولوبالى ـ دولة سيجو ـ أصطدامها بيقايا مالى زمن ماما مغان كيتا ـ نهاية دولة سيجو على أيدى التكارره عام ١٨٦١ م ـ دولة كا أرتا المنافسة ـ شهرتها وتوسعها زمن الماسا أبى بكر ـ نهايتها على أيدى التكارره ـ ظهور ساموری التوری من البامباره وتوحيد صفوف الماندنجـو ـ كفاحه ضـد الاسـتعمار الفرنسى ـ وفاته عام ١٩٠٠ م

( ص ١٧١ ـ ١٧٥ )

**( ب ) جمهورية مالى الحديثة :**

( ص ١٧٧ ـ ١٧٨ )

## المـــلاحق

### معجم بالألفاظ والمصطلحات

### ( أ ) ألفاظ ومصطلحات

### ( ب ) الأثر اللغوى العربى والاسلامى عند الماندنجو وجيرانهم فى غربى افريقية

١ ـ بعض الألفاظ العربية الدينية .
٢ ـ فى مجال التعليم .
٣ ـ أدوات كتابية .
٤ ـ مواقيت .
٥ ـ أدوات حربية .
٦ ـ حيوانات
٧ ـ نباتات .
٨ ـ موازين ومكاييل .
٩ ـ ملابس .

## الخــرائط



## القـــوائم



## المراجـــع

# الفصل الأول

## قيام دولة مالي

أهمية تاريخ مالي - الماندنجو مؤسسو دولة مالي - تفسير كلمة الماندنجو - فروع قبائل الماندنجو - تفسير كلمة مالي - شهرة الدولة باسم بلاد التكرور - تاريخ ظهور الماندنجو السياسي على مسرح التاريخ الافريقي - الأسر الحاكمة : أسر مجهولة - أسرة التروريين - أسرة الكوناتيين - أسرة كيتا المشهورة وأصولها - تفسير الاسم - اشهر ملوكها الأوائل : الأكوى - نارى فامغان ذ؛ناؤء - تنديانا أو مارى جاطة (١٢٣٠ - ١٢٥٠ م) المؤسس الحقيقي لدولة مالي - اسمه ولقبه وما حيك حول مغامراته من أساطير - قضاؤه على امبراطورية الصوصو - انشاء مدينة نياني واتخاذها عاصمة - شهرة نياني باسم مالي - دولة مارى جاطة .

تعد دولة مالي أقوى وأغنى الدول الافريقية التى ظهرت فى السودان الغربى ويميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذى نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك(١) وكذلك الدور البارز فى نشر الاسلام والدعوة له فى جميع بلاد غربى إفريقية (٢) .

(١) Hogben, S.J., The Muhammadan Emirates of Nigeria, p. 30; Fage, J.D., Introduct., p. 24.

(٢) الاسلام واللغة العربية فى السودان الغربى والأوسط للمؤلف ص ١٧ - ١٨ ، Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, p. 74.

يقول العمرى :

« مالى أعظم ممالك السودان ، وملكها أعظم ملوك السودان المسلمين، وأحسنهم حالا ، وأقهرهم للأعداء » (١) .

ويقول القاضى الفع محمود كعت :

« وأما مل ، فاقليم واسع وأرض كثيرة عظيمة مشتملة على المدن والقرى ، ويد سلطان مل مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة ، وكانوا يقولون : سلاطين الدنيا أربعة :

السلطان الأعظم سلطان بغداد ( وهو صاحب اسطنبول ) (٢) ، وسلطان مصر ، وسلطان برن ، وسلطان مل » (٣) .

والمقصود بهذه العبارة قوة سلاطين آل عثمان ولا سيما أوائلهم منذ استيلاء سليم الاول على بغداد عقب تحطيمه لدولة الصفويين عام ١٥١٤ م ثم سلاطين مصر من المماليك ، قبل عهد بروز القوة العثمانية فى الشرق الأوسط ، اذ كانت مصر ذات علاقة وثيقة بالدول الافريقية الاسلامية ، كما كانت قبلة هذه الدول فى العقيدة والثقافة ، ثم مايات الأسرة السيفية (٤) فى برنو ، وأخيرا سلاطين مالى .

ويعد دونا لدفيدنر D. Wiedner ظهور دولة مالى وازدهارها أعظم مميزة لأعظم فترات التاريخ الافريقى تطورا وتقدما (٥) .

❋ ❋ ❋

ومؤسسو دولة مالى هم قبائل الماندنجو Mandingo ، وقد سادت هذه القبائل لبضعة قرون فى المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسى أى فى الوديان العليا لنهرى السنغال ، وامتدت

---

(١) مسالك الابصار جـ ٢ ق ٣ (مخطوط) ورقة ٤٩٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فى هامش احدى مخطوطات كتابالفتاش لصاحبه محمود كعت ، ولكنها لم ترد فى متن مخطوطة الكتاب المذكور ولا فى متون أو هوامش نسخ المخطوطات الأخرى ، وهذه العبارة مكتوبة بخط يختلف عن خط المتن .

(٣) كتاب الفتاش ص ٣٨ .

(٤) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف .

(٥) D. Wiedner, A History of Africa South of the Sahara, p. 34

نحو الجنوب آلى حوالى خط عرض ٥٩ شمالا ، ولا توجد منها جماعات مبعثرة فى مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله (١) ٠

والتسمية المتداولة بين قبائل الماندنجو هى : المانكا Manenka أو الماندنكا Mandinka أو الماندن Mandin أو مانـنج Maning أو ما ننجا Manenga أو ما ندنج Mandeng ، وهى كلها متقاربة (٢) ٠

من هذه التسميات ، أخذ الجيران والأجانب الذين احتكوا بهذه القبائل الصيغ التى أشاروا بها اليها ، فأطلقت قبائل وادى نهر غمبيا الأدنى على هذه القبائل اسم الماندنجو ، واستخدم البرتغاليون والانجليز هذه التسمية نقلا عن القبائل ، وأطلق الفولانيون والتكاررة عليها اسم المالنك ، وتبعهم الفرنسيون (٣) ، أما قبائل حوسى (٤) Hausa ، فأطلقت كلمة ونقاره Wangara ، وأرادت بها الماندنج ، الا أنها تعنى بهذه التسمية فرعين فقط من فروع قبائل الماندنجو ، وهما السوننك Soninke ، والجولا Jula ؛ ثم ان قبائل البامباره Bambara ، احدى فروع الماندنجو تستخدم كلمة مانى Mani للدلالة على مجموعة قبائل الماندنجو (٦) ٠

تتكون كلمة ماندى Mandi ، فى لهجة قبائل السوننك ، احدى فروع الماندنج من مقطعين هما : ما Ma + دى di ؛ وحرف الربط بينهما هو ( ن N ) ، ويعنى المقطع ( دى ) فى اللهجة السوننكية ( فى ) أو ( عند ) ، ويعنى المقطع ( ما ) السيد ؛ ومن ثم فان

---

(١) Spitz, G., L'Ouest Africain Français, p. 62 ; 2Guilly, L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française, p. 54 ; Delafosse, Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental, p. 19 ; Monteil, Les Empires du Mali, p. 11 ; Urvoy, Petit Atlas Ethnographique du Soudan, p. 28 ; انظر خريطة توزيع قبائل الماندنجو رقم (١) ٠

(٢) Labouret, Mali (Ency. of Islam) Vol. III, p. 239 ; Le Chatelier, Op. cit., 91-95 ; Monteil, Op. cit., p. 7 ; Delafosse, Op. cit., p. 19 ; Trimingham, Islam in West Africa, p. 14.

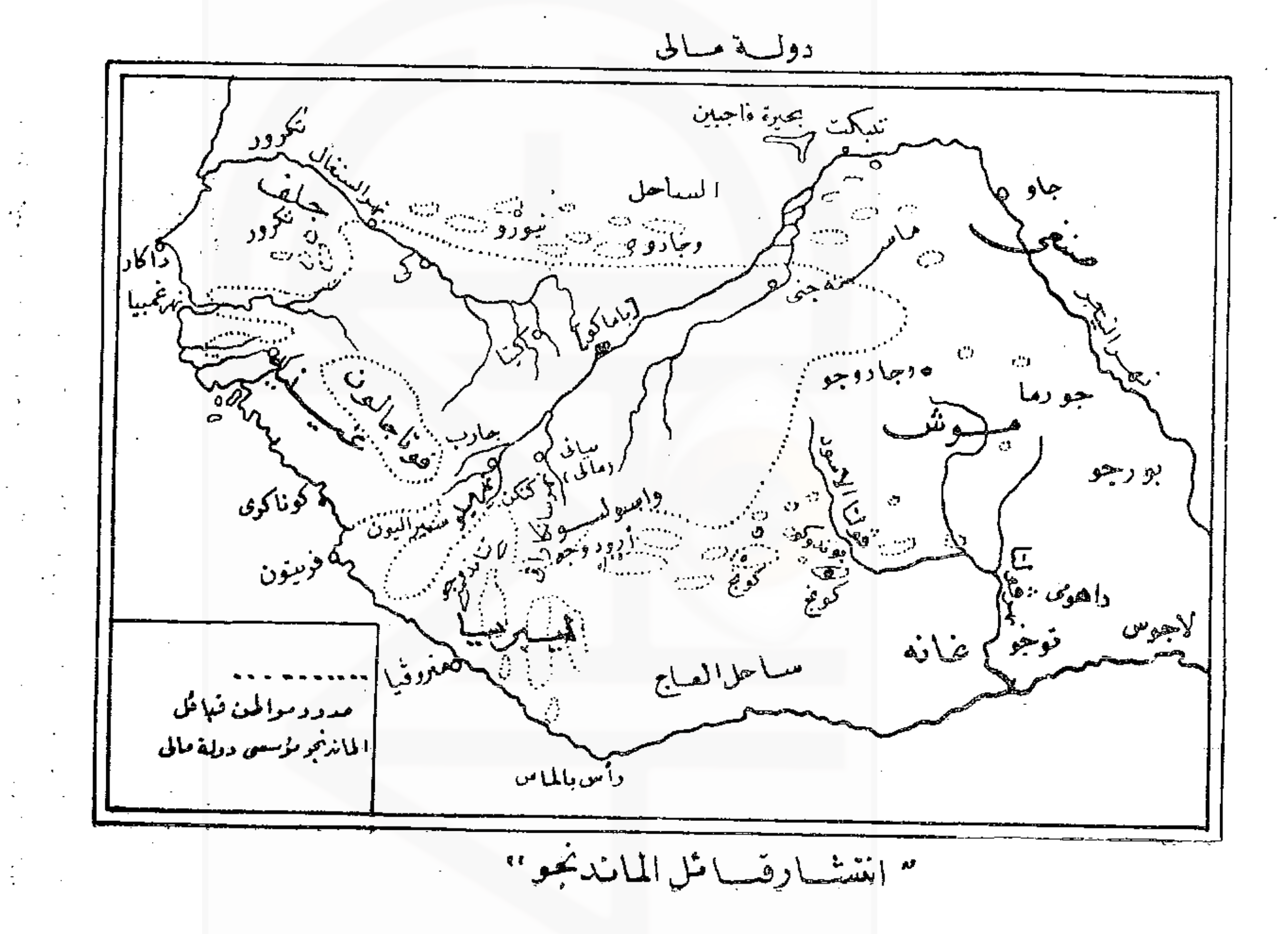
(٣) Church, p. 238 ; Le Chatelier, p. 75

(٤) الصيغة العربية عن المعلم جنيد وزير حكت وعن ألفا هاشم الفوتى

(٥) Palmer, Sudanese Memoirs III, p. 86 ; Labouret, p. 239 : Trimingham, p. 13.

(٦) Bovill, The Golden Trade of the Moors, pp. 194-195. Monteil, p. 7.

دولة مالي




" انتشار قبائل الماندنجو "

كلمة ماندى تعنى عند السوننك : عند السيد أو فى مركز اقامة السيد أو الحاكم ، وبمعنى آخر العاصمة (١) .

هناك تفسير آخر لكلمة ماندنج ، يقرب من هذا التفسير ، ومؤداه أن كلمة ( ما ) تدل على معنى الأم وكلمة ( دنج ) تدل على معنى الطفل أو الابن ، فيكون المعنى ( ابن الأم ) ، وفى هذا ما يدل على أهمية النسب الى الأم أو النساء عامة ، وهو أمر مألوف عند الماندنجو وكذلك عند غيرهم من قبائل غربى افريقية (٢) .

كذلك بذلت محاولة لتفسير كلمة مالنك أو مالنكا ، باعتبارها مشتقة من كلمة مالى أو مرى Meri ، أى فرس النهر أو أصحاب فرس النهر أو الناس الذين يكثر فى مياه أنهارهم فرس النهر . والذى ثبت من البحوث اللغوية أن هذا التخريج غير صحيح ، المقطع ( كا Ka ) يدل على معنى التبعية المحلية أو الوطنية ، ويضاف عادة الى الموطن الأصلى الذى نشأ فيه هذا الجنس أو هذا العنصر أو هذه القبيلة ، ولا يمكن أن يلحق أو يربط باسم حيوان (٣) .

وعموما ، كلمة ( ماندى ) مصطلح لغوى أكثر من جنسى ، فهو يطلق ويراد به مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الماند (٤) . ومن القبائل المتكلمة بهذه اللغة الماندنكا أو المالنكا ، وهى الفرع الرئيسى الذى غلب اسمه على دولة مالى ، وكذلك قبائل البامباره ، ويحرف أيضا الى البانمانا Banmana وهى التى نهضت فى القرن السابع عشر الميلادى ، بعد زوال مالى ، واعتبرت امتدادا لها كما اعتبرت آخر ممثل سياسى لدولة مالى التاريخية ، وذلك خلال حركة الاستعمار الاوربى لافريقية (٥) .

ومن فروع الماندنجو : الديولا Dyula أو الجيولا Giula ، والسومونو Somono والبوزو Boso والسوننك . على أن

---

(١) Monteil, p. 7.

(٢) Labouret, p. 239.

(٣) Ibid.

(٤) تنتشر لغة الماندنجو فى العصر الحاضر فى المناطق الجبلية بأعالى نهر السنغال ، وتتركز القبائل المتكلمة بها فى أقاليم : سانجاران Sangaran وجانجاران Gangaran وبامبوك Bambuk ووادى غمبيا الأدنى ، كذلك تنتشر هــــذه القبائل شمالا حتى الصحراء (Labouret, p. 239)

(٥) Trimingham, p. 14 ; Fage, pp. 144-8 ; Le Chatelier, pp. 88-93 ; Labouret, pp. 241-2 ; Rouch, Les Songhay, p. 10 ; Gouilly, pp. 64-74. انظر الخاتمة

أهم هذه الفروع أربعة هى : المالنك والبامباره والديولا والسوننك (١).

ويلاحظ على هذه الفروع ، أن البامباره والديولا والماندنكا، تتشابه فى اللهجة والنظم الاجتماعية والى حد ما المستوى الثقافى ، غير أنها تفترق عن بعضها البعض نتيجة لاختلاف محال اقامتها ومدى انتشارها واتجاه تاريخ كل منها ، وبسبب عدم انتشار الاسلام بينها كلها فى وقت واحد . أما السوننك ، فتغلب عليها الدماء البربرية والفولانية ، لاختلاطها ، بها ، ومن ثم هناك بعض التغير فى ألوانها ، حتى أن قبائل الجلف Wolofs تطلق على السوننك اسم السراكول Sarakole ومعنى هذه الكلمة بلغة الجلف : الناس الحمر أى البيض (٢) .

وتدعى جميع فروع قبائل الماندنجو أنها جاءت أصلا من الشرق مع أن السعدى يقول عن أهل مالى « وهم سودان فى الأصل » (٣) .

أما كلمة مالى أو مل ، وهى ما اشتهرت به هذه الدول فى الكتب العربية والأجنبية على السواء ، فهى التسمية التى استخدمتها قبائل الفولانيين على بلاد الماندنجو أو المالنك ، وهى تحريف لكلمة ماندى Mandi التى تعنى العاصمة عند السوننك ، كما أن كلمة مالنك تعنى عند الفولانيين ، رعايا مالى أو سكان مالى (٤) . وقيل ان كلمة مل أو ميليت ، التى ظهرت فى بعض خرائط العصور الوسطى ، تسمية بربرية (٥) .

ولقد أشار الكتاب العرب من المؤرخين والجغرافيين الى دولة مالى باسم مل أو مالى أو ملى ونحوها ، ومن هؤلاء الكتاب : البكرى وأبو حامد الغرناطى والادريسى وابن سعيد وأبو الفداء والعمرى وابن بطوطة وابن خلدون والقلقشندى وليو الافريقى وابن اياس والسعدى وصاحب الفتاش (٦) .

---

(١) Urvoy, pp. 27, 29 ; Trimingham, pp. 13-15.

(٢) Le Chatelier, pp. 67-69, 88-95 ; Labouret, p. 240 ; Marty, Etudes sur l'Islam et Les Tribus de Soudan, p. 220.

(٣) تاريخ السودان ص ٩ — ١٠ .

(٤) Monteil, p. 7 ; Delafosse, p. 19 ; Fage, p. 24 ; Fyfe, A History of Siera Leone, p. 1.

(٥) Labouret, p. 239 ; Monteil, p. 7.

(٦) المسالك والممالك ص ٧٨ ، تحفة الالباب ص ٤٢ ، نزهة المشتاق (غير مرقم) ، مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٤٩ (مخطوط) ، رحلة ابن بطوطة ج ٤ ص ٣٩٧ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٣ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٢ ، الكتاب السابع لليو الافريقى ص ٢٨٧ ، نشق الأزهار ص١٧٨ ، تاريخ السودان ص٧ ، تاريخ الفتاش ص ٣٨ — ٣٩.

فاذا أطلقت كلمة مالى ، فانها تعنى العاصمة ، كما تعنى الدولة ، يقول ابن بطوطة :

« فوصلت الى مدينة مالى ، حضرة ملك السودان » (١) .

ويقول السعدى :

« اقليم مل كبير واسع جدا فى المغرب الأقصى الى جهة البحر المحيط » (٢) .

***

اشتهرت دولة مالى كذلك باسم « بلاد تكرور » — بضم التاء — ، واشتهر ملكها باسم «ملك التكرور» أو «سلطان التكرور» ، والصواب هو أن تكرور احدى المدن أو الممالك أو الأقاليم التى خضعت لسيادة مالى ، يقول العمرى :

« ويغلب على سلطان مالى ، عند أهل مصر ، سلطان التكرور ، ولو سمع هذا أنف منه ، لأن التكرور اقليم من أقاليم مملكته ، والأحب اليه أن يقال صاحب مالى ، لأنه — أى اقليم مالى — الاقليم الأكبر ، والتكرور مدينة من مدنها (٣) » . وفى التعريف : « ومالى اسم اقليم والتكرور مدينة من مدنها (٤) » .

ويقول القلقشندى :

« مالى المعروفة عند العامة ببلاد التكرور » (٥) .

وكلمة تكرور وتكارره ، والعامة تقول تكارنة ، تستعمل فى السودان الشرقى للدلالة على جميع سكان السودان الأوسط والغربى(٦) كما تستعمل كلمة الفلاتا فى سودان وادى النيل ، للدلالة على جميع

---

(١) الرحلة ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٢) تاريخ السودان ص ٩ .

(٣) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٢ ورقة ٤٩٤ .

(٤) التعريف ص ٣٧ .

(٥) صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٨٢ .

(٦) عبد الله حسين : تاريخ السودان ص ٧٩ ، Bovill, p. 84 ، Trimingham, p. 13

الواردين من نيجريا ، والتكارره ليسو سوى قبائل التكولور Toucouleurs أو تاكورور Takoror ، وقبائل الجلف هي التى أطلقت هــذه التسمية عليها (١) .

والخلاصة أن دولة مالى اشتهرت بأكثر من اسم ، فهى تارة دولة الماندنجو وأخرى دولة مالى ، ثم هى مملكة التكرور .

أما ظهور قبائل الماندنجو السياسى على مسرح التاريخ الإفريقى لأول مرة ، فهذا يرجـع الى زمن بعيد ، ومعلوماتنا قليلة عن التاريخ القـديم لدولة الماندنجو وذلك بسبب ندرة المصادر واختلاط الروايات الشفوية بالأساطير ، ثم ان السجلات والوثائق الخاصة بدولة الماندنجو ، لم تدون الا بعد مرور نحو سبعة قرون أو ثمانية من ظهـورها ، علماً بأن هــذه الوثائق والسجلات لم تعن الا بأخبار الأسر الحاكمة دون الرعايا ، مع نقص أيضا فى هذه الأخبـار (٢) .

هناك رواية تقول ان ظهور هذه الدولة يرد الى الفترة التى تكونت خلالها دولة غانة ، وذلك قبل البعثة النبوية بزمن طويل ، وأنه خلال تلك الفترة التى يقدر مداها الزمنى بعهـود حوالى اثنين وعشرين ملكا فى غانة (٣) ، كانت دولة الماندنجو تنمو وتتسع تدريجيا فى اقليم كانجابا بأعالى نهر النيجر . وقد بدأ المعروف عن تاريخ هذه الدولة ، يتضح منذ القرن السابع الميلادى ، على أنها بلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميـلادى (٤) .

ولى هـذه الدولة منذ فجر ظهورها ما لا يقل عن ثمـانى أسر حاكمة ، لا يعرف منها الا القليل .

**الأسر الأولى**

فالأسر الأولى ، غير معروفة ، الا أن بعض الكتاب أوردا عنه أسماء لهـا ، دون أن يكون هنـاك ، فيما أعلم ، معلومات عنهـا ، ومن هــذه الأسر :

---

(١) Urvoy, p. 31; Fage, p. 146; Delafosse, Takûr (Ency. of Islam), Vol. IV, p. 633.

(٢) Fage, p. 24; Le Chatelier, pp. 74-79; Hogben, p. 30.

(٣) السعدى ص ٩ ــ ١٠ ، غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٤٠ .

(٤) Church, R.J.H., West Africa, p. 238; Stamp, D., Africa, A Study in Tropical Development, p. 273, Okafor, West Africa Background, p. 28.

أسرة كوروما Kuruma
أسرة ديارا Diara
أسرة مركو Mareko
أسرة كامارا Kamara
أسرة باكايوكو Bakayoko الخ (١) ...

## أسرة الترووريين

أما أسرة الترووريين Taraore التى تلت هذه الأسر الأولى فقد ظهرت فى منطقة كيرى Kiri بأعالى نهر السنغال ، واتخذت مدينة نياجاسولا Niagassola عاصمة لها ، وتقع هذه العاصمة عند أعالى نهر باخوى أحد فروع السنغال ؛ تقول الروايات الشفوية المتداولة : ان مؤسس هذه الأسرة قد اعتنق الاسلام (٢) ، وانه يسمى منسانوفن تارورا Mansa Nofin Taraoura ، ومنسا بمعنى ملك (٣) ولا تزال بقايا هذه الى اليوم ، ويلقب أفرادها بالترووريين أو النوفيين نسبة الى هذا الجد العبد (٤) .

## أسرة الكوناتيين

وفى اقليم دودوجو Doudougou ، شمالى منطقة كيرى ظهرت أسرة الكوتيين Conaté ، ويعرف موطن هذه الأسرة كذلك باسم « دو » Do ، وربما كانت مملكة الكوناتيين هذه ، هى التى أشار اليها البكرى باسم « مملكة دو » (٥) .

اتخذت هذه الأسرة مدينة طابو Tabou عاصمة لها (٦) . والسلف البعيد لأسرة الكوناتيين و جمباكوناتى Guimba Conaté وليس من المعروف ، كيف انتقلت السلطة فى دولة الماندنجو ، من أسرة الترووريين الى أسرة الكوناتيين .

---

(١) Labouret, p. 240
(٢) انظر الفصل التالى .
(٣) انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية بالملاحق .
(٤) Monteil, pp. 53-55
(٥) المغرب ص ١٧٨ .
(٦) Monteil, p. 8.

ومن المحتمل أن أحد ملوك أسرة الكوناتيين، أسلم في القرن الحادي عشر الميلادي ، وهو المعروف باسم جورماندا كوناتي Gourmandana Conaté والمحرف الى اسم برمندانه في الكتب العربية(١) . تقول الرواية الشفوية التي يتناقلها الوطنيون في مالي : ان منساجور ماندانا هذا قد اعتمد على طبقة البولا Bouia ، وهي طبقة من العبيد المحررين بلغة الماندنجو ، منها اتخذ ملوك مالي قادة جيوشهم وحكامهم الولايات وجباة الضرائب وأغلب معاونيهم ومستشاريهم .

ونظرا لأهمية هذه الطبقة في دولة الماندنجو النامية ، كان رئيسها شخصية قوية يتمتع بنفوذ كبير . وجرت العادة أن ينتخب هذا الرئيس بواسطة البولا أنفسهم ، وبمرور الزمن ، تكونت من هذه الطبقة أسر قوية ذوات نفوذ واسع وثراء كبير ، مثل أسرة السوخيين Soussokho وأسرة الكامارين Kamara (٢) . وغيرها . واستمر هذا التقليد في عهد خلفاء هذه الأسرة في دولة مالي ، كما عرف هذا النظام في امبراطورية غانة الدائلة ، حيث كانت تعرف هذه الطبقة باسم طبقة الكوسا Kouesa (٣) .

ويشبه هذا ما حدث في فجر التاريخ الروماني من اعتماد بعض الأباطرة على العبيد المحررين ، وما حدث في الدولة الاسلامية في مختلف عصورها في الشرق الأوسط وفي الأندلس الاسلامية ، بل ان دولة كبرى سادت في الشرق الأوسط لمدة تربو على قرنين ونصف ، يرجع حكامها وسلاطينها وجيشها الى العبيد المحررين ، تلك هي دولة المماليك .

والمعلومات قليلة أو نادرة عن خلفاء جورماندا ناكوناتي ، فلا نعرف عنهم سوى اسم ملك واحد هو منسا الو Alo ، ويقال ان منسا ألو هذا هو السلف المباشر للأسرة التالية في حكم دولة مالي ، وهي أسرة كيتا (٤) .

حكمت الأسرتان السابقتان ، من آل الترورين والكوناتيين ما اصطلح على تسميته بدولة مالي الشمالية أو امبراطورية مالي الشمالية ، وهي الدولة

---

(١) انظر الفصل التالي .

(٢) يبدو من اسم هذه الاسرة أنها ذات صلة باحدى الأسر الحاكمة السابقة في مالي، ويحتمل أن سلالتها قد انحدرت الى طبقة البولا بعد زوال سلطانها السابق .

(٣) Monteil, pp. 56-57

(٤) Monteil, p. 57

الأولى المكونة من أقليمى كيرى ودودجو ، ويطلق أحيانا على هذين الاقليمين إسم واحد جامع هو « دونى كيرى » Do-ni-Kiri (١) .

## أسرة كيتا Keita

لعل أسرة كيتا أهم الأسر فى تاريخ دولة مالى ، فهى صاحبة الفضل فى تكوين دولة واسعة مترامية الأطراف ؛ والوطنيون فى مالى لا يعرفون شيئا محققا عن أصول هذه الأسرة ، ولا عن أوائل ملوكها ، سوى سندياتا الملقب مارى جاطه ، وهو الذي اشتهر أمره وذاع صيته في القرن الثالث عشر الميلادى (٢) .

يقول دولافوس Delafosse ، ان سلف أسرة كيتا شخص يسمى موسى ديجيو M. Dyigiu وموسى هذا هو المعروف عند الوطنيين من الماندنجو باسم ألاكوى Allakoi ، ويضيف دولافوس ، أن موسى ديجيو حكم عرش مالى حوالى سنة ١٢٠٠ م وأنه استمر يحكم الى حوالى عام ١٢١٨ م ، وأنه من سلالة بلال الحبشى مؤذن الرسول (ص) ، وأنه جاء من الحجاز أو ولد فى بلاد الماندنجو (٣) .

ويقول الرحالة فيدال Vidal ( ١٩٢٢ ) ، ان سلف أسرة كيتا جاء من اليمن (٤) ، والدعوى بالأصول الشرقية ، أمر مألوف عند جميع قبائل الماندنجو ، بل عند أغلب القبائل الافريقية المشهورة (٥) ، بل ان من الروايات المتواترة حول أصول أسرة كيتا الحاكمة فى مالى ، انها من الأسرة العلوية ، أى من سلالة على بن أبى طالب .

يقول العمرى :

« وملك التكرور هذا ـ الاشارة الى منسا موسى المعاصر العمرى وليست الى موسى سابق الذكر ـ يدعى النسب الى عبد الله بن صالح ابن الحسن بن على بن أبى طالب (٦) » .

وفي موضع آخر يقول :

---

(١) Monteil, p. 8.

(٢) Monteil, p. 58 ; Spitz, p. 62.

(٣) Delafosse, pp. 19-20

(٤) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ـ دول الهوسا الاسلامية للمؤلف ـ امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف ـ انظر Le Chatelier, pp. 75-79

(٥ ، ٦) التعريف ص ٢٧ ، انظر زامباور ج ١ ص ١٣٨ .

« ولا يقر له بشيء من الألقاب الدالة على النسب العلوى » (١) .

ويقول ابن خلدون :

« ان بنى صالح من بنى عبد الله بن الحسن ، كانت لهم بها دولة وملك عظيم ـ الاشارة الى بلاد التكرور أى مالى – ولم يقع لنا فى تحقيق هذا الجزء أكثر من هذا ، وصالح من بنى حسن مجهول » (٢) .

وقيل بصدد تفسير لقب هذه الأسرة ، ان كلمة ألاكوى ، معناها الله خالق كل شيء من غير شك ، ثم تحرفت هذه الكلمة فى عهد خلفاء موسى ألاكوى الى ألاكويتا A. Koïta ، وأخذت معنى جديدا هو المنحدر عن ألاكوى ، ثم اختصرت الى كويتا Koïta وخففت الى كيتا Keïta وصارت علما على هذه الأسرة (٣) ، على أن الشك يحول حول هذا التخريج ، والراجح أن لقب أو اسم كيتا ، كان معروفا قبل حكم موسى ، أى قبل القرن الثالث عشر الميلادى ، وأن موسى هذا لم يكن السلف الأول لأسرة كيتا ، بل وجد شخص من ملوك دولة مالى الشمالية يعرف باسم ما مبى كيتا Mambi Keïta (٤) .

كذلك يرجح أن لقب كيتا ، اسم قبيلة أو فروع من قبائل الماندنجو، واليها تنسب الأسرة الحاكمة الأخيرة فى هذه الدولة (٥) ، وقد اشتهرت مدينة قديمة تعرف باسم « كيتا » فى اقليم كانجابا ، خلال تلك الفترة ، ربما كانت مركز اقامة هذه الأسرة أو الموطن الأصلى لها ، أى أن هناك صلة بين هذه المدينة وبين هذا الفرع أو هذه الأسرة من الماندنجو ، لكن ليس من المؤكد ، أيهما الأصل فى التسمية : المدينة أو الفرع من القبيلة، ويزيد فى هذا الترجيح كذلك ، أن قبائل الصوصو Sosso الوثنية ، حرصت أشد الحرص خلال صراعها مع دولة مالى النامية على احتلال مدينة كيتا (٦) .

اتخذ موسى ألا كوى مدينة جارب Jeriba فى كانجابا ، عاصمة له ، وقضى حياته فى التقوى والعمل الصالح ، وحج أربع مرات،

---

(١) التعريف ص ٢٨ .

(٢) العبر جـ ٥ ص ٤٣٣ .

(٣) Monteil, pp. 58-59

(٤) Church, p. 238 ; Stamp, p. 273 ; Gouilly, pp. 54-5.

(٥) Le Chatelier, p. 88

(٦) Monteil, p. 70 ، انظر مايلى .

كانت احداها حوالى عام ٦١٠ هـ / ١٢١٤ م (١) ، ويحتمل أن هذا الملك هو الذى اشـــتهر فى الكتب العربية باسم برمندانه ، وهو الثنى (٢) الذى أشار اليه المقريزى باسم سر بندانه أو برمندانه (٣) .

أنجب ألاكوى عددا من الأبناء ، من بينهم ولد اسمه نارى فامغان Naré-Famaghan أو نـــارى فاماجـــــان N. Famagon نسبة الى أمه نارى ، ولا يعرف عنه سوى انه حكم خلال الفترة من حوالى ١٢١٨ م الى حــوالى ١٢٣٠ م ، وأنه من مواليد ماندى ، واســتطاع أن يوسع من حدود دولته الناشئة ، وأنه بذل جهودا كبيرة فى نشر الاسلام بين قومه ، ولا سيما بين قبائل البامباره والبوزو Boso من فـــروع الماندنجــو (٤) .

يعرف عن نارى فامغان كذلك ، أنه اشتبك فى صراع عائلى مع اخوته الأربعة ، الذين اجتمعوا ضده ، وأنه فشل فى هذا الصراع وتشرد فترة من الزمن ، استطاع بعدها أن يعود الى عرشه .

اتخــذ نارى فامغان عاصمة جديدة لمملكته هى نارينا Naréna شرقى كيرى ، على أثر استعادته لسلطانه ، الا أن الصراع السابق أدى الى تفكك دولة الماندنجو وانفصال بعض أقاليمها (٥) .

تقول الرواية : ان فامغان هـــذا أنجب اثنى عشر ولدا ذكرا من امرأتين ، احداهما من طبقة البولا ، وهذه أنجبت أحد عشر ولدا ، والأخرى من الأحرار سليلة الأسرة المالكة السابقة ، وهى أسرة الكوناتيين ، واسمها سوجولوكوناتى Sougoulou Konaté ، وهذه أنجبــت ابنــا واحدا هــو ســـندياتا Sundiata الملقب مارى جاطه Mari Diata (٦) ويعـــرف كذلك باسم ســـندياكيتا Sundia Keïta ، وهو أصغر الاخـــوة (٧) .

---

(١) كان سلطان مصر المعاصر لحج هذا الملك ، الملك العادل سيف الدين ابو بكر الأيوبى (٥٩٦ ــ ٦١٥ هـ = ١١٩٩ ــ ١٢١٨ م) .

(٢) انظر الفصل التالى .

(٣) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ــ نشر الدكتور جمال الدين الشيال ــ ص ١١٠ ، الفتاش ص ٣٨ Delafosse, pp. 19-20; Davidson, p. 88.

(٤) Urvoy, pp. 23-24; Trimingham, pp. 14-15; Monteil, pp. 59-60; Labouret, p. 241.

(٥) Monteil, pp. 8-9, 62-66.

(٦) Monteil, pp. 65-69; Delafosse, p. 20.

(٧) Labouret, p. 203; Spitz, p. 61.

والأبناء الأولون ، هم ، بحسب أعمارهم وتوليهم العرش :

| | |
|---|---|
| ١ ــ كونتيو غوسمباكيتا | Kononiogho Simba Keïta |
| ٢ ــ كابالى سمباكيتا | Kabali Simba Keïta |
| ٣ ــ مارى تانيا كل كيتا | Mâré Taniakèle Keïta |
| ٤ ــ نوتوى مارى يرسجوى كيتا | Noutoyé Máré Yeressegué Keïta |
| ٥ ــ سوسوتورو لاكانديا كيتا | Sossotourou Lakandia Keïta |
| ٦ ــ موسوكونو ماغمبا كيتا | Mossokono Maghamba Keïta |
| ٧ ــ موسو كانداكى كيتا | Mosso Kandaké Keïta |
| ٨ ــ مانساما غمبا كيتا | Mansa Maghamba Keïta |
| ٩ ــ فينادوجو كوماغن كيتا | Firadogou Kamaghen Keïta |
| ١٠ ــ جاغا بوجارى كيتا | Gâgha Bughari Keïta |
| ١١ ــ كالابمباديوكو كيتا | Kalabamba Diokountou Keïta |

أما الابن الثانى عشر فهو :

سندياتا الملقب مارى جاطه (١) Sundiata (Mari Diata)

❋ ❋ ❋

ولى كونتيوغو سمبا كيتا ، أكبر أبناء ناى فامغان عرش مالى بعد وفاة أبيه حوالى عام ١٢٣٠ م ، لكنه تعرض لخطر سومانجورو Soumangouru امبراطور الصوصو الوثنيين (٢) فقد شن هذا الامبراطور الحرب على دولة الماندنجو وأباد الكثير من سكانها ، وقتل ملك الماندنجو خلال هذه الحرب ؛ وفى أقل من سنة

(١) Delafosse, p. 20 Monteil, p. 69

(٢) الصوصو Soso أو Su-Su فرع من الفولانيين ، هاجر من تكرور واتجه شرقا الى اقليم كانياجا Kaniaga فى حوض النيجر حيث أسس طبقة حاكمة ، ودولة الشعت فيما حولها فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ، وحطم الصوصو امبراطورية غانة الاسلامية عام ١٢٠٣ واصطدموا بدولة مالى النامية فى كانجابا . (انظر : غانة العصور الوسطى للمؤلف ص ٧٦ ــ ٧٧ .

Monteil, pp. 69-71 ; Hogben, p. 30 ; Delafosse, Sosso (Ency. of Islam) Vol. IV, pp. 89-90 ; Bovill, pp. 86-87.

واحدة قضى امبراطور الصوصو على جميــــع آبنــاء نارى فامغان ، الأحد عشر ، الذين تولوا الحكم تباعا • ويحتمل أنه أستثنى الولد الثانى عشر لصغره أو لضعفه ومرضه ، اذ كان لا يتوقع أن يعيش هذا الصبى ، أو أن هذا الصبى تمكن من الهرب (١) •

## سندياتا أو مارى جاطه
## المؤسس الحقيقى لدولة مالى
## ١٢٣٠ ــ ١٢٥٥ م

ليس من شك فى أن لهذه الرواية عن مقتل الأبناء الأحد عشر ، فى أقل من سنة ، ونجاة هذا الصبى ، وجها اسطوريا ، لكنه المتداول ، وأيا ما كان فى هذه الرواية من القدر الاسطورى ، فانه قدر لهذا الصبى أن يكون المؤسس الحقيقى لدولة مــالى •

أدرك ســـندياتا دولة آبائه وكــادت ريحهــا تذهب أمــام بطش الصوصو، بل ان رعايا مالى بدءوا يحولون ولاءهم نحو القائد المنتصر(٢) ويعد سندياتا البطــل الوطنى العظيم بين قومه (٣) ، والواقع ان تاريخ مالى المحقق يبدأ من عهد سندياتا(٤) وكغيره من عظماء التاريخ ، منشئى الدول ، حيكت حول علاقته بالصــــوصو وحول أعمــاله الأولى كثير من القصص الأسطورى المختلط بالحقائق التاريخية ، ونسبت اليه أعمال ومغامرات ، هى أقرب الى الأخبار الأسطورية منها الى التاريخ المحقق.

من ذلك ، مثلا ، ما تداول بين الماندنجــو ، من أنه عندما دخــل امبراطور الصوصو كانجابا على رأس جيشه ، هرب سندياتا الى الجنوب حيث ظل يجوب البلاد، وجمع جيشا كبيرا عاد به والتقى فى طريق عودته بعجوز منحته طلسما أو تعويذه ، تقيه أسلحة أعدائه ، ثم قصة هروب أخت ســندياتا ، واســمها ديجيــو مانيــان با Dyigiu Manian-Ba وزواجها من سومانجورو امبراطور الصوصو بالرغم من اعتراض أمها، لكنها

(١) Bovill, p. 86; Delafosse, p. 20; Labouret, p. 241; Monteil, pp. 69-70.

(٢) Fage, p. 84.

(٣) Bovill, p. 86

(٤) Monteil, p. 30; Bovill, p. 86.

كانت تدبر أمرا من وراء زواجها بعدوها ، وهو المامها بأسرار قوته وتفوقه ومواطن ضعفه ، وبعد أن جمعت هذه المعلومات هجرت زوجها وعادت الى أخيها وزودته بما جمعت ، مما كان من أسباب انتصاره فيما بعد ، وهكذا (١) .

اشتهر سندياتا بلقب مارى جاطه ، وتفسيره كما يقول ابن خلدون :

« ومعنى مارى عندهم الأمير الذى يكون من نسل السلطان ، وجاطه الأسد » (٢) ، وأورد القلقشندى هذا التفسير كذلك (٣) .

وتقول السيدة لوجارد L. Lugard :

« ان كلمة مارى هى اللقب الوراثى عند الأسلاف ، ومدلوله دون مدلول لقب ملك » (٤) ، والمقصود بذلك الأمير ، والمعنى واحد فى التفسيرين .

وقيل فى تفسير مارى كذلك ، انها تحريف لكلمة « محمدو » أى محمد ، وتنطق بصور مختلفة ، تبعا للهجات القبائل ، منها مامارى Mamari واختصارها مارى Mari (٥) . ويقول ابن خلدون : ان من معانى مارى : الوزير (٦) وهكذا .

أما اسم سندياتا ، فهو مشتق من اسم أمه سوجولو Sougoulou واختصارها سون Soun والنسبة اليها سوجولو جاطه Sougoulou Diata أو سندياتا Soundiata (٦) والمتداول المشهور فى مالى وغيرها الحاق اسم الأب أو الأم باسم الشخص، ويذكر الاسم الملحق قبل اسم الشخص، مثل نامغان جاطة Maghan Diata أو فامغان جاطة ، ومعناه : جاطة بن نامغان ، أبوه مغان منسوب لأمه نارى واختصارها « نا » (٨) . والحاق اسم الأم مشهور فى مالى وفى برنو بصفة خاصة (٨) .

---

(١) Delafosse, pp. 21-30 ; Monteil, p. 66

(٢) العبر جـ ٥ ص ٤٣٣ .

(٣) صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ .

(٤) L. Lugard, p. 119

(٥) Monteil, p. 67

(٦) Monteil, pp. 67-68.

(٧) Ibid.

(٨) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف .

والمحقق في تاريخ سندياتا ، أنه لا شك هرب أمام بطش الصوصو ، متجها نحو الجنوب ، وجمع حوله كثيراً من القبائل الصديقة والباقية على ولائها نحو أسرة كيتا ، وأخضع بفضلها القبائل المنشقة ، وبسط نفوذ الماندنجو في منطقتي سانكاران وباولى ، ثم أخذ يستعد للزحف شمالا نحو الصوصو المغتصبين (١) .

دعم ماري جاطة سلطته ونفوذه بين قومه واستعان بطائفة من الفدائيين الوطنيين في حفظ الأمن والنظام في الداخل ، وفي تحطيم الرءوس المعاندة بين الرعايا (٢) ، وقبل أن يتجه لحرب الصوصو مد نفوذ دولته على القبائل المجاورة وانتصر في جميع الحروب التي شنها مما ساعده على تثبيت قواعد ملكه ، ثم ساق قواته بعد ذلك نحو العدو الأكبر ، ويقال : انه أعد اثنتي عشرة فرقة مدربة أحسن تدريب .

كان امبراطور الصوصو في ذلك الوقت قد قرر القضاء على ماري جاطة قبل أن يستفحل أمره ، وتذرع بأن ملك الماندنجو قد اقتحم بلاد الصوصو خلال غزواته ، وهذا في الوقت الذي كان فيه سندياتا قد أكمل استعداداته الحربية ، والتقى الخصمان في وقعة فاصلة عند كيرينا Kirina (٣) عام ١٢٣٥ م ، حيث انتصر ماري جاطة وقتل امبراطور الصوصو (٤) .

وبعد هذا الانتصار ، تمزقت امبراطورية الصوصو ، واستولى سندياتا على بلاد الصوصو مثل اقليم كانياجا قلب امبراطورية الصوصو وأقاليم سانساندنج Sansanding وسيجو Segou وبللدوجو Belledougou وغيرها ؛ واستطاع فريق من الصوصو أن يغير عائدا الى بلاد تكرور ، في حوض السنغال الأدنى ، حيث تمكن من تأسيس طبقة حاكمة من الصوصو ظلت سائدة حتى حوالى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، حين قضى عليهم عنصر الجلف Woloffs (٥) .

اتسعت دولة مالي وامتدت الى مسافات بعيدة في الصحراء ، وتابع ماري جاطة انتصاراته ، لكنه أحجم عن التقدم نحو مدينة ولاته Walata

(١) Monteil, p. 70

(٢) Fage, p. 24; Bovill, p. 86.

(٣) انظر الخريطة رقم ٢ .

(٤) العبر جـ ٦ ص ٦٠٠ ،

Labouret, P. 203; Okafor, p. 28; Delafosse, pp. 27-30; L. Lugard, p. 119.

(٥) Oliver & Fage, A Short History of Africa, pp. 85-86; Fage, p. 24.

المعروفة في رحلة ابن بطوطة باسم ايوالاتن ، رعاية لحق من لجأ اليهـا من المسلمين الذين جفلوا من قبل أمام خطر الصوصو ، وكان بين هؤلاء المسلمين عدد كبير من العلماء والتجـار (١) . ويقـال أن ماري جاطة فتح مدينة جني Jenne ، على النيجر ، وهما عاصـمة دولة جني الاسـلامية ، المشهورة بكثرة علمائها من المسلمين ، وتخضع في ذلك الوقت لدولةصنغي التي لم تكن قد قويت بعد (٢) ، وكان استيلاؤه عليهـا في العام نفسه الذي حطم فيه امبراطورية الصوصو . وفي عام ١٢٤٠ م نجح ماري جاطة في تدمير ما بقي من مدينة كومبر صالح ، عاصمة امبراطورية غانه ، وهي التي أفل نجمها منذ هجرها العلماء والتجار المسلمون الى ولاته ، عنـدما هاجمها امبراطور الصوصو عام ١٢٠٣ م (٣) .

وفي عام ١٢٤٠ م نفسه ، نقل ماري جاطة عاصمة ملكه من جارب في كانجابا الى مدينة جديدة أنشأها على النيجر ، هي مدينة نياني Niani وتقع قرب اتصال النيجر بفرعه سانكاراني ، ونياني هذه هي التي اشتهرت باسم مالي أو مل أو ملي ، وصار اسمها علما على دولة الماندنجو (٤) ، وقد ذكرها صاحب الفتاش باسم « ينع » (٥) .

وسرعان ما احتلت دولة مالي ، مكانة امبراطورية غانة ، كأعظم دولة حكمت في السـودان الغربي ، وبدأ التجار من شمالي افريقية يتجهون اليها بكثرة ، ويستقرون في عاصمتها (٦) .

وخلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من حكم ماري جـاطة ، لم تقف الفتوح الخارجية ، ولكنه لم يعد يقود الجيوش بنفسه ، وانما اكتفى بقادته المدربين أحسن تدريب ؛ ومن أشـهر قادته : أماري سـونكو Amari Sonko صاحب الفضل في الانتصارات السابقة على الصوصـو ؛ تمكن هذا القائد من اضافة أقاليم جديدة، أشهرها : جانجاران Gangaran

(١) Delafosse, p. 30; Bovill, p. 87; Cooley, p. 69; Hogben, p. 30; L. Lugard, p. 119

صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣

ليو الأفريقي : الكتاب السابع ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) امبراطورية صنغي الاسلامية للمؤلف Okafor, p. 28

(٣) غانة في العصور الوسطى للمؤلف ص ٧٦ ، صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ب ق Spitz, p. 61; Delafosse, p. 30.

(٤) Cooley, pp. 61-62; Monteil, pp. 71, 89; Bovill, p. 87; Spitz, p. 62; Delafosse, p. 30.

(٥) ينع بفتح الياء وكسر النون وسكون العين (الفتاش ص ٥٦) .

(٦) Fage, p. 24

وبامبوك Bambuk وبوندو Bondu ، ووصـــل فى توغله نحـو الغرب الى وادى نهر غمبيا ومستنقعات بلاد التكرور وبلاد الجلف(١) .

وعند وفاة مارى جاطة عام ١٢٥٥ م ، نتيجة تناوله طعاما فاسدا فى أحد الأعياد بعاصمته الجديدة مالى · وكانت دولة مارى جاطة قــد امتدت من بلاد الجلف غربا عند المحيط الأطلسى الى أواسط النيجر شرقا ، ومن فوتاجالون جنوبا بغرب الى كومبى صالح عاصمة غانة السابقة شمالا، وتقدر مســاحة دولة مارى جاطة بما يزيد عن نصف مساحة أوربا كلها تقريبــا (٢) .

والمعروف أن الدولة التى أرسى مارى جاطة قواعدها فى أول عهده هى التى اشتهرت فى التاريخ باسم دولة مالى الجنوبية ، أو امبراطورية مالى الجنوبية ، وذلك بعد تدهور دولة مالى الشمالية أو الأولى ، على أيدى الصوصو ، وفرار مارى جاطة نحو الجنوب (٣) ·

ومعنى هذا أن الأسر السابقة على أسرة كيتا فى حكم دولة الماندنجو ولا سيما أسرتى التوريين والكوناتيين ، وكذلك بعض أوائل أسرة كيتا قد حكمت دولة مالى الشـــمالية التى تتكون من اقليمى كيرى ودودوجو أو ( دو ) ·

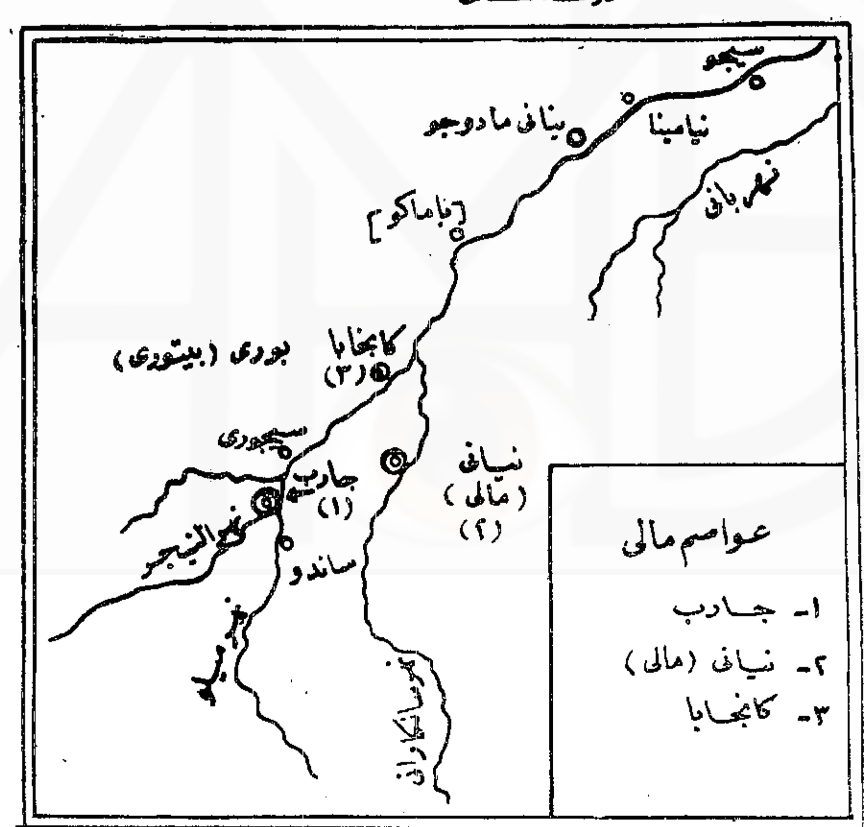
أما هذه الدولة التى تركها مارى جاطة عند وفاته حوالى عـــام ١٢٥٥ م ، فهى دولة مالى الكبرى الشاملة ، اذ استرد مارى جاطه جميع الأقاليم الشمالية التى انتزعها الصوصو ، وزاد عليها ، فالى سندياتا أو مـارى جاطة يرجع الفضـــل فى تحويل دولة الماندنجو الصـغيرة فى كانجابا الى امبراطورية مالى العظيمة أو دولة مالى الكبرى ·

---

(١) Monteil, p. 71 ; Bovill, p. 87

(٢) العبر جـ ٥ ص ٤٣٣ ، ب . Spitz, p. 62 ; Gouilly, p. 55 ; Monteil, p. 71. Fage, An Atlas of African History, pp. 18-19 ; Monteil, pp. 8-9, 30.

## دولة مالي



سيجو
نيامينا
نياني مادوجو
باماكو
نهر باني
كانجابا (٣)
بوري (بيتوري)
سيجوري
جارب (١)
نياني (مالي) (٢)
نهر النيجر
ساندو
نهر سانكاراني
عواصم مالي
١- جارب
٢- نياني (مالي)
٣- كانجابا

## دولة مالى




دولة الماندنجو زمن مارى جـــاطه

١٢٣٠-١٢٥٥ م

# الفصل الثانى

# انتشار الاسلام فى مالى

**تمهيد فى قدم الاسلام فى غربى افريقية ــ الفتح العربى الاسلام لبلاد المغرب وأثره ــ المرابطون ودورهم فى نشر الاسلام جنوبى الصحراء فى القرن الحادى عشر الميلادى ــ قصة اسلام أول ملوك مالى ــ تحديد عصره وشخصيته ــ أثر الاسلام فى مالى ــ دور مالى فى الدعوة الاسلامية ــ بلاد حوسى تعتنق الاسلام على أيدى الدعاة الماليين ــ طبيعة انتشار الاسلام فى مالى وغيرها من بلاد غربى أفريقية . المقارنة بين انتشار الاسلام وانتشار المسيحية فى بلاد السودان .**

لم يكن المرابطون أول من أدخل الاسلام الى بلاد السودان الاوسط والغربى فى القرن الحادى عشر الميلادى ــ كما هو متواتر ــ بل ان الاسلام وصل الى تلك البقاع فى القرن نفسه الذى ظهر فيه ، وهو القرن السابع الميلادى ، فقد أشار أحمد بابا مؤرخ صنغى الى وجود اثنى عشر مسجدا فى مدينة غانة (كومبى صالح) حوالى عام ٦٠هـ = ٦٧٩م(١) ، كما أن امبراطورية أودغست الاسلامية ، وهى التى كونها السوننك ، احدى فروع الماندنجو ، قامت بدور كبير فى نشر الاسلام منذ القرن

(١) غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٥٣ ، الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ١٠ .

التاسع الميلادى ، ومع أن حكام أودغست من البربر البيض من قبيلة صنهاجة ، الا أن سكانها ومؤسسيها من السوننك السودان ، وتقع هذه المدينة شمالى غربى كومبى صالح عاصمة غانة ، ويقول أبو الفداء :

« وهى فى برارى سود ان المغرب » (١) .

ولقد أسهم فى نشر الاسلام فى بلاد السودان التجار المسلمون والدعاة الذين جاءوا من وادى النيل ومصر بصفة خاصة ، ومن بلاد المغرب ، ونشطت العلاقات المتنوعة طوال عصور التاريخ المختلفة ، بحيث لم يحدث أن انعزل قلب افريقية تجاريا أو ثقافيا عن بقية أجزاء القارة ، وعن آسيا وأوربا فى أى فترة من فترات التاريخ (٢) ، وزاد الاتصال وسهلت الرحلة والنقلة منذ استخدم الجمل فى افريقية (٣).

كان للفتح الاسلامى لبلاد المغرب أثره الكبير فى دفع المسلمين شمالا حتى الاندلس وفرنسا ، وجنوبا حتى بلاد السودان ، ويقال ان حملة اسلامية وصلت فى عام ١٠٢ هـ ( ٧٢٠ م ) الى السنغال وعادت بكميات كبيرة من الذهب ، وكانت أصلا موجهة لطاردة البربر (٤) .

ليس من شك فى أن لهذه الصلات المختلفة أثرها فى التعريف بالاسلام فى بلاد السودان ، ثم جاء دور المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى .

والمعروف أن المرابطين لم يقتصر دورهم على نشر الاسلام بين

---

(١) تقويم البلدان ص ٧٢ .

(٢) Thompson & Adloff ; Blyden, pp. 6, 23 ; Hogben, p. 25, p. 571 ; Fage, An Atlas of African History, pp. 17-18.

ابن حوقل : صورة الارض ص ١٠١ .

(٣) يقال ان الجمل دخل مصر لأول مرة على أيدى الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد ، وان الاسكندر المقدونى استخدم الجمل فى حملته على سيوه فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وان يوليوس قيصر استولى على ٤٦ جملا من منطقة غربى سيوه ، ومن بعد قيصر أكثر الرومان من استعمال الجمل ، حتى ان الحملة الحربية التى قادها القائد الرومانى سبتموس فلاكوس Sep. Flaccus ، فى عام ١٩ ق.م وعبر بها الصحراء ووصل الى حدود السودان ، استخدم فيها الجمال .

(Fage, An Atlas..., pp. 17-18 ; Wiedner, pp. 27-8 ; Okafor, p. 26 ; Bovill, pp. 41-51 ; Johnston, pp. 46-48)

(٤) المغرب ص ١٧٩ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٦٠ — ٢٧٤ ، Hogben, p. 15 ; Le Chatelier, p. 127 ; L. Lugard, pp. 83-84 ; Gouilly, p. 46.

الوثنيين ، بل شمل أيضا ، اصلاح عقيدة المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام، ولكن لم يلتزموا بأحكامه ، فلم يكونوا مسلمين فى نظر المرابطين (١).

والمرابطون من صنهاجة ، وزعيمهم السياسى يحيى بن ابراهيم الجدالى ( ت ١٠٥٦ م ) ، والقطب الروحى لحركتهم عبد الله بن ياسين الجزولى ( ت ١٠٥٩ م ) ، وقد اجتمع حول ابن ياسين نحو ألف رجل، وسماهم المرابطين لأنهم لازموه فى رباطه فى جزيرة فى البحر عند مصب السنغال ، أو للزومهم رابطته ، وفى هذا المصطلح أيضا معنى ترابط المجاهدين ووحدتهم (٢) .

حرض ابن ياسين رجاله على الجهاد فى سبيل الله ، فنشطوا فى نشر العقيدة الاسلامية والتعاليم الاسلامية الصحيحة ، وأسلم على أيديهم من لم يعتنق الاسلام من بربر الصحراء أمثال جداله ولمتونة ومسوفه وغيرهم (٣) .

اتجهت حركة المرابطين بعد ذلك للجهاد فى بلاد السودان ، فى حياة ابن ياسين ، وفى زمن امارة أبى بكر بن عمر اللمتونى ( ت ١٠٨٧ م ) ، وكانت تعاليم المرابطين قد اجتذبت الكثير من زعماء التكرور والماندنجو(٤) واحتلوا بعد ذلك مدينة كومبى صالح عاصمة غانة عام ١٠٧٦ م وعينوا عليها حاكما مسلما (٥) .

يقول القلقشندى :

« فلما أسلم الملثمون من البربر ، تسلطوا عليهم — أى على ملوك السودان — بالغزو حتى دان الكثير منهم بالاسلام » (٦) .

لم يكتف المرابطون بالتحول الاسمى للاسلام ، بل أرسلوا العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة ، وبفضل هذه الحركة

---

(١) ابن الاثير جـ ٩ ص ١٣١ ، روض القرطاس ص ٨٧ — ٨٩ .

(٢) الاستقصاء جـ ٢ ص ٨ ، المغرب ص ١٦٦ ، روض القرطاس ص ٨٣ — ٨٥ ، ارنولد : الدعوة الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٣٥٢ — ٣٥٣ ، قيسام دولة المرابطين ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٣) المغرب ص ١٦٤ — ١٦٨ ، الاستقصاء جـ ٢ ص ٩ — ١٠ ، روض القرطاس ص ٩١ — ٩٤ Guilly, p. 49

(٤) المغرب ص ١٥٣ — ١٥٤ ، تقويم البلدان ص ٦٠ — ٦٢ .
Bovill, p. 73 ; Thompson & Adloff, p. 571.

(٥) L. Lugard, p. 93 ; Hogben, p. 27.

(٦) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ .

نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الاسلامى ، ولا سيما شمالى أفريقية وأسبانيا الاسلامية ، وهذا ما أتاح الفرصة لنشر الأفكار المتطورة والمدنية الاسلامية بين السود (١) هذا والمرابطون هم الذين أنشئوا مدينة تنبكت ، على منحنى النيجر . وسرعان ما أصبحت مركزا اسلاميا وثقافيا وتجاريا فى بلاد السودان(٢)

ويشبه المرابطون فى حركتهم ونشاطهم من بعض الوجوه تلك الفرق الحربية الدينية التى اشتهر أمرها خلال الحروب الصليبية ، ولا سيما فرقة الداوية : Knights Teplars التى قامت فى القدس فى القرن الثانى عشر الميلادى (٣) .

هكذا كان دور المرابطين ، وقد عرفت مالى الاسلام كغيرها من بلاد غربى افريقية ، قبل حركة المرابطين وخلال حركتهم ، وازداد عدد الداخلين فى العقيدة الاسلامية بفضل المرابطين من غير شك ، ولعل من أبرز خصائص انتشار الاسلام فى بلاد السودان أنه ابتدأ بالطبقات العليا والأسر الحاكمة ، ثم انتشر بعد ذلك بين الرعايا ، وتوضح لنا قصة اسلام أول ملوك مالى هذه الحقيقة ، وان لم توضح أن الاسلام دخل مالى لأول مرة فى عهد ذلك الملك .

يقول البكرى :

« عرف ملك مالى بالمسلمانى ، لأن بلاده أجدبت عاما بعد عام ، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرىء القرآن ويعلم السنة ، فشكا اليه الملك مادهمهم من ذلك ، فقال له : أيها الملك ! لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام ، وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك ، وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك ، فلم يزل به

---

(١) Gorer, p. 45 ; Pedler, p. 60 ; L. Lugard, pp. 108-111 ; Thompson & Adloff, p. 571 ; Rouch, La Religion..., p. 12 ; Millet, Les Almoravides, pp. 51-61 ; Hodgkin, T., Islam and Nationa movement من بحوث مؤتمر الدراسات الأفريقية فى التاريخ والآثار ـ لندن ـ يوليو ١٩٦١ )

(٢) السعدى ص ٢٠ — ٢١ . L. Lugard, pp. 113-114

(٣) Richard, Le Royaume Latin du Jerusalem, pp. 104-112 ; La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingodm of Jerusalem, pp. 29, 215-225 ; Runciman, A History of the Crusades, II, p. 157.

حتى أسلم وأخلص نيته ، وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه ، وعلمه من الفرائض والسنن مالا يسع جهله ، ثم ( أمهله ) الى ليلة جمعة ، فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا ، وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده ، وبرزا الى ربوة من الارض ، فقام المسلم يصلى والملك عن يمينه ، يأتم به ، فصليا من الليل ما شاء الله ، والمسلم يدعو والملك يؤمن ، فما انفجر الصباح الا والله قد أعمهم بالسقى . فأمر الملك بكسر الدكاكير ـ أى الأصنام ـ وأخرج السحرة من بلاده ، وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته ، وأهل مملكته مشركون ، فوسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلمانى » (١) .

تلك هى قصة اسلام أول ملوك مالى كما ترويها بعض المراجع العربية ، وكما نقلها عنها بعض كتاب الغرب .

لم يوضح البكرى اسم الملك الذى أورد قصة اسلامه ، وان أوضح أنه كان يوجد ببلاده أحد العلماء المسلمين الذين يقومون بالدعوة الاسلامية ، وان الاسلام لم يكن غريبا فى مالى عندما أسلم هذا الملك .

أما المقريزى والقلقشندى ، فقد أشارا الى اسم أول من أسلم من ملوك مالى ، وهو « برمندانه » ، غير أن ابن خلدون ( ت١٤٠٥م ) كان دقيقا حين قال ما مؤداه : ان برمندانه هذا كان أول من حج من ملوك مالى ، ولم يقل أول من أسلم ، وعبارته :

« وتحولت الأحوال باستمرار العصور ، فاستولى أهل مالى على ما وراءهم ، ودخلوا فى دين الاسلام منذ حين من السنين ، وحج جماعة من ملوكهم ، وأول من حج منهم برمندار ، وسمعت فى ضبطه برمندانه » (٢) .

وذكر القلقشندى ( ت ١٤١٨ م ) اسم أول من أسلم وحج من ملوك مالى فى قوله : « وكان ملوك مالى قد دخلوا فى الاسلام منذ زمن قديم ، وأول من أسلم منهم ملك اسمه برمندانه ، وحج بعد اسلامه ، فاقتفى سننه فى الحج من جاء بعده من الملوك » (٣) .

---

(١) المغرب ص ١٧٨ .

(٢) العبر جـ ٥ ص ٤٣٣ .

(٣) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ .

وقال المقريزى ( ت ١٤٤٢ م ) :

« ويقال ان أول من أسلم منهم ملك اسمه سربندانه ، ويقال برمندانه » (١) .

* * *

تتضمن عبارة ابن خلدون أن الاسلام قديم فى بلاد مالى ، وأن أول من حج من ملوكها قد لا يعنى بالضرورة أنه أول من أسلم من الملوك ، ويؤيد هذا رواية شفوية متداولة بين الوطنيين فى مالى ، مؤداها أن مؤسس أسرة النزوريين فى حكم مالى ، واسمه منسانوفن تراورا(٢) قد اعتنق الاسلام (٣) ، وربما كان هذا الملك أو غيره ممن سبقه ، وليس ممن جاء بعده ، هو المعنى فى عبارة البكرى ، اذ المعروف أن اعتناق الاسلام فى غربى افريقية ، كان سطحيا ، وعلى الأقل فى أول انتشاره ، وليس هناك ما يمنع أن يوجد ملوك أسلموا ، وجاء بعدهم ملوك ظلوا على الشرك ، قل عددهم أو كثر ، والمعروف كذلك أنه حتى من الملوك المسلمين فى مالى وغيرها ، فضلا على الرعايا المسلمين من كان يمارس التقاليد الوثنية الموروثة مع اسلامهم .

أما تحديد شخصية الملك برمندانة ، الذى ورد فى عبارات المؤرخين العرب ، فهناك شخصيتان تاريخيتان ، فيما أعلم ، بهذا الاسم ، من بين ملوك مالى ، احداهما من أسرة الكوناتيين ، التى سبقت أسرة كيتا فى حكم مالى ، تلك هى شخصية مانسا بورماندانه الذى كان يعيش فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ويعاصر المرابطين ، ويؤرخ لاسلام وحج هذا الملك بحوالى عام ١٠٥٠ م (٤) ، وربما كان اسم برامندانة تحريفا لجورماندانا . والشخصية الاخرى التى اشتهرت باسم برمندانة من

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ .

(٢) لعل «الملازم موسى تراورى رئيس اللجنة العسكرية للتحرر الوطنى ورئيس دولة مالى» الحالى ، من سلالة هذه الأسرة ، وهو الذى تولى الحكم فى مالى فى ١٩ نوفمبر ١٩٦٨م بعد الرئيس السابق موديبوكيتا ، الذى ينتمى الى أسرة كيتا ، والمعروف أن سلالة التروريين وأسرة كيتا لايزال الكثير منهم موجودا الى اليوم ، وتعرف سلالة اسرة تراورا بالتروريين أو النوفيين .

(٣) Monteil, pp. 53-55 ; Labouret, p. 242 راجع ما سبق .

(٤) Delafosse, pp. 19-20 ; Monteil, pp. 59-60.

أسرة كيتا ، التى يؤرخ لقيامها فى عرش مالى بحوالى عام ١١٥٠ م (١) أى بعد حوالى قرن من عهد برمندانة الكوناتى ، تلك هى شخصـــــية موسى ديجيو الذى كان يحكم فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى والذى اشتهر باسم اللاكوى (٢) ، وكذلك باســـم سربنـــدانه Serebendana الذى قد يكون محرفا الى برمندانة ، بحسب رواية المقريزى ٠

ويمكن القـول : أن المعنى باسم برمندانة فى روايات ابن خلدون والقلقشندى هو برمندانة الأول من أسرة الكوناتيين ٠

وأنه ليس أول من أسلم وقد لا يكون أول من حج كذلك ، وأن المعنى فى عبارة البكرى قد يكون منسانوفن تراوراً ٠ يقول هنرى لابورى:

« أسلم برمندانه وحج حوالى عام ١٠٥٠ م » (٣) وعن ترمنجهام :

« حج برمندانة سيد مالى فى القرن الحادى عشر الميلادى » (٤) وتقول السيدة لوجارد :

« كان ملوك مالى فى نهـــاية القرن الحـادى عشر مسلمين ، أما أغلب الرعايا ، فكانوا على الوثنية » (٥) .

ويقول دولافوس :

« انه بعد حوالى قرن من اسلام برمندانة ، انتقل العرش فى مالى الى أسرة كيتا ، وذلك حوالى ١١٥٠ م » (٦) .

* * *

لقد كان الماندنجو ، من أكثر شعوب غربى آفريقية تمسكا بالاسلام وتحمسا له ، وازداد انتشاره بينهم ، وأصبح دين الدولة الوسمى ٠ وكان المذهب السنى المالكى هو الذى ساد فى دولة مالى وفى أغلب دول غربى افريقية الاسلامية ، وقد أشـار منساكنكن موسى ( ت ١٣٣٧ م )

---

(١) Delafosse, p. 20

(٢) راجع ماسبق ٠

(٣) Labouret, p. 240

(٤) Trimingham, p. 85 ، انظر كذلك Reeve, p. 17.

(٥) L. Lugard, p. 103

(٦) Delafosse, p. 20

خلال مروره بالقاهرة فى رحلة حجه ، الى أنه مالكى المذهب ، واشترى وهو فى مصر بعض الكتب فى فقه المالكية (١) ٠

ومن مظاهر تمسك دولة مالى بالاسلام شدة الحرص على تعليم القرآن للصبية ، وقد شهد ابن بطوطة خلال رحلته فى مالى ( ١٣٥٢ ـ ١٣٥٣ م ) كثيرا من هذه المظاهر ، منها أنه دخل على قاضى مالى يوم العيد ، فوجد أولاده فى القيود ، فقال : « ألا تسرحهم ؟ فأجابه القاضى: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن (٢) » ومر ذات يوم وهو فى مالى بشباب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وفى رجليه قيد ثقيل ، فسأل مرافقه عما ارتكبه هذا الشاب من جرم،وعلم أخيرا أنه قيد حتى ينتهى من حفظ القرآن (٣) ٠

كذلك شهد ابن بطوطة صلاة الجمعة فى مالى ومدى ازدحام المصلين ، وضرورة التبكير فى التوجه الى المسجد حتي يظفر المصلى بمكان يجلس فيه (٤) ، وهناك المساجد التى انتشرت فى جميع أرجاء دولة مالى ، ويذكر عن أشهر ملوك مالى ، وهو كنكن موسى ، أنه كان يبنى مسجدا فى كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها (٥) ، كما عرف منساسليمان ( ت ١٣٦٠ م ) بنشاطه وحرصه على الاسلام ومؤسساته، يقول القلقشندى :

« وبنى المساجد والمنارات وأقام الجمع والجماعات والأذان ، وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك » (٦) ٠

وتمتع العلماء المسلمون بمكانة سامية فى دولة مالى ، حتى فى عهدها الوثنى ، وتدلنا قصة اسلام منسانوفن تراورا ، على مدى ماظفر به علماء المسلمين ودعاتهم من احترام وتسامح (٧) ، وحدث مثل ذلك فى دولة غانة فى عهدها الوثنى ، حيث كان علماء المسلمين يتولون أعظم المناصب فيها (٨) ٠

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٣ ٠
(٢) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٢٢ ٠
(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣٣ ٠
(٤) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٢٢ ٠
(٥) السعدى ص ٧ ٠
(٦) صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ ٠
(٧) راجع ماسبق ٠
(٨) غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٥٨ ٠

وهذا سندياتا ، بطل مالى الوطنى ، يحجم عن متابعة العلماء المسلمين الذين لجئوا الى ولاته فرارا من بطش الصوصو عام ١٣٠٢ (١) .

على أن دولة مالى لم تكتف باعتناق الاسلام والحرص على مظاهره وعلومه ، وانما أخذت تدعو له بين الوثنيين ، حتى ان الدور الذى قامت به فى نشر الاسلام ، يعد من أهم مراحل انتشار الاسلام فى افريقية جنوبى الصحراء (٢) ، واقترنت جميع فتوحها الحربية بالدعوة الاسلامية ، يقول العمرى :

« وملك مالى فى جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان » (٣) .

واشتهر بالدعوة الاسلامية من الماندنجو فرعان من فروعهم ، هما : الديولا والسوننك ، حتى آن كلمة سوننك صارت مرادفة لكلمة داعية (٤) .

والى دولة مالى وشعوب الماندنجو يرجع الفضل فى نشر الاسلام فى بلاد الهوسا ، منذ حوالى القرن الثالث عشر الميلادى (٥) ، والهوسا يطلقون على الماندنجو اسم « الونقارة » (٦) .

ففى زمن حكم الساركس ياجى بن تسامبا ( ٧٥٠ — ٧٨٧ هـ = ١٣٤٩ — ١٣٨٥م) فى كانوا ، أهم دول الهوسا ، وفد على بلاد الهوسا عدد من العلماء المسلمين من مالى ، ويتزعم هذا الفريق من العلماء عالم اسمه عبد الرحمن زيت ، وعددهم حوالى ٤٠ عالما ، منهم فامورى ، بلقاسم ، جوردومس ، لول ، أوتا ، ماندوالى وغيرهم .

أمر هؤلاء العلماء الساركس بأن يحافظ على أوقات الصلاة ، فرحب بهم وأكرمهم ، واتخذ جوردومس اماما له ، كما اتخذ لول مؤذنا ، وكان العالم أوتا هو الذى يتولى الاشراف على ذبح الحيوانات ، وعهد بالقضاء الى العالم عبد الرحمن زيت ، وبفضل علماء مالى ، استقامت أمور الاسلام

(١) راجع ماسبق .
(٢) الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ١٧ — ١٨ .
(٣) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .
(٤) انظر الخريطتين رقم ٣ ورقة ٤ راجع : Trimingham, pp. 1314.
(٥) L. Lugard, p. 247 ; Hogben, p. 10.
(٦) راجع ماسبق .

فى كانو ، وانتصر ساركس كانو على الوثنيين ، ويقال أن علماء مالى حاربوا الاعداء الوثنيين بسهام السحر ، واستجاب الله دعاءهم (١) .

وفى دولة كشنه (٢) ( كاتسنا ) من دول الهوسا ، كان اسلام الساركس محمد كورا الذى ولى عرش كشنه عام ١٣٠٠ م ، على أيدى علماء مالى ، وبعهد هذا الساركس ، يبدأ حكم الملوك المسلمين فى كشنه (٣) .

وكان العلماء والدعاة المسلمون القادمون من مالى الى بلاد الهوسا يحضرون معهم الكتب الاسلامية فى الدين واللغة (٤) .

وليس من شك فى أن وجود نحو ٤٢٠٠ عالم مسلم فى القرن الثانى عشر فى جنى التى يحكمها ملك من الماندنجو (٥) ، يدل دلالة واضحة على نشاط الدعوة الاسلامية فى بلاد مالى وغيرها ، بصرف النظر عن صحة هذا الرقم ، وما قد يكون فيه من مبالغة أو عدم الدقة ، لكنه على الأقل يلقى ضوءا على ازدهار الدعوة الاسلامية ومدى التسامح والترحيب اللذين ظفر بهما دعاة الاسلام فى تلك البلاد .

❋ ❋ ❋

هكذا كان انتشار الاسلام فى مالى وحرص ملوكها وعلمائها على التمسك بمظاهره فضلا على الدعوة له ، أما عن طبيعة انتشار الاسلام فى مالى وغيرها من دول السودان الأوسط والغربى ، وتفسير سرعة انتشاره وقبوله ، فانه من الملاحظ ، لأول وهلة ، أن الاسلام فى أفريقية جنوبى الصحراء ، ظفر بأقوى القبائل وأعظمها شأنا ، وأنه هو الذى أدى الى قيام الامبراطوريات الاسلامية الكبرى فى جميع بلاد السودان ، من المحيط الاطلسى غربا الى مملكة سنار الاسلامية شرقا فى حوض النيل .

لقد جاء الاسلام الى الزنوج وهم سادة فى أوطانهم يتمتعون بكامل الحرية والسيادة والاستقلال والقوة ، ويمارسون حكوماتهم وينظمون شئونهم الخاصة ومجتمعاتهم ، فلم يكن لدعاة الاسلام من العرب والبربر أو ناشريه أدنى قسط من السيطرة ، وأن كان نفوذهم الروحى عظيما ، لكنه مقبول عن رضى واقتناع .

---

(١) دول الهوسا الاسلامية للمؤلف ، راجع
Palmer, Sudanese Memoirs, III, pp. 104-106

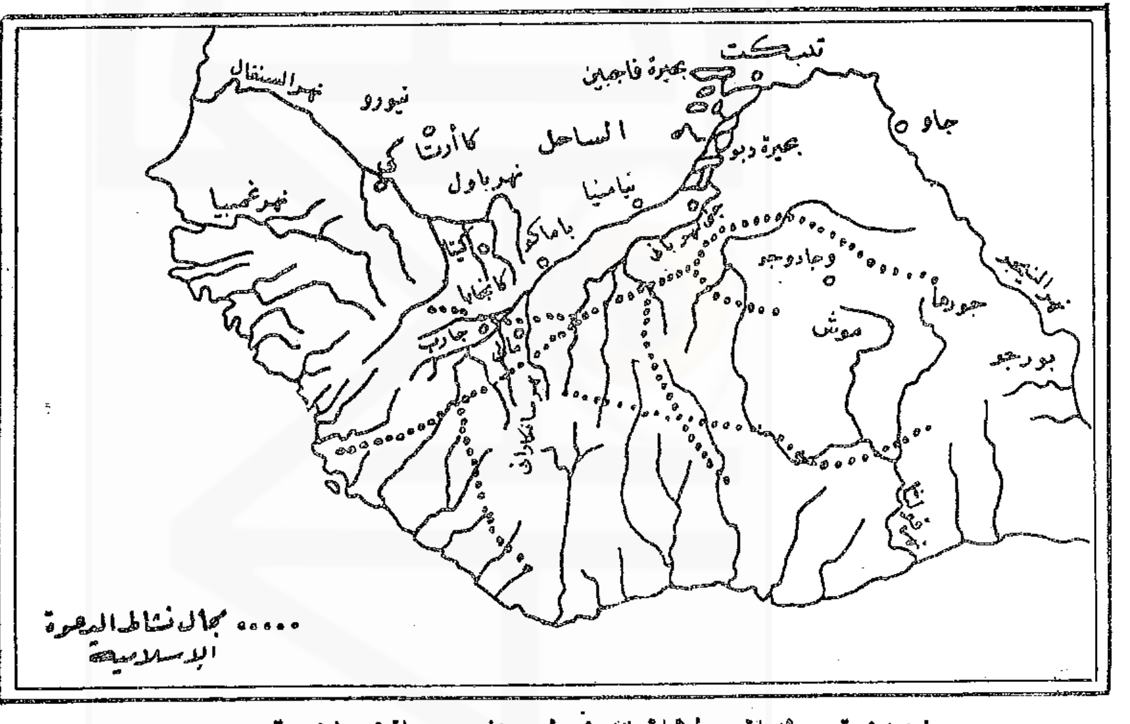
(٢) الصيغة العربية عن السعدى وصاحب الفتاش .

(٣) Palmer, Op. cit., p. 80.

(٤) Ibid., pp. 110-111

(٥) السعدى ص ١٢ — ١٣ .

الدور الثالث من أدوار نشر الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية
على أيدي قبائل الماندنجو




نشاط قبائل الديولا الماندنج في الدعوة الإسلامية

يقول بليدن Blyden :

« اذا دخل المعلم المسلم قرية وثنية بكتبه وأوراقه ومسبحته ، سرعان ما يلتف حوله الناس ، وسرعان ما يبدأ فى حل مشاكلهم » (١) . واذا عرض الاسلام على الوثنى ، كان له أن يختار بين القبول أو الرفض بحرية تامة ، ولم يكن مع دعاة المسلمين نقود للرشوة أو وعود جوفاء ، فقد دعوا لدينهم فى هدوء (٢) ، بل ان مالى فى ذروة مجدها تركت كثيرا من الوثنيين آثروا البقاء على دينهم ، وكان ملك مالى المسلم متأثرا بأسطورة اشاعها الوثنيون ، أن الذهب يندر وجوده اذا فشا الاسلام بينهم ، ولما كان هؤلاء الوثنيون عماد اليد العاملة فى استخراج الذهب ، فقد تسامح ملك مالى ، وتركهم على دينهم (٣) .

هذا وكان الدعاة المسلمون يمتزجون بالزنوج بالمصاهرة والاختلاط ويذوبون فى المجتمع الافريقى ، دون قهر أو ضغط ، ولذلك تقبل السود الاسلام وقاموا بدورهم بنشره بين مواطنيهم ، ولا أدل على ذلك من دعاة الماندنجو الذين انبثوا فى جميع بلاد غربى أفريقية ، وكذلك دعاة الفولانيين الذين حملوا لواء الدعوة (٤) .

لذلك لم يؤد الاسلام الى تدمير النظم المحلية القائمة ، مما ساعد على قوة البناء الاسلامى الوطنى الذى قام فى غربى افريقية ، لأنه استند الى البناء الوطنى ولم يدع الى هدمه ، بل ان الوطنيين أنفسهم هم الذين اختاروا الصور الجديدة للحياة .

ويعلق بعض الكتاب المسيحيين على سرعة انتشار الاسلام فى افريقية السوداء بقوله : « ان السر فى نجاح الدعاة المسلمين فى مهمتهم فى افريقية السوداء ، هو أنهم احترموا العادات والتقاليد المحلية ولم يحتقروها ، وهذا ما ينبغى أن تحذو البعثات المسيحية حذوه » (٥) .

ولعل من أبرز خصائص انتشار الاسلام فى افريقية السوداء ، وأبرز عوامل سرعة انتشاره وحسن قبوله ، أن البلاد الاصلية التى جاء منها الاسلام وهى : الحجاز ومصر وبلاد المغرب ، لم يكن لها أى نوع من الاشراف أو السيادة أو الحماية ، فالاسلام فى أفريقية السوداء ، قد ترك

---

(١) Blyden : Christianity, Islam and the Negro Race, pp. 202-3

(٢) Blyden : pp. 13-14

(٣) التعريف ص ٢٧ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ، أنظر مايلى .

(٤) امبراطوريه الفولانيين الاسلامية للمؤلف .

(٥) Smith, B., Mohammed & Mohammedanism, Lond. 1847 ; Blyden, pp. 22-23.

الوطنيين سادة على أنفسهم وعلى بلادهم ، على عكس مافعلت المسيحية(١)

يقول بليدن المسيحى الليبيرى المثقف (٢) :

« لقد جاءت المسيحية الى الافريقى باعتباره عبداً أو على الأقل بوصفه خاضعا محكوما ، فتعلم الزنجى وبنوه من بعده ، بجانب تعاليم المسيحية أنه جنس منحط عديم الأهلية والكفاءة ، وأنه دون معلمه وحكـــامه البيض » .

وفى موضع آخر يقول :

« لقـد دهـم المستعمر الأوربى الوطنيين الافريقيين ، واجبرهم على اعتناق المسيحية بمختلف الوسائل والاغراء، واستولى على بلادهم بالعسف والقهر والتفرقة ، وأنزلهم منزلة دون منازل الانسانية ، لذلك بات أعظم المثقفين من الزنوج يتطلعون الى اليوم الذى يزول فيه أثر لندن وباريس ولشـــبونة » (٣) .

وبينما يشـعر الافريقى المسلم أن الاســـلام لم يقطعه عن ماضيه وعن مجتمعه ، نجد الاستعمار الأوربى قد جعل المسيحى الافريقى حائرا فلا هو قريب من مجتمعه ، ولا هو مقبول عنـد المستعمر الاوربى لـكى ينتسب الى الحضارة الاوربية ، فحرمه المستعمر الثقافة المعقولة والحقوق الانسانية الطبيعية المتاحة للمسيحى الابيض ، وذلك على عكس الاسلام الذى اعترف منذ فجر ظهـوره فى افريقية بالمســـاواة التـامة ، وكفل للمسلمين جميع حقوقهم دون نظر الى لون أو جنس .

وبسبب هذه العوامل مجتمعة ، كان الاسلام أسبق من المسيحية فى

---

(١) Blyden, pp. 12-13, 353-4

(٢) الدكتور ولموت بليدن E.W. Blyden . ممن تعرضـــوا للاضـــــطهاد فى الولايات المتحدة فى القرن الماضى بسبب لونه ، فلم يستطع أن يكمل دراسته ، ونصح بالسفر الى ليبيريا ، والتحق باحدى المدارس الكنسية ، وتخرج فيها وتولى عدة مناصب ثقافية وسياسية ، وقام برحلة الى الشرق لدراسة اللغة العربية وجمع المخطوطات العربية (١٨٦٩) ، زار فى رحلته مصر وسوريا ، وكتب عدة مقالات عن الاسلام والمسيحية ونشرها فى فترات مختلفة ثم جمعها فى كتاب تحت عنوان :
Christianity, Islam and the Negro Race.
ونشر هذا الكتاب فى لندن عام ١٨٨٨ م .

(٣) لاشك أن أثر هذه العواصم الأوربية قد زال الآن بعد يقظة افريقية واستقلال المستعمرات ، باستثناء بعض البلاد التى تتمسك بها لشبونة رغم الحركات الاستقلالية التى تشتغل الآن فى المستعمرات الافريقية الباقية .

الوصول الى بلاد غربى أفريقية ، بالرغم من أن ظهور الاسلام جاء بعد ظهور المسيحية بنحو خمسة قرون ، ومن العجيب أن عدد المسلمين لم يزدد بسرعة كبيرة فى بلاد غربى افريقية الا فى زمن الاستعمار رغم نشاط البعثات التبشيرية المسيحية التى يساندها الاستعمار .

يقول الرحالة منجوبارك M. Park :

« لقد عمل الاسلام على تطوير بلاد الزنوج ولا يزال يعمل » .

ويقول القمص(١) ستانلى فى كتابه عن الكنيسة الشرقية :

« لا يمكن أن ننسى أن الاسلام هو الديانة السامية الوحيدة التى أدت الى تقدم وتطور قارة افريقية الواسعة ، ومهما كان مستقبل المسيحية فى افريقية ، فليس هناك أدنى شك فى أن هذا المستقبل سوف يتأثر نتيجة لحماسة الزنوج المسلمين » (٢) .

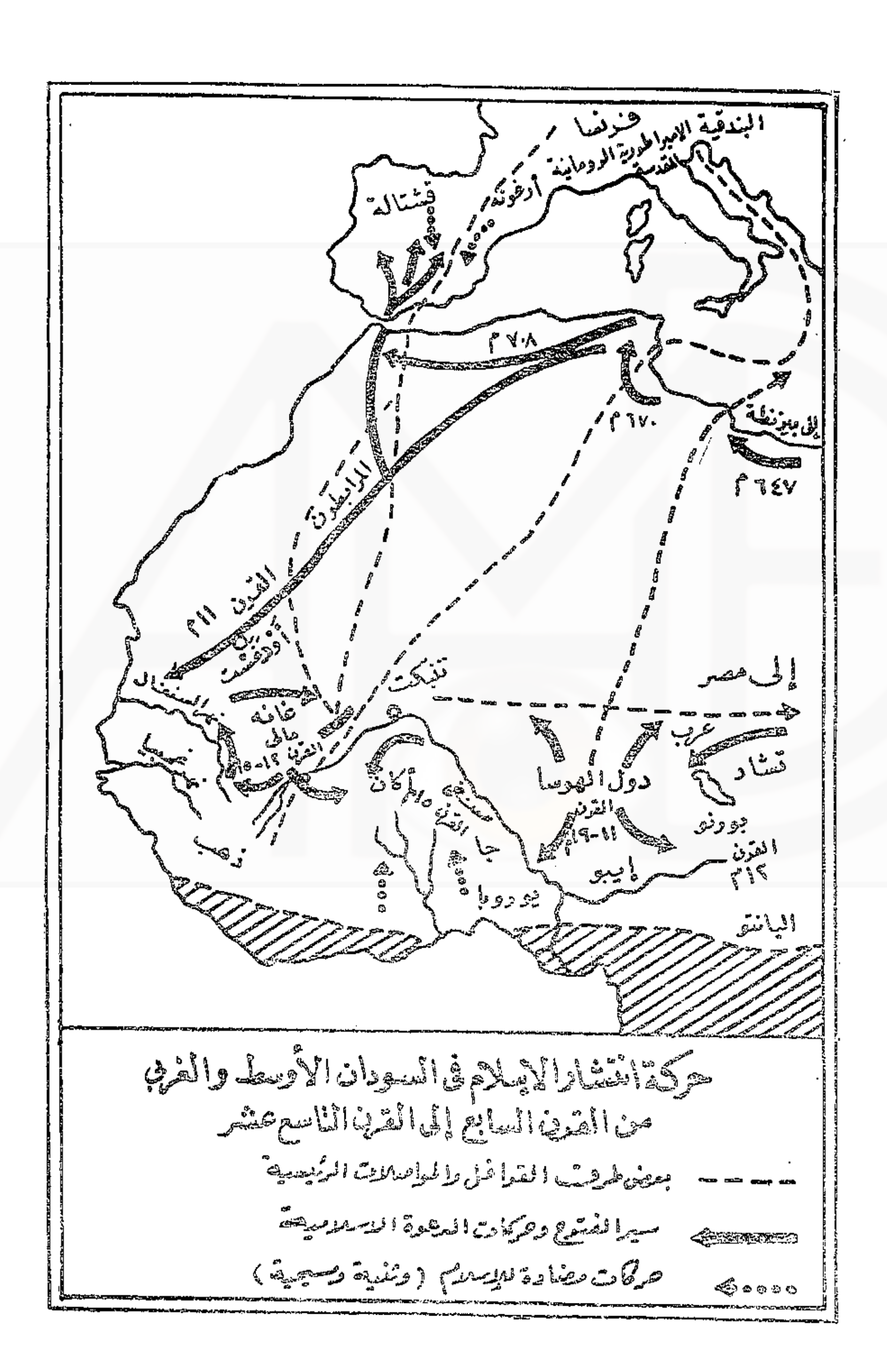
وقد اقترن انتشار الاسلام والعلوم الاسلامية ، بانتشار اللغة العربية وعلومها ، اذ سارت الدعوة الاسلامية جنبا الى جنب مع اللغة العربية والعلوم العربية على اختلافها (٣) .

---

(١) Blyden, pp. 5, 18-20

(٢) أنظر : الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٢٤ ــ ٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٣١ ومابعدها .




حركة انتشار الإسلام في السودان الأوسط والغربي
من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر

# الفصل الثالث

## خلفاء ماري جاطه
## ١٢٥٥ - ١٣١٢م

**منسا على (١٢٥٥ - ١٢٧٠ م) - اتساع مساحة دولة مالى - السيادة على صنغى - رهائن صنغى - استغلال مناجم الذهب فى ونقاره وأهميتها لدولة مالى - فترة الاضطرابات (١٢٧٠ - ١٢٨٥ م) - عهود : ولى وخليفة وابى بكر - فرار رهائن صنغى - المغتصب سيكره (١٢٨٥ - ١٣٠٠ م) اعادة هيبة مالى واتساعها - حجه وزيارته مصر زمن الناصر محمد بن قلاوون - مقتل سيكره ١٣٠٠ م - فترة اضطربات أخرى (١٣٠٠ - ١٣١٢ م) - عهود : قو ومحمد وأبى بكر ٠**

تولى الحكم فى دولة مالى منسا ولى Ule or Ouali بعد وفاة أبيه مارى جاطه عام ١٢٥٥ م ، ويفسر القلقشندى كلمة ولى بمعنى على(١) وينعت دولافوس هذا السلطان باسم : « السلطان الأحمر » ومعناه الأبيض ، وربما لأن لونه لم يكن صريحا فى التزنج أو السواد » (٢) ٠

عرف منسا على بالتقوى والصلاح، وقد زار مصر فى طريقه الى الحج

(١) صبح الاعشى جـ ٥ ص ١٩٣ ، انظر كذلك : Monteil, p. 75

(٢) Labouret, p. 241 ; L. Lugard, p. 119 ; Monteil, p. 75.

عام ٦٥٨ هـ/١٢٥٩ م ، زمن السلطان الظاهر بيبرس (١) ، ويعد منساعلى من أعظم سلاطين هذه الفترة فى القرن الثالث عشر الميلادى (٢) .

استفاد على من خدمات قادة أبيه ومستشاريه ، منهم موسى سنكروما سيسوكو M.S. Sissoko ، الذى أسس مملكة فى بانبوك Banbouc والقائد سرماكيتا Sirma Keïta مؤسس مملكة كونكو دوجو Konkodougou والقائد سانى نيانجا Sané Nianga من سلالة أسرة الترورببن المالكة السابقة ، والى هذا القائد الأخير ، يرجع الفضل فى تأسيس مملكة سانجاران Sangaran (٣) ؛ وكل هذه اضافات لدولة مالى ، وتجميع لشعوب الماندنجو فى وحدات منظمة ، والملاحظ أن كلمة مملكة هنا مرادفة لكلمة مقاطعة أو ولاية .

ومن الحوادث الهامة زمن منسا على ، بسط نفوذ مالى على دويلة صنغى الناشئة فى حوض النيجر الأوسط ، غير أن جاو Gao العاصمة ، قد امتنعت على مالى (٤) ، وصنغى هى التى صارت امبراطورية عظيمة فيما بعد ، فاقت مساحتها مساحة مالى (٥) .

أخذ منسا على رهائن من صنغى ، ليضمن خضوعها واستسلامها ، وكان ملك صنغى المعاصر زاياسبى ، من أسرة الازواء ، وكان ولدا زاياسبى من الرهائن ، وهما : على كولسن وأخوه سلمان نار (٦) يقول السعدى: « وكانت هذه عادة ملوك السودان ، أن يستخدموا أولاد الملوك الذين فى طاعتهم ، ومن هؤلاء من يرجع بعد الخدمة الى بلاده ، ومنهم من يبقى فيها حتى يموت » (٧) .

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ — ١١١ ، صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ ،
Le Ckatelier, p. 81 ; L. Lugard, p. 119 ; Monteil, p. 75.

(٢) صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ .

(٣) Delafosse, pp. 28-29 ; Monteil, p. 75.

(٤) وردت كلمة «جاو» عاصمة صنغى ، بصور مختلفة ، منها : كاغ — كوغا — كوكو — كاغو — كركر .

( امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف — معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٩٥ ، السعدى ص ٧ ، ليو الافريقى : الكتاب السابع ص ٢٨٩ — ٢٩٠ ، العبر جـ ٥ ص ٤٣٤ ، جـ٦ ص ٢٠٠ ، الفتاش ص ٤٥ ، صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٨٥ .
(L. Lugard, p. 120 ; Cooley, pp. 103-104

(٥) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف .

(٦) السعدى ص ٧ .

(٧) السعدى ص ٦ — ٧ .

وخـلال الفترة الاخيرة من حكم مارى جاطة وطوال عهـد ابنه على بسط الماندنجو سلطانهم على حقول الذهب فى ونقاره ، وهذه المنطقة لم تخضع من قبل لحكم غانه أو الصوصو (١) .

والواقع ان شهرة مالى وعظمتها ، وهى الشهرة التى طبقت أوربا والشرق بعد ، لم ترجع الى سـعة مساحتها وترامى أطرافها ، بقـدر ما ترجع الى ضخامة ثروتها ، وغناها الذى صار مضرب الأمثـال ، وهى الثروة التى تدفقت عليها من حقول الذهب .

كانت امبراطورية غانة قبل ذلك قد اشتهر بكثرة الذهب لديها ، لكنها لم تتحكم فى منابعه ، وانما حصلت عليه عن طريق التجارة (٢).

وتشمل منطقة ونقارة أربعة أقاليم :

١ ــ بامبوك الواقعة بين السنغال الأعلى وفرعه فاليم .

٢ ــ بور عند التقاء النيجر الأعلى برافده تنكسو .

٣ ــ لوبى عند أعالى نهر فولتا .

٤ ــ أشانتى داخل جمهورية غانة الحديثة .

وفى هذه الأقاليم وغيرها يستبدل الملح بالذهب ، لعـدم وجود الملح بها ، عن طريق التجارة الصامتة (٣). وقد كثر الذهب فى دولة مالى ، وشاعت أخبـار هـذا الثراء فى بلاد المغرب وأوربا حتى ان بعض الكتاب كتب يقول :

« لا يوجد هنـاك شـعب أثرى من الماندنجـو فى الذهب والفضـة » (٤) .

ويقول الفع محمود كعت :

« وقيل ان مل مشتمل على نحو أربعمـائة مدن ، وأرضها كثيرة الخير ، ليس فى مملكة سلاطين الدنيا غير الشام أحسن منها ، وأهلهـا ذو ثروة ورفاهة عيش ، وحسبك بمعدن الذهب فى أرضه » (٤) .

---

(١) Labouret, p. 241 ; Wiedner, p. 35 ; Fage, p. 26.
ــ ١٤ ، Davidson, p. 84 ; Bovill, pp. 191-192-202.

(٢) انظر غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٢ ــ ٦٤ ، نزهة المشتاق ص ١٣

(٣) أنظر مايلى وراجع غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٤ ــ ٦٦ .

(٤) Bovill, pp. 194-195

(٥) الفتاش ص ٣٨ ــ ٤٠ .

ولم يكن استخراج الذهب أمرا عسيرا ، فقد بلغ من كثرته أنه كان يوجد قريبا من سطح الأرض ، يقول العمرى : «تحفر الحفرة عمق قامة، فيوجد الذهب فى جنباتها ، وربما يوجد مجتمعا فى أسفلها » (١) . وفى موضع آخر يقول :

« نبات الذهب بها ــ أى مالى ــ يبدأ فى شـــهر أغشتبت ، ويقع والله أعلم ، أنه مركب من تموز وآب ــ أى يوليو وأغســطس ــ حيث سلطان الشمس قاهر، وذلك عند أخذ النيل ــ أى السنغال ــ فى الارتفاع والزيادة ، فاذا انحط النيل ، تتبع حيث ركب عليه من الأرض ، فيؤخذ منه ما هو نبات يشبه النجيل وليس به ، فمن قرامية الذهب ، ومنـــه ما يوجد كالحصى ، والأول أفحل وأخلص وأقوم فى العيار » (٢) .

اعتمد سادة مالى على الرعايا الوثنيين فى أعمال المنـــاجم والحفر لاستخراج الذهب وذلك لمهارتهم فى ذلك العمل ، غير أن محاولة حكام مالى المستمرة لنشر الاسلام بين الرعايا الوثنيين ، أدت أحيانا الى توقف هؤلاء العمال الوثنيين عن العمل فى المناجم ، لذلك تسامح ســادة مالى معهم ، حتى يضمنوا استغلال مناجم الذهب ، وكان المصــــدر الرئيسى لثروتهم وتجارتهم (٣) .

يقول العمرى :

« وعنده ــ أى ملك مالى ــ أمم من الكفار لا يأخذ منهم جزية ، وانما يستعملهم فى استخراج الذهب من معادنه (٤) » .

وشرح العمرى فى موضع آخر موقف ملك مالى المسلم من عمال الحفر الوثنيين ، فقال :

« وقد جرب أن بلاد منابت الذهب متى أخذت وفشا فيها الاسلام والأذان ، عدم نبات الذهب ، فصاحب مالى يتركها لذلك لأنه مسلم ، وله عليها اتاوة كبيرة مقررة ، تحمل اليه فى كل سنة (٥) .

---

(١) مسالك الابصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٢) التعريف ص ٢٧ .

(٣) Bovill, p. 87

(٤) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٥) التعريف ص ٢٧ .

ونقل القلقشندى عن الشيخ سعيد الدكالى :

« أن فى طاعة سلطانها ــ أى مالى ــ بلاد مغارة الذهب ، وهى بلاد همج ، وعليهم اتاوة من التبر ، تحمل اليه فى كل سنة ، ولو شاء أخذهم ، ولكن ملوك هذه المملكة ــ أى مالى ــ قد جربوا ، أنه ما فتحت مدينة من هذه المدن ، وفشا بها الاسلام ، ونطق بها داعى الأذان، الا قل بها وجود الذهب ، ثم يتلاشى حتى يعدم ، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار ، فرضوا منهم ببذل الطاعة وحمل مقرر عليهم » (١) .

وليس من شك فى أن ملك مالى كان متأثرا بتقليد وثنى قديم ، أو أن الوثنيين الذين قاوموا الاسلام ولم يقبلوا الدخول فيه أشاعوا هذه الخرافة أو امتنعوا عن استخراج الذهب وأشاعوا أن ندرة الذهب بسبب انتشار الاسلام . ومن ناحية أخرى ليس هناك ما يمنع من القول بأن ملك مالى تسامح مع الوثنيين .

الخلاصة : ان سيطرة مالى على حقول الذهب فى ونقاره ، أدت الى عظم ثروتها ورخائها وقوتها فضلا على شهرتها ، حتى ان السودان الغربى ظل أعظم مصدر للذهب لعالم البحر المتوسط منذ العصور الوسطى حتى تم كشف أمريكا (٢) .

* * *

وبعد وفاة منسا على بن مارى جاطة ، تعرضت مالى لفترة اضطرابات استمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر ، الا أن هذه الفترة لم تخل من بعض الأعمال الكبرى التى زادت فى قوة مالى ، كما زادت فى مساحتها وفى هيبتها .

وفى خلال هذه الفترة ــ التى تقدر بنحو ثلاثين سنة ــ ما لا يقل عن سبعة ملوك ، جميعهم من أسرة كيتا ، باستثناء واحد منهم ، هو المغتصب سيكره (٣) .

وأول ملوك هذه الفترة : منسا على أو ولى ، وهى سمى سلفه وأخوه ، حكم أربع سنوات ( ١٢٧٠ ــ ١٢٧٤ م ) ، وليس فى تاريخه شىء يذكر ،

---

(١) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧ .

(٢) Davidson, p. 84

(٣) صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ .

Monteil, p. 77 ; Labouret, p. 241 ; Fage, p. 26

وجاء بعــده أخـــوه « خليفة » ( ١٢٧٤ ــ ١٢٧٥ م ) ، لكنه كان أحمق ضعيفا « يرمى الناس بالسهام فيقتلهم » ، كما يقول القلقشندى ، ولذلك ثار عليه أهل مملكته ، وتعصب ضده رجال البلاط وقتلوه واختاروا سبطا من أسباط مارى جاطه ، هو أبو بكر بن بنت مارى جاطه ، وذلك فيما يقـــول القلقشـــــندى : « على قاعدة العجـم فى تمليك البنت وابن البنت (١) » .

وخلال الفتنة التى انتهت بقتل خليفة ، وتولية أبى بكر ، هرب رهائن صنغى ، وعاد على كولسن وأخوه سلمان نار الى بلادهما حوالى عام ١٢٧٥ م (٢) يقول السعدى :

« خرج الأخوان يريدان الاستقلال ببلاد سغى ، فأرسل ملك مالى فى أثرهمـــا ليقتلهما ، لكنهما انتصرا ، وتسلطن على كولسن على أهل سغى وتسمى بسن (٣) ، وانفصل عن ملى ، وخلفه أخوه سلمان نار ، ولم يتجاوز ملكهم سغى وما حولها (٤) » .

استمر أبو بكر حفيد مارى جاطة فى الحكم لمدة عشر ســـنوات ( ١٢٧٥ ــ ١٢٨٥ م ) حتى وثب عليه مولى من موالى أسرة كيتــا ، هو سيكره أو ســاكوره Sakoura أو Zakoura تولى سيكره (٥) الحكم فى مالى ( ١٢٨٥ ــ ١٣٠٠ م ) وبالرغم من أنه مغتصب ، الا أنه حاول أن

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ ، أنظر كذلك : Monteil, p. 76.

(٢) Monteil, p. 76

(٣) يعرف «سن على» كذلك باسم «شى عال» وهى نفس التسمية ، وشى كما يفسرها صاحب الفتاش ، تعنى : كى بنند أى خليفة السلطان أو بدله أو عوضه . وباستعادة شى عال أو سن على استقلال بلاده ، حوالى عام ١٢٧٥ م ، تقوم أسرة جديدة فى حكم صنغى فى اسرة «سن» نسبة الى لقبه ، ولكنه من سلالة أسرة الأزواء الحاكمة ، وقد توارث خلفاؤه هذا اللقب ، تيمنا به . مثل شى مادعو ، شى محمد كوكيا ، شى محمد قار ، وآخر هؤلاء «شى عال» ، الذى أخذ اسم مؤسس الاسرة ، وهو آخر أسرة الأزواء . تولى عام ٨٦٩ هـ/ ١٤٦٤ م وتوفى عام ٨٩٧ هـ/١٤٩٢ م ، وبوفاته تنتهى أسرة الأزواء ، وتقوم أسرة جديدة فى حكم صنغى هى أسرة لاساكى (امبراطورية شنغى الاسلامية للمؤلف ، الفتاش ص ٤٢ ــ ٤٣ ، ٥٣ ، السعدى ص ٧١ ــ ٧٢) .

(٤) السعدى ص ٦ .

(٥) الصيغة العربية عن القلقشندى وابن خلدون والمقريزى (صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٤ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ، ج ٦ ص ٢٠٠ ، الذهب المسبوك ص ١١١ . وقد وردت بصور مختلفة منها : ساكوره وساكبوره وصاكوره) .

يظهر بمظهر الحاكم القوى الذى يعيد الى مالى هيبتها وقوتها ، وحرص أشد الحرص على تقوية الدولة ومد نفوذها .

بدأ سيكره باخضاع صنغى التى خرجت على سيادة مالى ، واستولى على العاصمة جاو ، وهى التى امتنعت على أسلافه ، وكانت جاو مزدهرة فى ذلك الوقت (١) . يقول ابن خلدون عن سيكره :

« وهو الذى افتتح مدينة كوكو (٢) » ، وفى موضع آخر يقول :

« وافتتح بلاد كوكو وأصارها فى مملكة أهل مالى (٣) » .

وعن القلقشندى :

واتسع نطاق مملكته – أى مملكة سيكره – وغلب على البـــلاد المجاورة له ، وفتح كوكو ، واستضافها ، واتصل ملكه من البحر المحيط الغربى الى بلاد تكرور ، فقوى سلطانه ، وهابته أمم السودان ، ورحل اليه التجار من بلاد الغرب وافريقية (٤) » .

ولم يفت سيكره أن يقوم بأداء فريضة الحج ، فأداها عام ١٣٠٠م، زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية ( ١٢٩٨ – ١٣٠٨م ) ، وزار مصر فى طريق سفره (٥) .

وكانت رحلة سيكره الى الأراضى أول رحلة نعرف عنهـــا بعض التفاصيل ، فقد اتخذ طريق القوافل الشرقى عبر النيجر الى تيبستى الى واحات مصر الى مصر ، وخلال عودته عام ١٣٠٠ م قتـــــل على أيدى الدناقل (٦) ، ولكن رجاله حملوا جثته معهم وأودعوها عند ماى البرنو، وهو يومئذ بيرى ابراهيم بن دوناما ( ١٢٨٨ – ١٣٠٦ م ) (٧) ، وعندما بعث ماى البرنو الى مالى بهذا الخبر ، أرسل ولى الأمر حينئذ بعثة حملت الجثة الى مالى (٨) .

---

(١) L. Lugard, p. 120; Hogben, p. 30; Monteil, pp. 77-82; Dubois, pp. 29-37; Rouch. Les Songhay, p. 8; La Religion, p. 12

(٢) العبر جـ ٥ ص ٤٩٤ .

(٣) العبر جـ ٦ ص ٢٠٠ .

(٤) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٦٤ ، أنظر كذلك العبر جـ ٥ ص ٤٣٤ ، جـ ٦ ص ٢٠٠ .

(٥) الذهب المسبوك ص ١١١ ، صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ ، L.: Lugard, p. 119; Le Chatelier, p. 81

(٦) الدناقل من القبائل المتجولة على ساحل البحر الأحمر الغربى من ناحية الجنوب .

(٧) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف Gouilly, p. 185

(٨) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ ، Monteil, p. 77

وبعد مقتل سيكره ، عاد عرش مالى الى أسرة كيتـــا ، فولى منهم منساقو بن ماري جاطه ( ١٣٠٠ ـ ١٣٠٥ م ) وخلفــه من بعــده ابنه مامادو ( محمد ) ( ١٣٠٥ ـ ١٣١٠ م ) ، وبعد وفاة محمد بن قو ، وقعت اضطرابات وفتن في مالى ، انتهت بنقل العرش الى أبناء أخت ماري جاطه ، فولى شخص يسمى أبا بكر لمدة سنتين ( ١٣١٠ ـ ١٣١٢ م ) .

ليس في عهود هؤلاء السلاطين ما يســـتحق الذكر ، فهى فترة اضطرابات وفتن (١) ، أقرب ما تكون الى فترات الانتقال بين العهــود العظيمة ، فلقد كان العهد السابق عهــد ماري جاطة والعهد اللاحق عهد منسا موسى أعظم سلاطين مالى على الاطلاق .

(١) مسالك الابصار جـ ١ ق ٣ ورقة ٣٠٥ ، صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ ، العبر جـ ٦ ص ٢٠٠ ، Monteil, pp. 83-84, 101-102.

# الفصل الرابع

## دولة مالي الإسلامية في ذروة مجدها

## السلطان كنكن موسى

## (٧١٢ـ٧٣٨ هـ = ١٣١٢ـ ١٣٣٧ م)

**شخصية السلطان موسى والقابه ـ ولايته ـ اتساع الدولة في زمنه : اخضاع مابقي من أملاك غانة ـ اخضاع بلاد التكرور ـ فتح جاو عاصمة صنغي ١٣٢٥ م ـ اخضاع تنبكت ١٣٢٩/١٣٣٠ م ـ أقاليم مالي الأربعة عشر ـ مساحة مالي زمن موسى تعدل مساحة كل دول غربي أوربا ـ حجه وموكبه ٧٢٤ هـ/١٣٢٤ م ـ استقباله في القاهرة ـ سفره الى الحجاز وعودته ـ اقتراضه ووفاؤه بديونه ـ ذيوع شهرة مالي ـ ظهور مانسا موسى في خرائط العالم التي صدرت في أوربا في العصور الوسطى .**

السلطان موسى ، أعظم سلاطين مالي على الاطلاق ، وهو أبرز شخصية تاريخية في أسرة كيتا (١) ، ولقد طبقت شهرته الآفاق ، لما بلغته مالي في عهده من عظمة وقوة واتساع وثروة ونفوذ وتنظيم (٢) .

وصفه الفقيه المؤرخ أحمد بابا ( ت ١٦٢٧ م ) بأنه يتمتع بقوة

(١) Gouilly, p. 55.

(٢) Fage, p. 26

هائلة وأن مطامعه لا تحد ، وأتاه التوفيق في جميع مشروعاته السياسية والحربية ، واشتهر بأنه صديق البيض ، أو على حد تعبير ابن بطوطه : «يحب البيضان ويحسن اليهم (١)» ، ثم انه الرجل المثقف الورع العادل الذى يجيد اللغة العربية (٢) ، أقام علاقات ودية مع الدول الاسلامية المعاصرة ، في مصر وبلاد المغرب، وفتح بلاده للاجئين منمسلمى الأندلس وعلمائهم أمام حركة الاضطهاد المسيحى لهم (٣) ، حتى قيل فى هذا الصدد : « ان فقد أسبانيا الاسلامية كان كسبا لافريقية الشمالية وافريقية السوداء (٤) » .

قال القلقشندى عن السلطان موسى :

« كان رجلا صالحا وملكا عظيما ، له أخبار فى العدل تؤثر عنه ، وعظمت مملكته فى أيامه الى الغاية ، وافتتح الكثير من بلاد السودان ، ذوات أعمال وقرى وضياع (٥) » .

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٩ ، أنظر كذلك :
Okafor, p. 28; Davidson, p. 90.

(٢) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ ، صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٥ ، أنظر مايلى .

(٣) كانت أسبانيا الاسلامية فى ذلك الوقت ، خلال القرن الرابع عشر الميلادى ، تعانى من ضغط المماليك المسيحية فيها ، فقد اشتدت حركة « الاسترداد المسيحى » Christian Reconquesta ، وذلك بعد ان تمزقت الوحدة الاسلامية فيها بقيام ملوك الطوائف منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، وبدخول المرابطين اسبانيا ، ومن بعدهم الموحدون ، بعثوا فى مسلمى الأندلس بعض الحياة والقوة ، ولكن الى حين ، فقد تزعمت مملكة قشتالة المسيحية حركة الصراع التى أخذت صبغة صليبية ، ولاسيما بعد فشل الحروب الصليبية فى الشرق ، اشتدت هذه الحركة على أيدى الملوك الكاثوليك والكنسية الكاثوليكية ، ولم يبق للمسلمين فى اسبانيا سوى امارة غرناطة ، وهى التى سقطت نهائيا أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، ولقد نكل المسيحيون بالمسلمين أشد تنكيل ، وكان المسلمون يتدفقون خلال ذلك الصراع المرير على شمالى افريقية .

( انظر . ابن الخطيب : اعمال الأعلام ص ٢٤١ ــ ٢٤٨ ، ٢٦٥ ومابعدها ، المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ص ٥٢١ ومابعدها ، عنان : نهاية الأندلس ص ١٢٧ ومابعدها ) فشر ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ــ الترجمة العربية ــ ص ٣٨٦ ، المسلمون فى أوربا للمؤلف ص ومابعدها ،

Brook, A Hist. of Europe, pp. 114-115; Dogy, Les Musulmans de l'Espagne, II, pp. 182 et suiv.; Albert de Cicourt, Histoire des Mores, pp. 272-275; Lane Poole, The Story of Nations, pp. 180, 214-268; Green, Renaissance and Reformation, pp. 60-65.

(٤) L. Lugard, p. 122: Hogben, pp. 21-24.

(٥) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ .

وعن السعدى انه :

« رجل صالح عادل ، لم يكن فيهم — أى سلاطين مالى — مثـله فى الصلاح والعدل (١) » .

واشتهر فى أوربا بأنه :

« موسى مالى سيد زنوج غينيه (٢) » .

Musa Mali, Lord of negroes of Guinea

اشتهر السلطان موسى بالكرم والعطاء ، ولا سيما لعلماء المسلمين ، وحسبنا دليلا على ذلك ، ما أورده ابن بطوطة ، نقلا عن الفقيه مدرك بن فقوص ، أن « منسا موسى كافأ رجلا من أهل تلمسان بسبعين مثقالا من ذهب ، نظير سبعة مثاقيل وثلث ، كان قد أعطاها لمنسا فى صـباه ، فقـالوا له : « الحسنة بعشر أمثالها .. » (٣) ، كما أنه أعطى الفقيه المذكور « ثلاثة مثقال فى يوم واحد » (٤) ، وأعطى العالم أبا اسحاق الساحلى فى يوم واحد أربعة آلاف مثقال (٥) ، وهكذا .

❊ ❊ ❊

عرف السلطان موسى باسم : منسا كنكن موسى

Mansa Kankan Musa

أو كونكور موسى Kounkour أو جونجو أو كونجو أو كانجو .

Gongo — Kongo — Kango

والفرنسيون هم الذين استخدموا الصيغ الأخيرة ، وكلها منسوبة الى أم السلطان موسى واسمها نانا كانجو Nan Kango والنسبة الى الأم أمر مشهور عند أسرة كيتا وعند غيرها من الأسر المالكة فى غربى افريقية مثل دولة البرنو (٦) .

وعند أهـل مالى ، يعرف السـلطان موسى باسم « كى مل » أو « مل كى كنكن موسى » ، وكى بمعنى حاكم (٧) ، فيكون المعنى : كنكن موسى حاكم مالى .

---

(١) تاريخ السودان ص ٧ .

(٢) Bovill, pp. 87, 91 ; Okafor, p. 29 ، انظر الخريطة القطالونية

(٣) ، (٤) ، (٥) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٩ — ٤٢٠ ، ابن خلدون جـ ٦ ص ٢٠١ .

(٦) Baulin, p. 26 ; Bovill, p. 87 ; Monteil, pp. 101-103 امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ، راجع ماسبق فى الفصل الأول .

(٧) السعدى ص ٨ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٧ ، انظر الألفاظ الاصطلاحية .

والسلطان موسى هو ابن أبى بكر السلطان السابق ، يقول ابن حجر فى ترجمته :

« موسى بن أبى بكر سالم التكرورى ، ملك التكرور (١) » . ولى العرش حوالى عام ١٣١٢ م ، على أرجح التواريخ ، أى بعد وفاة مارى جاطه المؤسس الحقيقى لدولة مالى ، بما يزيد قليلا على نصف قرن (٢) .

سأله الأمير أبو الحسن على ، والى مصر ، زمن الناصر محمد بن قلاوون ، وكان ، معينا لمرافقته خلال اقامته بمصر ، عن سبب انتقال الملك اليه ، فأجابه :

ان الذى قبلى ، كان يظن أن البحر المحيط له غاية لا تدرك ، فجهز مئين سفن وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفد أزوادهم، فقاموا مدة طويلة ، ثم عاد منهم سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم ، فقال : سارت السفن زمانا طويلا ، حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة واد له جرية عظيمة — أى تيار بحرى عنيف — فابتلع تلك المراكب ، وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتى ، فلم يصدقه ، فجهز الفى سفينة : الف للرجال وألف للأولاد ، واستخلفنى ، وسافر بنفسه ، ليعلم حقيقة ذلك ، فكان آخر العهد به وبمن معه (٣) .

وأيا كانت الطريقة أو الأحوال التى ولى فيهما منسا موسى عرش مالى ، فانه خلف أباه أبا بكر حفيد مارى جاطة . وتابع خطة سلفه العظيم مارى جاطة فى توسيع رقعة بلاده ، فاستولى على ما بقى من امبراطورية غانه ، فى مطلع حكمه ، كما استولى على اقليم زاغا Zagha وهو تكرور الغربية ، ومن أشهر مدن التكرور التى خضعت لسلطان مالى مدينة سلى (٤) ، التى وصفها الادريسى بقوله : انها « مدينة حاضرة وبها مجتمع السودان ، ومتاجر صالحة ، وأهلها أهل نجدة (٥) » .

---

(١) الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٢) Bovill, p. 90; Okafor, p. 19; Hogben, p. 31; Monteil, p. 84; Trimingham, p. 258; Gouilly, p. 55

(٣) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٣ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ ، Davidson, p. 77

(٤) الصيغة العربية عن المراجع العربية ، وتكتبها المراجع الاجنبية Silla .

(٥) نزهة المشتاق ص ٣ ، انظر كذلك ، ليو الافريقى : الكتاب السابع ص ١٦٤ — ١٦٥ ، Hogben, p. 33; Okafor, p. 29; L. Lugard, pp. 104, 113; Cooley, p. 91

ويبدو أن صنغى الناشئة ، كانت كثيرة الخروج على سلطان مالى فقد سبق اخضاعها مرتين ، احداهما زمن على بن مارى جاطة الأول والأخرى زمن المغتصب سيكوره الذى تمكن من اخضاع العاصمة جاو لكنها لم تثبت على الطاعة ، وهذا ما حمل قادة منسا موسى على اخضاعها من جديد ، وكان ذلك عقب عودة السلطان من حجه عام ١٣٢٥ م ، فقد نجح القائد سقمنجه (١) Sagaman فى الاستيلاء على عاصمة صنغى (٢) .

عرج موسى بعد ذلك على جاو ، حيث مكث بعض الوقت ، وبنى فيها مسجدا كبيرا . يقول السعدى :

« وذلك عادته ، رحمه الله ، فى كل موضع أخذته الجمعة فيه (٣) »

ويبدو أن نفوذ مالى قد استتب هذه المرة ، وطوال عهد موسى ، اذ أنه استعاد الرهائن وأحكم الرقابة عليهم . فهدأت الأحوال ، وانتظمت صنغى فى دفع الجزية ، حتى علق السعدى على ذلك بقوله :

« السلطان كنكن موسى أول من ملك سغى من سلاطين ملى (٤) ، حقيقة لم يكن موسى أول من ملك صنغى ، لكنه أول من دعم نفوذ مالى فيها (٥) .

أما مدينة تنبكت ، وكانت خاضعة لصنغى ، فقد قاومت بعض الوقت ، الى أن تمكن السلطان موسى من فتحها عام ١٣٢٨/١٣٢٩م (٦) ، ويعد موسى هنا أول من فتح تنبكت من ملوك مالى رحب سكانها به ، بسبب تعسف صنغى وارهاقهم بالضرائب ، وفى تنبكت بنى موسى دارا للسلطنة ، أو دارا للحكم ، وتعرف هذه الدار ، بلغة الماندنجو « مع دك » أى دار السلطان ، وموضعها أصبح فيما بعد مجزرة للجزارين (٧) .

---

(١) الصيغة العربية عن ابن خلدون جـ ٦ ص ٢٠٠ .

(٢) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، Labouret, p. 241

(٣) السعدى ص ٧ .

(٤) السعدى ص ٥ – ٦ .

(٥) راجع ماسبق .

(٦) Okafor, p. 29 ; Bovill, p. 89 ; Davidson, p. 91 ; Hogden, pp. 31-33

(٧) السعدى ص ٧ – ٨ ، ٢٢ ، أنظر معجم الألفاظ والمصطلحات .

لكن حدث بعد مغادرة موسى للمدينة ، أن هاجمتها قبائل موش Mossi الوثنية حوالى عام ١٣٣٠ م ونهبتها وخربتها ، ثم جلت عنها (١) ، فعادت الى نفوذ مالى ، وظلت على ذلك نحو قرن، الى أن انتزعتها منها صنغى فيما بعد ، حين قوى شأنها (٢) .

لم يبق خارجا عن سيادة مالى فى حوض النيجر سوى دولة جنى Jenne (٣) ، التى نجحت فى الاحتفاظ باستقلالها رغم قربهامن عاصمة مالى، وساعدها على ذلك أنها كانت محمية بشبكة من المجارى المائية (٤) ، ويقال أن جنى قاومت ٩٩ غزوة من قبل مالى (٥)، ولذلك احتفظت بسيادتها واستقلالها تحت حكم ملوكها الوطنيين، وهؤلاء الملوك من المالنك ، أو الماندنجو ، الا أنهم آثروا الاستقلال وعدم الاندماج فى دولة مالى ، وهى دلة الماندنجو الكبرى ، ومع ذلك قبلت أن تدفع الجزية لملوك مالى ، على أن تظل محتفظة باستقلالها وسيادتها (٦) . كذلك لم تخضع دولة موش الوثنية لمالى ، وتقع فى حوض نهر فولتا (٧) .

الخلاصة :ان دولة مالى الاسلامية ، بلغت فى عهد منسا موسى ، ذروة مجدها وقوتها واتساعها ، ووصلت الى أقصى ما وصلت اليه من اتساع ، وحدودها من بلاد التكرور غربا عند شاطىء المحيط الأطلسى الى منطقة دندى Dendi ومناجم النحاس فى تكده Takedda مركز القوافل شرقا ( شرقى النيجر ) ، ومن مناجم الملح فى تاغازه Taghaza فى

---

(١) السعدى ص ٦٩ — ٧٠ ،

Urvoy, p. 28 ; Gouilly, pp. 52-53 ; Bovill, p. 244 ; Le Chatelier, pp. 120, 134 ; Mélanges Ethnologiques, p. 21

(٢) عن تاريخ مدينة تنبكت واهميتها وتطور احوالها ، انظر : السعدى ص ٢٠ — ٢٢ ، ٢١٣ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٩٥ ، ليو الافريقى ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ،

Spitz, p. 62 ; Bovill, pp. 42, 89-93 ; Labouret, p. 241 ; Marty pp. 1-2 ; Hogben, pp. 31-33 ; Davidson, p. 91 ; L. Lugard, pp. 113-114, 126, Le Chatelier, p. 81.

(٣) الصيغة العربية عن السعدى وصاحب الفتاش .

(٤) Hogben, p. 30 ; L. Lugard, p. 146 ; Bovill, pp. 90-91.

(٥) Okafor, p. 28 ; Bovill, pp. 102-103

(٦) Marty, p. 139 ; Hogben, pp. 30, 41 ; L. Lugard, p. 146.

(٧) عن اخبار موش وفروعهم وتاريخهم ، راجع :

Urvoy, p. 28 ; Monteil, p. 147 ; Church, p. 256 ; Bovill, 104 ; Gouilly, pp. 52-53 ; Spitz, p. 65 ; Le Chatelier, pp. 120-122.

والموش حاليا يكونون أغلب سكان جمهورية فولتا العليا التى استقلت عام ١٩٦٠ .

الصحراء شمالا الى فولتا جالون ، ومناجم الذهب فى ونقارة جنوبا بغرب ، وحاذت الحدود الجنوبية منطقة الغابات الاستوائية (١) .

عن الأمير أبى الحسن على بن أمير حاجب والى مصر ، أن السلطان موسى : « فتح بسيفه ٢٤ مدينة من جديد من السودان ذوات أعمال وقرى وضياع (٢) » .

وعن أبى سعيد الدكالى « طول هذه المملكة أربعة شهور وأزيد ، وعرضها مثل ذلك ، وهى مربعة ، وتقع جنوبى مراكش وداخل بر العدوه جنوبا بغرب حتى المحيط (٣) » . ويصفها القلقشندى بقوله :

« وجميعها مسكونة الا ما قل » (٤) .

وعن العمرى والقلقشندى والمقريزى ، نقلا عن أبى سعيد الدكالى، أن مالى فى ذروة مجدها ، كانت تضم أربع عشرة مملكة أو أربعة عشر اقليما ، بما فيها مالى ، وهى :

| | |
|---|---|
| ١ ـ غانه | ٨ ـ بيرا أوبيط (٥) |
| ٢ ـ زاقون | ٩ ـ دمورا |
| ٣ ـ ترنكا | ١٠ ـ زاغا |
| ٤ ـ تكرور | ١١ ـ كابرا |
| ٥ ـ سنغانة | ١٢ ـ براغودى |
| ٦ ـ بانبغو | ١٣ ـ كوكو |
| ٧ ـ زرنطانبا | ١٤ ـ مالى (٦) |

وتقدر مساحة مالى زمن السلطان موسى بمساحة كل دول غربى أوربا مجتمعة ، على أنه اذا قورنت بالامبراطورية الشرقية القديمة ، من حيث السعة وتباعد الأطراف ، قد تكون مالى أقل نسبيا ، ولكنها على أية حال ، كانت خلال القرن الرابع عشر الميلادى من أعظم الدول أو الامبراطوريات المعاصرة (٧) .

---

(١) Fage, p. 26, Davidson, pp. 90-91 ; Bovill, p. 90 : L, Lugard, p. 46 ;
انظر خريطة مالى Wiedner, p. 35. زمن مانسا موسى

(٢) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٣ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٤ .

(٣) مسالك الابصار جـ ٢ ف ٣ ورقة ٤٩٤ ـ ٤٩٥ .

(٤) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٢ .

(٥) ذكر السعدى (ص ١١ ـ ١٢) اسم «بيط» ، راجع كذلك :
Bovill, pp. 128, 192-193

(٦) المسالك جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٤ صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٦ ،
Monteil, pp. 88-89.

(٧) Wiender, p. 35 ; Spitz, p. 62 ; Davidson, pp. 90-91



دولة مالي
في أقصى اتساعها
زمن
مانسا موسى
في القرن الرابع عشر الميلادي
الحدود التقريبية لدولة مالي
حدود دولة صنغي الإسلامية عليها بعض المعالم الحديثة
رأس بوجادور
أدرار
وادان
تغازة
توات
تغازة الغزلان
توديني
أروان
جبال هجر
ولاته
تنبكت
جني
هومبوري
جاو
تكدة
تدمكه
أغاديس
نيامي
كاتسينا
كانو
كبي
بورجو
بوسا
بنين
أشانتي
نهر غمبيا
الرأس الأبيض
الرأس الأخضر
أوليل
تكرور
أودغست
فوتاتورو

لقد فاقت دولة مالى سالفتها غانه ، من حيث العظمة والقوة والثروة والاتساع والشهرة ، فقد ضمت داخل حدودها مناجم الذهب والنحاس والملح ، وتحكمت فى طرق القوافل بين هذه المناجم شمالا وجنوبا(١) ، هـــذا وتعد مالى بسعتها وجهـــاز ادارتهـا من ناحية أخرى دليلا حيا واقعيا على قدرة السود فى التنظيم السياسى والاستثمار الاقتصادى(٢) .

* * *

هكذا كان اتساع وشهرة مالى ، وقد زاد فى شهرتها وبعد صيتها وأكسبها رواء وبهاء وفخامة ، ذلك الموكب الفخم الذى سافر فيه موسى لأداء فريضة الحج عام ١٣٢٤م ، وقد انتشرت أخبار حجه وما وقع له فى رحلته فى الذهاب والعودة ، وخلال اقامته بالقاهرة ، وصلت الى أوربا والى جميع أرجاء العالم الاسلامى ، مما اسبغ على دولة المالندنجو وثروتها مسحة اسطورية .

حقيقة سبقه من ملوك مالى من أدى فريضة الحج وزار مصر ، الا أن موكب كنكن موسى عام ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤م ، هو الذى بهر مصر والحجاز والعالم الأوربى ، من حيث الفخامة والروعة ودلائل النعمة والترف(٣) .

روى صاحب الفتاش سببا مباشرا لحج منسا موسى ، قال :

«ولحجه سبب حكاه لى الطالب الحافظ لقصائص الأوائل وهومحمد قم رحمه الله ، ذكر أن ملكى كنك موسى ، هو الذى قتل أمه نانا كنك خطأ ، وأسف لذلك وندم وخاف عقوبة ذلك ، وتصدق بمال جسيم وعزم على صوم الدهر ، وسأل بعض علماء زمانه عما يفعل فى الاستغفار لهذا الذنب العظيم ، فقال له : أرى أن تفزع الى رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهرب اليه وتدخــل فى حرمته وتستشفع به ، وسيشفعه الله فيك ، وهذا هو الرأى (٤) » .

وأضاف صاحب الفتاش كذلك :

أن السلطان موسى عقد «العزم والحزم على ذلك فى يومه وقام بجمع المال والجهاز للسفر ، ونادى من أرضه من كل جانب يطلب الزاد والعون ،

---

(١) Bovill, p. 90

(٢) Davidson, p. 91

(٣) Gouilly, pp. 185-197 ; Spitz, p. 62 ; Bovill, p. 87 ; Wiedner, p. 35 ; Davidson, p. 94.

(٤) الفتاش ص ٣٣ .

وآتى بعض مشائخه يطلب منه آن يختار له يوم الخروج فى الايام ، فقال: أرى ان تنتظر يوم السبت الذى يكون ثانى عشر شهر ، واخرج فيه لا تموت حتى ترجع لدارك سالما آن شاء الله »

« ومكث يتربص حصول ذلك فى الشهور وينتظره ، ثم لم تحصل الا بعد تسعة أشهر ، وافق ثانى عشرة بيوم السبت ، وخرج بعد ما وصل رأس قافلته بتنبكت ، وهو بداره فى مل ؛ والسبت الموافق بثانى عشر شهر ، كان منذ حينئذ يتفاول به مسافروهم ، ويمثل به فى مسافر رجع بسوء المنقلب ، فيقال : هذا ما خرج فى داره سبت خروج ملكى »(١) .

ليس فيما رواه الفع محمود كعت أى شىء غريب أو غير عادى ، عن سبب حج موسى واختيار يوم سفره .

سلك السلطان موسى طريق القوافل الغربى الذى يبدأ من منحنى النيجر الى المغرب عن طريق سجلماسه (٢) ، فقد كان هناك أربعة طرق رئيسية للقوافل ، تربط حوض نهر النيجر بشاطىء البحر المتوسط ، وكانت مصر تتصل بالسودان الغربى عن هذه الطرق (٣) ، الا أن الطريق المألوف بين مصر ومالى هو الطريق الشرقى .

يقول العمرى :

« وبلاد مالى وغانه وما معها ، يسلك اليها من غربى صعيد مصر ، على الواحات ، فى بر مقفر ، تسكنه طوائف من العرب ، ثم من البربر ، الى عمران ، يتوصل منه الى مالى وغانه ، وهى مسامتة لجبال البربر — أى جبال أطلس الصحراء — جنوبى مراكش (٤) » .

خرج السلطان موسى عام ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤م من عاصمته مالى على النيجر الى مدينة ولاته ، شمال شرقى مدينة كومبى صالح عاصمة غانه، ثم الى توات (٥) ، والطريق الذى سلكه من توات الى القاهرة غير محقق، ويحتمل أنه كان عن طريق ورقلان ، شمال شرقى توات الى ساحل خليج

---

(١) الفتاش ص ٣٣ .

(٢) L. Lugard, pp. 124-125 ; Bovill, pp. 52-53 انظر خريطة طرق القوافل .

(٣) Baulin, p. 26 ; Hogben, pp. 25-26

(٤) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٥) يذكر السعدى أن السبب فى تسمية توات باسمها ، أن مرضا أصاب بعض رجاله فى ذلك الموضع ، وهذا المرض يسمى عندهم توات ، فانقطع عن الموكب من أصابهم هذا المرض واستوطنوه ، فعرف باسم توات (تاريخ السودان ص ٧) .

سيرتيس Syrtis عند تونس ، مما أتاح للتجـــار الاوربيين الذين يعملون فى تبادل السلع مع افريقية ، أن يشهدوا موكبه فى طريقه الى القاهرة (١) .

كان السلطان موسى يركب جوادا ومعه ستون ألف جندى ، وبصحبته خمســـمائة عبد ، بيد كل عبد عصا من ذهب ، فى كل عصا خمسمائة مثقال ذهب (٢) ، ويقول المقريزى :

« ويقال انه قـــدم معه أربع عشرة ألف جارية برسم خـــدمته خاصة (٣) » .

وعن ابن خلدون وابن حجر : أن منسا موسى « كان قد أعد لنفقته من بلاده ، فيما يقال مائة حمل من التبر ، فى كل حمل ثلاثة قناطير (٤) »

وقال الحاج يونس يمال التكرورى « ترجمان هـــذه الامة ــ أى التكرور ــ بمصر » (٥) :

« جاء هذا الملك منسا موسى من بلده بثمانين حملا من التبر ، كل حمل ثلاثة قناطير » (٦) .

ولا شك ، هناك بعض المبالغات فى تقـدير كمية الذهب وضخامة هذا الموكب ، لكنه من غير شك أيضا ، أنه يلقى ضوءا على أنه كان فعلا بادى الثراء والفخامة ، بصرف النظر عن الارقام ، فان مالى تتحـــكم فى مناجم الذهب فى ونقـــاره ، وهى أرض التبر كمـــا ينعتها الادريسى وغيره (٧) ، وملكها هو «ملك الذهب» كما يقول محمود كعت (٨) ، ثم هو ملك مالى Rex Melly « أغنى وأعظم ملك فى العـــالم » كما صورته خرائط العالم Mappae Mundi فى العصـــور الوســـطى .

وصل منسا موسى القاهرة فى رجب سنة ٧٢٤هـ/ يوليو ١٣٢٤م ، حيث استقبل بما يليق به من احترام وتقدير ، فقد أوفد السلطان الناصر

---

(١) L. Lugard, pp. 124-125 ; Hogben, p. 31

(٢) يساوى المثقال حوالى ثمن أوقية من الذهب وزنا (السعدى ص ٧ ، Fage, p. 26

(٣) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٤) العبر جـ ٥ ص ٤٣٤ ، الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٥) العبر جـ ٦ ص ٢٠٠ ــ ٢٠١ .

(٦) راجع ماسبق وانظر Bovill, pp. 52, 88

(٧) الفتاش ص ٤١ .

(٨) أنظر مايلى فى نهاية هذا الفصل .

محمد بن قلاوون ، بعض كبار امرائه لاستقباله ، وعين المهمندار (١) أبا العباس أحمد بن على الخاقانى ، ليكون مرافقا له ، خلال إقامته بالقاهرة .

قال المهمندار :

« خرجنا لملتقاه من جهة السلطان ـ أى من قبل السلطان ـ ، فأكرمنى أكراما عظيما ، وعاملنى بأجمل الآداب ، ولكنه كان لا يحدثنى الا بترجمان ، مع اجادته اللسان العربى ، ولما قدم ، قدم للخزانة السلطانية حملا من التبر (٢)» وعن ابن حجر أنه «قدم للخزانة السلطانية شيئا كثيرا من التبر المعدنى الذى لم يصنع (٣) » وقدر ابن حجر قيمة الهدية بنحو خمسة آلاف مثقال (٤) ، أما ابن خلدون ، فقدرها بنحو خمسين ألف دينار (٥) ، وأشار المقريزى الى أن هدايا منسا موسى كانت جليلة وأن ذهبه كان كثيرا (٦) .

قال المهمندار :

« ولم يترك ـ أى منسا موسى ـ أميرا ولا رب وظيفة سلطانية ، الا بعث اليه بالذهب ، وكنت أحاول فى طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان، حسب الأوامر السلطانية ، فيأبى خشية تقبيل الارض للسلطان ، ويقول: جئت للحج لا لغيره ، ولم أزل به حتى وافق على ذلك (٧) » .

وعندما دخل منسا موسى على السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، طلب اليه أن يقبل الأرض ، فتوقف وأبى اباء ظاهرا ، وقال للترجمان ـ لعله يونس ويمال التكرورى الذى كان يعمل ترجمانا فى مصر ـ : أنا

---

(١) المهمندار كلمة فارسية مكونة من كلمتين : مهمن (بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الميم الثانية وسكون النون) بمعنى ضيف + دار بمعنى ممسك ، ومهمته تلقى الرسل والوفود الواردين الى السلطان وانزالهم بدور الضيافة (صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٢ ، جـ ٥ ص ٤٥٩ ) .

(٢) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

(٣) الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٤) الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٥) العبر جـ ٥ ص ٤٣٤ .

(٦) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٧) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ ، أنظر كذلك : Monteil, p. 112

مالكي المذهب ، ولا أسجد لغير الله (١) » اعفاه السلطان النـاصر من ذلك التقليد وقربه وأكرمه وتحدث معه (٢) .

ويقال ان رجلا كان بجوار منسـا موسى ، عندما أبى أن يقبل الأرض للسلطان المملوكي ، قد أسر آليه ، ببعض كلمات ، فقـال موسى : « أنا أسجد لله الذى خلقني وفطرني » ثم سجد ، وتقدم نحو النصر «فقام له بعض القيام » وأجلسه الى جانبه وحادثه (٣) .

رسم السلطان الناصر لوزيره أن يعنى بالضيف الكبير وأن «يجهزه بكل ما يحتاج اليه» ، وأمر بانزاله بقصر عند القرافه الكبرى ، وأقطعه هذا القصر (٤) ، أى ملكه له ، وهو اقطاع من نوع التمليك .

والملاحظ أن أغلب المراجع الاجنبية لم تشر اطلاقا الى مقابلة منسا موسى لسلطان مصر ، بل ان بعض المراجع لم تشر الى مروره بمصر كلية، على حين اقتصر بعض آخر على القـــول ، بأن حج منسا موسى قد أدهش أوربا (٥) ، وهناك من المراجع الأجنبية ما سكت عن ذكر حادث حجه ولم يتعرض له من قريب أو من بعيد (٦) .

ومما هو جدير بالملاحظة ، أن التجار البنادقة بالقاهرة ، شـهدوا موكب السلطان موسى ومروره بالقاهرة ، وكتبوا تقارير عنه الى بلادهم ، وجاء فى بعض هذه التقارير أن تنبكت التى لم تكن فى عام ١١٠٠م تعدو محطة صغيرة ، تعمرها الخيام والأكواخ ، قد تحـــول حالها ، واحتلت مكانة غانة ، كأعظم مركز تجارى وحضارى فى قلب افريقية ، وهى الآن تذخر بالمبانى الحجرية وتعمرها الثقافة الاســلامية الزاهرة زمن مانسا موسى (٧) .

بعث السلطان الناصر الى ضيفه هدية حافلة ، وهى عبـارة عن : طرد وحش على مفرج اسكندرى ، وكلوته زركش وكلاليب ذهب ، وشاش

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٢) الذهب المسبوك ص ١١٢ .

(٣) مسـالك الأبصار جـ ٢ ق ٢ ورقة ٥٠٤ .

(٤) العبر جـ ٥ ص ٤٣٤ ، الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٥) Guilly, p. 55 ; Hogben, p. 31 ; Okafor, p. 29 ; Fage, p. 26 ; L. Lugard, p. 124.

(٦) Le Chatelier, p. 81

(٧) لم تكن مدينة تنبكت قد خضعت فى ذلك الوقت لسلطان مالى ، مما يدل على أن تقارير البنادقة كتبت بعد حج موسى وبعد استيلائه على تنبكت ، أى بعد عام ١٣٣٠ م ، انظر Okafor, p. 35

بحرير ورقم خليفتى ومنطقة ذهب مرصعة ، وسيف محـــلى ، ومنديل مذهب خز وفرسين ملجمين مسرجين وأعلام (١) . يقول العمـــرى : « وأجرى عليه الانزال والاقامات الوافرة مدة اقامته » (٢) .

وخلال اقامة موسى بالقـاهرة ، أفاد الكثير من المصريين ، فى بيع سلعهم الى أتباعه ، ونشطت حركة البيع والشراء ، ويقال ان أحد المصريين باع لأحد أتباع موسى ثوبا بخمسة دنانير ، وهو لا يساوى أكثر من دينار واحد ؛ والواقع ان الملابس المصرية الجميلة ، والجوارى الحسان ، هى التى بهرت هؤلاء السود ، وحدث أن انخفض سعر الذهب فى أيـدى القاهرة ، بسبب اغراقها بذهب السودان وبسبب كثرة الذهب فى أيدى الناس ، ولم يرتفع سعر الذهب بعد ذلك لمدة سنوات طويلة (٣) .

فلما حان وقت الرحيل الى الاراضى الحجازية ، زود الناصر ضيفه بمبلغ كبير من المال ، وزوده بالهجن والازواد ، له ولأصـحابه ، وأعد له ما يلزم من العليق لدوابه ، على طول الطريق الى الحجاز (٤) ، وأوصى أمير ركب الحاج المصرى ، الذى صحبه ، وهو الأمير سيف الدين أيتمش ، بالمبالغة فى احترامه والقيام بجميع مايحتاجه «(٥) .

وفى الحجـــاز ، أدى فريضة الحج ، وزار المدينة ، « وأفاض على الحجيج وأهل الحرمين بالاحسان » . يقول المهمندار : « ونالنى منه نحو مائتى مثقال ذهب » (٦) . وعلق الســـعدى على ما بذل موسى من صدقات بالحجاز ، بقوله :

« ومــــع قوته واتساع ملكه ، لم يتصدق فى الحرمين بأكثر من عشرين ألف ذهب ، مع أن أسكيا الحاج محمد ، ملك سغى ، تصـــدق بمائة ألف ذهب » (٧) .

طاب المقام لمنسا موسى بالحجاز، فبقى نحو ثلاثة شهور فيه بعد انتهاء موسم الحج (٨)، ولما عاد ضل الطريق، اذ ابتعدعن ركبه وعن المحمل

(١) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ — ٥٠٥ .
(٢) مسالك الابصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ — ٥٠٥ .
(٣) الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ . Bovill, p. 88.
(٤) مسالك الابصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٥ .
(٥) الذهب المسبوك ص ١١٣ .
(٦) مسالك الابصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٥ ، Monteil, p. 112
(٧) تاريخ السودان ص ٧ ، امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، الفتاش ص١٢ .
(٨) الذهب المسبوك ص ١١٣ ، العبر جـ ٥ ص ٤٣٤ ، الدرر الكامنة جـ ٤ ص٣٨٣ .

المصرى ، فتعرض لنهب البدو ، حتى نفد زاده ، فأكل لحم الحيتان هو ومن كان معه من أصحابه ، وظلوا على ذلك حتى وصلوا السويس ، ولكن بعد أن هلك «الكثير من أصحابه، وجماله من البرد ، حتى لم يصل معه الا نحو الثلث منهم » (١).

وعند وصوله القاهرة ، بعث الى السلطان الناصر بهدية الحجاز «تبركا» ، فأجابه السلطان بالخلع له ولمن بقى معه من أصحابه ، فضلا على « التحف والألطاف من البز الاسكندرى والأمتعة الفاخرة » (٢) .

يقول ابن أمير حاجب والى مصر ، ان السلطان موسى «كان معه مائة حمل ذهب ، أنفقها فى سفرته تلك ، على من بطريقه الى مصر من القبائل ، ثم من مصر الى الحجاز ، توجها وعودة ، حتى احتاج الى القرض ، فاستدان على ذمته من تجار مصر ، بما لهم عليه فيه من المكاسب الكثيرة بحيث يحصل لكل واحد منهم فى كل ٣٠٠ دينار ؛ سبعمائة دينار ربح » (٣) .

وبصدد حاجته الى المال ، اضطر موسى الى بيع القصر الذى كان السلطان الناصر حسن قد أقطعه اياه ، اشتراه منه سراج الدين بن الكويك ، أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية ، ونزل موسى بروض لابن الكويك ببركة الحبش خارج مصر (٤) ، كما أقرضه ابن الكويك خمسين ألف دينار ، وأقرض أمراء كذلك ما احتاجوا اليه (٥) ، وهذا بالاضافة الى مساعدات سلطان مصر ، يقول ابن خلدون :

« ثم جدد له السلطان الكرامة وأوسع له فى الحباء (٦) » ، وعن المقريزى :

---

(١) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٥ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٩ ، الذهب المسبوك ص ١١٣ ، العبر ج ٥ ص٤٣٤.

(٣) المراجع السابقة .

(٤) بركة الحبش من أشهر برك مصر فى العصور الوسطى ، وموقعها بظاهر الفسطاط ، وقد تغيرت عليها الأسماء حتى اشتهرت ببركة الحبش ، لأنه كان يوجد بجوارها جنان تابعة لطائفة من الرهبان الأحباش ، فنسبت اليها ، وهى ليست بركة بالمعنى المفهوم ، وانما هى حوض من الأرض الزراعية ، تغمره مياه النيل وقت الفيضان ، فيصبح مثل البركة ، ثم زرعت وصارت من أكبر متنزهات مصر ( النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٨١ ـ ٣٨٣ ، السلوك ج ١ ص ١٧٤ حاشية ١ ) .

(٥) العبر ج ٥ ص ٤٣٤ .

(٦) العبر ج ٥ ص ٤٣٤ .

« وأنعم السلطان عليه بخيول وجمال (١) » .

اتخذ منسا موسى في طريق عودته الى بلاده طريق القوافل الشرقي، وهو الذي يبدأ من مصر الى برقة الى طرابلس الى واحة كفره الى وادى الى منطقة بحيرة تشاد الى جاو - عاصمة صنغى - ، وكانت حديثة العهد بخضوعها الى مالى (٢) ، وكان وصوله الى جاو عام ١٣٢٥ م (٣).

أما عن أصحاب القروض في مصر ، فان ابن الكويك أرسل وكيله مع السلطان موسى ليصحبه في عودته الى بلاده لكي يستوفي حقوقه ، ويقال ان وكيل ابن الكويك مات في الطريق قبل ان يقضى دين سيده ، فاضطر سراج الدين أن يسافر بنفسه الى بلاط مالى ، فسافر ومعه ابنه، ولما وصلا الى تنبكت ، أضافهما أبو اسحاق الساحلى (٤) ، الا أن سراج الدين مات عند وصوله ، وأشيع أنه مات مسموما ، فقال ابنه :

« انى أكلت معه هذا الطعام بعينه ، فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا ، لكنه انقضى أجله » (٥) ، ودفن سراج الدين في تنبكت ، وقد زار ابن بطوطه قبره فيها خلال رحلة عام ٧٥٤ هـ = ١٣٥٣ م ، وقص بعض أخباره (٦) .

أما ابن الكويك الابن واسمه فخر الدين أبو جعفر، فقد تابع رحلته بعد وفاة أبيه، حتى وصل مالى العاصمة وقبض ماله وعاد الى مصر (٧).

* * *

- هذا هو حديث الحج الذى ذاعت أخباره وادهشت العالم المعاصر، وقد ظل أهل مصر يتحدثون بأخبار منسا موسى وثرائه وكرمه وضخامة ملكه وعظمته ، نحو اثنتى عشرة من بعد رحيله .

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) راجع ماسبق .

(٣) السعدى ص ٨ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٤) راجع ماسبق وانظر الفصل الأخير .

(٥) السعدى ص ٨ ، تحفة جـ ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٢.

(٦) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٧) السعدى ص ٨ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٦ ، العبر جـ ٥ ص ٤٣٤ ، الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ .
Bovill, pp. 88-89 ; Monteil, pp. 102-111 ; Kuf, p. 30

وصلت شهرة مالى وأخبار موكب حج موسى ودلالته، الى أوربا، ومنذ ذلـــك الوقت ازداد التفكير الأوربى فى محاولة التعرف على قلب افريقية ، والوصول اليه ، وفى ذلك الوقت ، وهو القرن الرابع عشر الميلادى ، تأسست مدرسة فى جزيرة ميورقه لدراسة وتعليم فن رســم الخرائط وإصدار الخرائط ، ومن أهدافها الرئيسية التعرف على قلب افريقية ، لأغراض تجارية ، وعلى الأقل فى أول أمرها (١) .

ظهرت صورة منساموسى فى أغلب الخرائط التى صدرت فى ذلك القرن ، اذ عدت بلاده قلب المنطقة ، أو الهـــدف الأقصى الذى ينبغى السعى للوصول اليه ، فمن هذه المنطقة تتدفق السلع الافريقية ، كما يتدفق الذهب .

وأقدم خريطة ظهرت فى ذلك القرن ، ترجع الى عام ١٣٣٩ م ، أى بعد وفاة منسا موسى بقليل ، وهى احدى خرائط العالم ، رسمها العالم الميـــورقى انجلينـــودلكرت Angelino Dulcert ، وأشارت هـــذه الخريطة الى قلب افريقية ، حيث أظهـــرت « ملك مالى » Rex Melly جالسا على عرشه فى زيه الملكى وعلى رأسه التاج ، وفى يده صـولجان الملك .

وتدل خريطـــة دلكرت ، على مدى الرغبـــة الشـــديدة فى حب الاستطلاع ، لمعرفة بلاد مانسا موسى والطرق المؤدية اليها ، فقد ظهرت فى الخريطة جبال أطلس ويقطعها « وادى السوس المؤدى الى بلاد ملك الزنوج » (٢) .

وفى الخريطة التى رسمها العالم البندقى بتزيانى Pizzigani عام ١٣٦٧ م ، ظهرت جبال أطلس ، يقطعها الوادى المذكور ، كما وضـــح فيها كيف تتدفق السلع الواردة من بلاد ملك مالى ، عن هذا الوادى (٣) .

على أن من أهم الخرائط التى ظهرت فى ذلك القرن، ماعرف باسم الخريطة القطالونية أو الأطلس القطالونى ، ظهرت هذه الخريطة زمن الملك

---

(١) البرتغاليون فى غرب افريقيا للمؤلف ص ١٦ ومايليها ، راجع كذلك :
Davidson, pp. 76-77, 91; Bovill, pp. 90-51, 114-115; De La Roncière, I, 157, Johnston, pp. 78-91; Okafor, p. 26; Brown, pp. 73, 108, 111, 205, 243, 301, 305-306; Tooley, pp. 96-102; Ward, pp. 29-30.

(٢) Bovill, p. 91

(٣) Ibid

شارل الخامس الفرنجي الملقب بالحكيم أو الرشيد (١٣٦٤ – ١٣٨٠ م (١)) وهي من عمل العالم الجغرافي الميورقي أبراهام كرسك Abraham Cresques وصدرت حوالى عام ١٣٧٥ م .

أوضحت هذه الخريطة قلب الصحراء ، وفيه رجل ملثم يركب جملا ويسير بخطى سريعة نحو ملك مهيب جالس على عرشه ، في كامل لباسه الملكي ، وعلى رأسه تاج ، وفي احدى يديه صولجان الملك ، وفي اليد الأخرى قطعة من ذهب ، يقدمها لذلك الراكب المهرول نحوه ، ويسمى « هذا السيد الزنجي » – كما هو منقوش على الخريطة – « موسى مالى سيد زنوج غينيه ، ويكثر الذهب في بلاده ، حتى صار أغنى وأعظم ملك في جميع البلاد » (٢) .

وفي الخريطة القطالونية ، ظهرت جبال أطلس ، يقطعها وادى السوس ، وهو الوادى الذى يسلكه التجار عادة الى بلاد السودان ، وليس هذا الوادى سوى طريق القوافل العظيم ، المار بسجلماسة الى الجنوب ، عبر الصحراء ، وهو أكثر الطرق استخداما ، من قبل المغاربة ، منذ أقدم العصور (٣).

ومما أثار دهشة الأوربيين ، ظهور بعض المدن التاريخية المشهورة على هذه الخريطة ، مثل تغازه Tagaza وتنبكت Tenbuch ومالى Cuitat de Mali وجاو Geugeu . وقد أدت المعالم التى أوضحتها الخريطة القطالونية ، الى زيادة المعروف عن العالم ، وكشفت عن حقائق جديدة ، وأيدت الكثير مما كان محل شك ، من روايات وأخبار الرحالة والمغامرين ، وامتدت أهمية هذه الخريطة ، ونفعها الى مابعد ذلك بنحو قرن ، حين قام كولمبس بكشوفه (٤)

ومن الخرائط التى صدرت في القرن الخامس عشر بأوربا وأوردت معالم وحقائق عن موسى ومالى ، خريطة العالم فيلادست Villadestes ، وهى التى ظهرت في جزيرة ميورقه عام ١٤١٣ م ،

---

(١) شارل الخامس من ملوك فرنسا من اسرة فالوا Valois ، وهذه الأسرة فرع من اسرة كابى Capets ، ويؤرخ لقيام الملكية الاقطاعية فى فرنسا بقيام اسرة كابى منذ أواخر القرن العاشر الميلادى .

(٢) Bovill, p. 91

(٣) Davidson, p. 76

(٤) انظر الخريطة القطالونية الملحقة بهذا الفصل .

وخريطة لعالم بندقى صدرت فى عام ١٤٣٣ م ، وثالثة للعالم جيم برتراند Jayme Bertrand عام ١٤٨٢ م (١) .

وفى مطلع القرن السـادس عشر الميلادى ، ظهرت خريطـة فى ستراسبورج عام ١٥١٣ م ، وعليها نقش يتعلق بمملكة مالى وسـيدها موسى (٢) . « Regnum Musa Melle de Ginovia »

وبعد هـذا التاريخ بثلاث سـنوات ، أخرج العالم الألمانى فالدسيمولر Valdsesmüller ، خريطة عليها أسم مانسا موسى ، ويبدو أن هذه الخريطة ، قد ذبلت أهميتها وقيمتها ، تحت ضوء المعلومات الحـديثة المحققة . حينئذ ، على أثر ظهور مؤلف ليو الافريقى الذى القى الضوء على قلب أفريقية وأحوالها (٣) .

ويلاحظ أن رسامى الخرائط ، وجدوا صـعوبة فى التوفيق بين الصفات الجوهرية التى فى أذهانهم عن الزنوج ، مثل قصر الشعر وظاهرة العرى الجزئى أو الكلى ، وبين أفكارهم المـألوفه عما ينبغى أن يبدو فيه ملك عظيم ، فمن وجهة نظرهم ، كان لابد من وجود لحية لمن يلى منصب الملك ، ومن ثم احتاط دلكرت فى خريطته ، وأظهرت منسا موسى بلحية قصيرة جدا ، كمحاولة من قبله ، لهذا التوفيق ، ولكن قصر اللحية لم يرتح اليه الرسامون الذين جاءوا بعده ، واعتبروه غير لائق للملك ، ولذلك أطالوا لحيته فى خرائطهم .

وبمرور الزمن ، ازداد الشعور فى أوربا ، بأن مانسا موسى ، بالرغم من سواد بشرته ، المميزة له فى جميع الخرائط ، لا يختلف كثيرا عن أى ملك أوربى ، ولذا أظهروه فى الخرائط بالشكل المألوف من حيث اظهار التاج والعرش، ماعدا الرداء الملكى ، فانهم أظهروه أقصر من المألوف ، لعدم اهمال خاصية العرى عند الزنوج ، وهذا ما فعله برتراند فى الخريطة التى أصدرها عام ١٤٨٢ م (٤) .

---

(١) Oliver and Fage, p. 90 ; Bovill, pp. 91-92 ; Tooley, pp. 96-102 ; Brown, pp. 242, 301, 305-306.

(٢) L. Lugard, p. 152

(٣) راجع المدخل وانظر : L. Lugard, p. 152 ; Bovill, pp. 91-92
البرتغاليون وغرب أفريقيا للمؤلف ص ١٦ ومايليها .

(٤) Bovill, p. 92 (F.N.)

## دولة مالى



السلطان كنكن موسى سلطان مالى

( ٧١٢ - ٧٣٨هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧م )

أما هذا التوفيق وهذه المحاولات ، التى بذلها رسامو الخرائط فى أوربا بالنسبة لصورة ملك مالى ، فلا أساس لها من واقع التاريخ ، سواء أكان ذلك بالنسبة لملوك مالى أم ملوك غيرها من الدول الاسلامية التى قامت فى غربى افريقية ، حتى فى عهدها الوثنى ، والشواهد أكثر من أن تحصى .

والذى يمكن أن نقوله : ان عظمة مالى زمن مانسا موسى ، كانت من بين الحوافر التى أدت الى زيادة المعروف عن قلب افريقية ، تمهيدا لحركة الكشف والاستعمار الأوربى .

( الخريطة القطالونية التى رسمت لشارل الخامس ملك فرنسا عام ١٣٧٥ م ) .

**بيانات الخريطة :**

١ ــ وادى درعة الذى يخترق جبال أطلس ، وهو أحد طرق القوافل الى بلاد السودان .

| | |
|---|---|
| ٢ ــ مدينة تاكورام | Tacoram |
| ٣ ــ مدينة سجلماسة | (Sigilmessa) Sijilmasa |
| ٤ ــ مدينة تابلبرت | (Tabelbelt) Tabelbert |
| ٥ ــ مدينة انزيزا | (anzicha) In Ziga |
| ٦ ــ مدينة توغورت | (Tacort) Tuggurt |
| ٧ ــ مدينة بسكره | (Vescara) Biskra |
| ٨ ــ مدينة توزور | (Tauser) Tozeur |
| ٩ ــ مدينة توات | (Vadia) Tuat |

١٠ ــ صورة السلطان كنكن موسى ، ويبدو وفى يده قطعة من الذهب يقدمها للوافد عليه فوق جمله ــ وتوجد عبارة مكتوبة على الخريطة خلف صورة السلطان موسى ونصها :

« يدعى هذا الزنجى ، موسى مالى ، سيد زنوج غينيا . وهو أثرى وأعظم ملك فى بلاد السودان ، لوفرة الذهب فى بلاده » .

١١ ــ أحد التجار من الملثمين العاملين فى التجارة بين بلاد السودان وبلاد المغرب ، وأمام صورته على الخريطة عبارة ، نصها :

« ينتشر الملثمون فى جميع أرجاء هذه المنطقة ، وهم الذين يضعون اللثام على أفواههم ، فلا ترى سوى أعينهم . وهم يعيشون فى خيام وعماد قوافلهم الجمال ؛ وفى هذه المنطقة يوجد الحيوان المعروف باسم « اللمط » (١) (Lemp) ؛ ومن جلده تصنع الدروع المتينه » .

| | |
|---|---|
| ١٢ ــ مدينة تغازه | (Tagaza) Taghaza |
| ١٣ ــ مدينة بودا | Buda |
| ١٤ ــ مدينة جاو (٢) | (geugeu) Gao |
| ١٥ ــ مدينة ميمه | Mayma |
| ١٦ ــ مدينة تنبكت | (Tembuch) Timbuktu |
| ١٧ ــ غينيه | Ginyia |
| ١٨ ــ السودان | Sudan |
| ١٩ ــ مدينة مالى | (Ciutat de Melli) City of Mali |

(١) هذا الحيوان يشبه الثور (انظر المتن) .

(٢) جاو عاصمة دولة صنغى الاسلامية ، وتقع على النيجر ، وتعرف فى الكتب العربية بأسماء مختلفة ، منها : كاغ ، كوغا ، كاغو ، كوكو ، كركر الخ .. ( معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٩٥) السعدى ص ٧ ، الفتاش ص ٤٥ ، ليو الافريقى : الكتاب السابع ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ ، ابن خلدون جـ ٥ ص ٤٣٤ ، جـ ٦ ص ٢٠٠ ، Cooley, pp. 103-104 صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٥ ، L. Lug, pp. 120, 144, 157 ; امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ) .

# الفصل الخامس

# دولة مالى بعد كنكن موسى

مغان الأول بن مانسا موسى (١٣٣٧ – ١٣٤١ م) – غزو قبائل موش ونهب تنبكت – السفارة المغربية – فرار رهائن صنغى – مانسا سليمان أخو مانسا موسى (١٣٤١ – ١٣٦٠ م) • الاصلاح الداخلى وعنايته بالعلماء والمساجد – حجه ١٣٥١ م – ابن بطوطة يزور مالى زمن مانسا سليمان – وصفه الدقيق لأحوال مالى •

جاء بعد السلطان موسى ابنه مغان الأول أو منسا مغا ، ومعنى مغا « محمد » (١) ، وكان قد تدرب على الحكم خلال غيبة أبيه فى موسم الحج (٢) •

وفى زمن منسا مغا (١٣٣٧ – ١٣٤١ م ) ، لم تكف قبائل موش المقيمة فى ياتنجا Yatenga عن مداهمة مالى والقيام بأعمال النهب والتخريب ، فهاجمت تنبكت وأبادت حاميتها من الماندنجو وأحرقتها (٣)، وكان فى تنبكت فى ذلك الوقت سفارة من قبل أبى الحسن، أعظم سلاطين بنى مرين فى فاس ، وتضم السفارة عددا من كبار المراكشيين برياسة الزعيم الشهير ابن غانه ، جاءت هذه السفارة ردا على بعثة التهنئة التى

(١) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ •

(٢) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ ، Monteil, p. 124

(٣) Monteil, p. 124 ; Bovill, p. 93

كان السلطان موسى قد بعث بها من قبل لتهنئة السلطان أبى الحسن على أثر انتصاره وفتح تلمسان . كانت السفارة المغربية تحمل معها هدية فاخرة الى منسا موسى ، لكنها وصلت بعد وفاته ، فاستقبلها ابنه مغان وتسلم الهدية (١) .

على أن الحادث الهام الذى يقترن بحكم مغان الأول القصير ، والذى كان بعيد الأثر فى مصير دولة مالى برمتها ، هو أن مغان الأول لسوء تدبيره وقصر نظره ، منح الرهائن من أمراء صنغى مزيدا من الحرية ، فى الخروج والتجول من غير مراقبة ، وكان السلطان موسى شديد الحرص على مراقبتهم ، منذ أخذهم من جاو على أثر استيلائه عليها أو استعادته لها عام ١٣٢٥م، ويبدو أن الأميرين على كلن وأخاه سليمان نار قد هربا أكثر من مرة خلال فترات اضطراب مالى ، زمن السلاطين الضعاف ، ونجح الأميران الصنغيان هذه المرة فى انتزاع جاو من حامية الماندنجو نهائيا ، وأخذا يتحينان الفرصة لاستعادة بقية بلادهما الخاضعة لمالى (٢) .

ومن أجل ذلك يقول السعدى عن على كولن بعد أن استعاد عرشه نهائيا :

لأوهو الذى قطع حبل الملك على رقاب أهل سغى من أهل ملى » (٣)

تولى عرش مالى بعد وفاة مغان الأول ، عمه سليمان ( ١٣٤١ — ١٣٦٠ م ) ، وعهده ملىء بالاصلاحات ، حاول اعادة هيبة الدولة ، بعد النكسة التى وقعت خلال عهد ابن أخيه السابق ، نتيجة طيشه وسوء تدبيره ، ونجح منسا سليمان نجاحا كبيرا فى استرجاع بعض البلاد التى فقدت ، ولكنه فشل فى استرجاع جاو عاصمة صنغى .

انصرف الى الاصلاح الداخلى ، وعنى باقامة المساجد ونشر شعائر الاسلام ، يقول القلقشندى :

« وبنى المساجد والجوامع والمنارات ، وأقام الجمع والجماعات والأذان ، وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك » (٤) .

---

(١) L. Lugard, p. 127 ; Bovill, p. 93

(٢) راجع ماسبق فى الفصل الثالث وانظر :
Fage, p. 27 ; Bovill, p. 93 ; Le Chatelier, pp. 81, 87 ; Hogben, p. 33 ; L. Lugard, pp. 120, 146, 162-164; Rouch, p. 9 ; Monteil, p. 76

(٣) السعدى ص ٥ — ٦ .

(٤) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ .

ومنسا سليمان نفسه كان متفقها فى الدين ، معروفا بالصلاح والتقوى ، أدى فريضة الحج عام ١٣٥١ م ، وقد مكنته رحلة الحج هذه من اعادة بسط نفوذ الماندنجو على أطراف البلاد التى مر بها فى طريقه(١) لكنه لم يستطع أن يعيد سلطان مالى على صنغى .

(١) Bovill, p. 93.

# رحلة ابن بطوطة

وفى عهد مانسا سليمان ، وصل أبو عبد الله محمد اللواتى الطنجى المعروف بابن بطوطة الى مالى (١)، مرسلا من قبل سلطان بنى مرين فى مراكش وهو أبو عنان فارس المتوكل بن على (٧٤٩ ــ ٧٥٩ هـ = ١٣٤٨ ــ ١٣٥٨م) وكان سلطان مراكش قد اغتصب العرش من أبيه أبى الحسن على بن عثمان ، صاحب السفارة السابقة .

وهدف أبى عنان من سفارة ابن بطوطة فى بلاد مالى ، دراسة الطرق التجارية ، والوقوف على مدى حجم التجارة فى الذهب ، المتبادلة بين ولايات النيجر وبين مصر ، وذلك للعمل على تحويل مايستطاع تحويله منها الى بلاده (٢) .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى ثم الطنجى المعروف بابن بطوطة ، صاحب كتاب « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » فى أربعة أجزاء ، وقد ترجمه الى الفرنسية اثنان من المستشرقين هما : دفرميرى وسانجينتى C. Defremery and B.R. Sanguinetti ، ونشرا هذه الترجمة فى باريس عام ١٨٥٣ م . وهناك ترجمة انجليزية لهذا الكتاب باشراف جب Gibb ظهرت عام ١٩٥٨ م .

يتناول الجزء الأول : رحلته من طنجة الى الاسكندرية الى القاهرة الى عيذاب الى القدس والشام والحجاز . ويضم الجزء الثانى رحلته الى البصرة ثم فارس وهرمز والشرق ثم العودة الى القسطنطينية . وفى الجزء الثالث رحلته فيما وراء النهر وخراسان وأفغانستان والهند . وضم الجزء الرابع عودته من الهند ثم رحلته فى جزيرة سيلان وساحل المليبار والصين ، ثم مراكش وفاس واسبانيا ، وبعد عودته من أسبانيا ، قام برحلته فى بلاد السودان حيث كانت تسود دولة مالى .

وقد فرغ ابن بطوطة من تسجيل رحلته كلها فى ذى الحجة من عام ٧٥٦ هـ = ديسمبر ١٣٥٥ م . ونسخها شخص يسمى ابن جزى من تقييدات ابن بطوطة نفسه ، وذلك فى صفر ٧٥٧ هـ = فبراير ١٣٥٦ م .

(٢) Gouilly, pp. 55-56 ; Bovill, p. 94

والى هـذه الرحلة ، يرجع الكثير من معلوماتنا عن دولة مالى الاسلامية ، ونظمها وأحوالها الاجتماعية ، فضلا على البلاد الأخرى التى زارها ابن بطوطة فى بلاد السودان ، ترك ابن بطوطة أوصافا رائعة دقيقة لما شهده من مظاهر وأماكن .

بدأت الرحلة من مدينة فاس أواخر عام ٧٥٢ هـ = ١٣٥١م ، ودخل مالى فى جمادى الاولى ٧٥٣ هـ = يوليو ١٣٥٢ ، وغادرها فى المحرم من سنة ٧٥٤ هـ = فبراير ١٣٥٣ م .

**قال ابن بطوطة :**

«توجهت برسم السفر الى بلاد السودان ، فوصلت الى مدينة سجلماسه ، وهى من أحسن المدن ، وبها التمر الكثير الطيب ، وتشبهها مدينة البصرة فى كثرة التمر ، لكن تمر سجلماسه أطيب» .

وفى سجلماسه اشترى الجمال اللازمة للرحلة وعلقها أربعة أشهر . ثم غادرها فى غرة المحرم ٧٥٣ هـ = ١٨ فبراير ١٣٥٢م ضمن قافلة ، وكان مقدم القافلة شخص من قبيلة مسوفه من البربر اسمه : أبو محمد تندكان . وبعد ٢٥ يوما وصل الى تغازه ، وهى المشهورة بمناجم الملح ، وكانت ضمن أملاك مالى منذ عهد مانساموسى .

وصفها ابن بطوطة بقوله :

« انها قرية لا خير فيها ، وان بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر فيها . ويقوم باستخراج الملح بها عبيد مسوفة» ويتحدث بعد ذلك عن تجارة الملح وأهميته فى بلاد السودان .

وبعد أن أقام فى تغازه عشرة أيام ، غادرها مع القافلة الى مدينة تاسرهلا ، وفيها تنزل القوافل للاستراحة ثلاثة أيام وللتزود بالماء . ومن هذه المدينة ، جرت العادة ، أن تبعث القافلة المتوجهة الى بلاد السودان برجل من مسوفه يلقب «بالتكشيف» مهمته أن يسبق القافلة ، وهو ذو خبرة بالطرق الصحراوية ، ويصل الى مدينة ايوالاتن ، ومعه كتب أهل القافلة الى معارفهم وأصحابهم بايوالاتن ، ليكتروا لهم الدور وليخرجوا الى لقائهم ، عندما تكون القافلة على مسيرة أربعة أيام من المدينة ، ومن لم يكن له صاحب بايوالاتن ، كتب ، كما يقول ابن بطوطة ، «الى من اشتهر بالفضل والمروءة من تجارها» .

والسبب فى اكتراء التكشيف وبعثه مقدما ، هو وعورة الطريق الصحراوى بعد تاسرهلا ، لعدم وجود معالم واضحة للسير ، نتيجةكثرة الرياح والعواصف ، وقد يهلك التكشيف بالطريق ، فلايعلم أهل ايوالاتن بخبر القافلة ، التى قد تتعرض بدورها للأخطار والمهالك . يقول ابن بطوطة :

«ومن العجائب أن الدليل الذى كان لنا ، هو أعور العين الواحدة ، مريض الثانية» (١) .

دفع رجال القافلة مائة مثقال ذهب لهذا الدليل ، وأدى مهمته على خير وجه ، فقد شهدت قافلة ابن بطوطه فى ليلة اليوم السابع من خروجهم من تاسرهلا ، النيران التى أضاءها أهل ايوالاتن ، وقد خرجوا للقاء القافلة ومعهم المياه والمؤن . وبالرغم من وعورة الطريق ، فقد وصف ابن بطوطة استتباب الأمن بها .

دخلوا ايوالاتن فى أول ربيع أول ٧٥٣ هـ = أبريل ١٣٥٢م ، وذلك بعد سفر شهرين من سجلماسه ، وايوالاتن Walata أوبير ، هى أول مدن السودان ، وتابعة لمالى ، ويحكمها نائب من قبل منسا مالى . اسمه «حسين» ولقبه «فربا» ، فتوجه اليه رجال القافلة ، وكان جالسا فى سقيف وبين يديه أعوانه ، ويكلمهم بترجمان ، على قربهم منه ، «احتقارا لهم ، فعند ذلك ، ندمت على قدومى بلادهم لسوء أدبهم واحتقارهم للأبيض (٢) » ، كما يقول ابن بطوطة .

أقام ابن بطوطة فى ايوالاتن خمسين يوما ، ولم تعجب ابن بطوطة الضيافة التافهة التى قدمها موظف آخر فى ايوالاتن من قبل فربا حسين ، يعرف باسم «المنشاجو» وهو مشرف أو والى ايوالاتن من قبل النائب . كانت الضيافة عبارة عن «جريش مخلوط بيسير عسل ولبن قد وضعوه فى نصف قرعة» وعلق ابن بطوطه :

«ألهذا دعونا الأسود ! قالوا : نعم ، وهو الضيافة الكبيرة عندهم .

---

(١) ليس هناك غرابة فى ضعف ابصار الأدلاء والهداة فى الطرق الصحراوية ، فقد ذكر بوفيل Bovill أن الدليل الذى كان يقوم بمهمته بين تلال البحر الأحمر من موضع أم كوبر الى وادى النيل ، كان أعمى ، وتقدر هذه المسافة بما لا يقل عن تسعين ميلا ، وهى خالية من المياه (Bovill, pp. 94-95) .

(٢) يبدو من هذا أن أعوان فربا حسين كانوا من البربر البيض ، وان سكان مدينة ايوالاتن يغلب عليها عنصر البربر .

قال : فأيقنت حينئذ أن لا خير يرتجي منهم ، وأردت أن أسافر مع حجاج «ايوالاتن — أي يعوذ — ثم ظهر لى أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم» .

وصف ابن بطوطة أهل ايوالاتن بالكرم ، وان ثيابهم مصرية وأغلبهم من قبيلة مسوفه البربرية ، وتتميز نساؤهم بالجمال ، يقول ابن بطوطه: «وهن أعظم شأنا من الرجال» . ثم انتقد أحوالهما الاجتماعية ، بسبب الاختلاط الشائن بين الجنسين ، ووجود أصدقاء للنساء وصديقات للرجال ، دون غيرة ، حتى قاضي ايوالاتن ، كانت له صديقة ، وجميعهم مسلمون .

غادر ابن بطوطه ايوالاتن الى العاصمة مالى ، والمسافة بينهما نحو ٢٤ يوما . واستأجرت قافلته دليلا من مسوفه ، والطريق من ايوالاتن الى مالى كثير الأشجار الضخمة ، يقول : « وبعض تلك الأشجار قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر ، فكأنها بئر ، ويشرب الناس من الماء الذى فيها ، ويكون فى بعضها النحل والعسل ، ولقد مررت بشجرة منها ، فوجدت فى داخلها رجلا حائكا وهو ينسج ، فعجبت منه » .

وصف ابن بطوطة الأشجار التى مر بها ، وما بها من ثمار تشبه الاجاص (١) والتفاح والخوخ والمشمش ، وأشجار تشبه الفقوص (٢) ، ويستخرج من الأخير شيء يشبه الدقيق ، يطبخونه ويأكلونه . وشهد حبوبا تشبه الفول تؤكل ، وتدق فيستخرج منها زيت يستخدم فى الطبخ والاضاءة ودهن أجسادهم ، كما يضيفون الى هذا الزيت التراب ويدهنون به سقوف منازلهم .

ومن الخضراوات التى شهدها ابن بطوطة ، وهو فى طريقه ببلاد مالى القرع ، وهو كثير ، ويصنع منه الجفان ، وتنقش . ونظرا لحاجة بلاد السودان الى الملح وبعض المصنوعات الخارجية ، فان المسافر ليس بحاجة الى أن يحمل معه ، كما يقول ابن بطوطه ، «زادا ولا اداما ولا دينارا ولا درهما ، انما يحمل معه قطع الملح وحلى الزجاج وبعض السلع العطرية ، وأكثر مايعجبهم القرنفل والمصكا ، فاذا وصل قرية ، جاء نساء السودان باللبن والدجاج ودقيق النبق والأرز والفونى ، وهو كحب

---

(١) الاجاص كلمة دخيلة ، وهو نوع من الثمر يساعد على الهضم ويسكن العطش، وأجوده الحلو الكبير ، والشاميون يطلقون هذه الكلمة على المشمش والكمثرى (القاموس المحيط — مختار الصحاح ) .

(٢) الفقوص البطيخة قبل النضج ، وهى كلمة مصرية (القاموس المحيط) .

الخردل تصنع منه العصيدة ، ودقيق اللوبياء ، فيشترى منهن ماأحب من ذلك» .

ولاشك أن هذه المنطقة التى اجتازها ابن بطوطه من ايوالاتن الى مالى غنية بالأشجار والأراضى الخصـــبة والخضراوات ، فهى فى حوض النيجر وحوض السنغال ، وهى جزء من أراضى السافانا الغنية .

وبعد مسـيرة عشرة أيام ، وصل الى قرية زاغرى ، وهى التى شهد فيهـا فريق الخـوارج الاباضية (١) من البيض الذين يقيمون بجـوار السـود .

ومن زاغرى وصل الى النيجر ، ويسميه النيل (٢) ، وأشار الى انحدار النهر الى بلدتى كابرة وزاغه ، ولهاتين المدينتين سلطانان يؤديان الطاعة الى ملك مالى ، ويقول عن أهل زاغه ، انهم قديمو الاسلام ، كذلك أشار ابن بطوطه الى انحدار النهر عند تنبكت ، وعند كوكو ــ وهى جاو عاصمة صنغى ــ ثم أشار الى مدينة مولى من بلاد الليمين (lem lem) (٣) وهى آخر عمل مالى ، وأشار كـذلك الى يوفى ، ويحتمل أن تكون نوب Nupe عند اتصال النيجر بفرعه بنوى (٢) . ويقول عن مدينة يوفى انها أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم سلاطينهم ، وأن أهلها يمنعون البيض من الوصول اليها .

وعندما اقترب من مالى ، كتب الى اثنين من أصـدقائه بهـا ، ليستأذنا له فى دخول العاصمة .

دخل العاصمة مالى فى جمادى الاولى ٧٥٣ هـ = يوليو ١٣٥٢م ، ونزل بالدار التى اكتراها له أصدقاؤه بحى البيض ، وبعـد أن اسـتقر بالدار ، أرسل له منسا سليمان ، بضيافة عبارة عن ثور ، وكان رسول السلطان الى ابن بطوطه الترجمان دوغا ، وهو كبير تراجمة السلطان .

وفى مالى ، اجتمع ابن بطـوطه بالعلماء البيض ، وكان أحـــدهم متزوجا من ابنة عم السلطان ، وحدث أن أصاب ابن بطوطه مرض ، على اثر تناوله طعام وطنى ، فعالجه طبيب مصرى مقيم فى مالى .

---

(١) انظر الفصل الأخير .

(٢) راجع المدخل .

(٣) ، (٤) انظر خريطة دولة مالى زمن منسا موسى وراجع :
Bovill, pp. 83, 96 ; Cooley, pp. III-II5

اعدت العدة لمقابلة السلطان ، وصادفت المقابلة جلوس السلطان لتقبل العزاء فى وفاة سلطان بنى مرين أبى الحسن (١) ، وكان الطعام معدا ، كما كان الأمراء والفقهاء مجتمعين عنده ، وكان القرآن يتلى .

تقدم ابن بطوطه الى السلطان وسلم عليه ، فقال له السلطان ، «أشكر الله» ، وذلك عن طريق القاضى والخطيب وابن الفقيه العالم . فقال ابن بطوطه : الحمد لله والشكر على كل حال . ثم أرسل له السلطان بعد ذلك بالضيافة ، وهى ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقرى مقلوه بالغرتى (٢) ، وقرعة فيها لبن رائب» .

وفى رمضان ، بعث له السلطان ٣٣⅓ مثقالا من الذهب ، وأمر له بدار ونفقة تجرى عليه مدة اقامته ، وعند سفره ، أعطاه مائة مثقال .

ومن أجل هذا العطاء القليل ، وصفه ابن بطوطه بالبخل بقوله : «لا يرجى منه كبير عطاء» وقارن بين عطاياه وبين عطايا أسلافه العظماء أمثال كنكن موسى .

وصف ابن بطوطه هيئة جلوس السلطان بالقبة ، ومدى تذلل رعاياه له ، وكيف يتسلى يوم العيد بالشعر والغناء ، وأشار الى حادث غضبه على زوجته الكبرى ، كما وصف أحوال مالى عامة ومافيها من عادات حسنة وأخرى قبيحة ، وأشار الى استتباب الأمن .

غادر مدينة مالى فى محرم ٧٥٤ هـ = فبراير ١٣٥٣م وتوجه لزيارة تنبكت ، وركب جملا لغلاء ثمن الخيول ، اذ يبلغ ثمن الواحد من الخيل مائة مثقال ، وكان حاكم تنبكت يومئذ «فربا موسى» ، وقال ابن بطوطه عن أهل تنبكت ، ان أغلب سكانها من قبيلة مسوفه «أهل اللثام» (٣) ، ووصف بعض معالم المدينة ، مثل قبر أبى اسحاق الساحلى وقبر سراج الدين بن الكويك التاجر الاسكندرى ، وأورد قصته مع مانساموسى (٤) .

---

(١) توفى السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان فى ربيع الأول ٧٥٢ هـ مايو ١٣٥١ م ، بعد أن حكم ٢١ سنة ، وأبو عنان فارس هو ابنه وحكم خمس سنوات (النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٢٥١ ، ٣٢٩ ، الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٧٤ ــ ٧٥ ، ١٩٣) .

(٢) الغرتى (بفتح الغين وسكون الراء وكسر التاء) ثمر كالاجاص شديد الحلاوة .

(٣) المعروف أن تنبكت كانت قرية صغيرة ، وأن المرابطة أو الملثمين ، هم الذين بنوها فى القرن الحادى عشر الميلادى (راجع الفصل الثانى) .

(٤) راجع الفصل الرابع .

زار ابن بطوطه بعد ذلك مدينة كوكو — جاو — ومكث بها شهرا ووصفها بأنها من أحسن مدن السودان وأكبرها ، ووصف مافيها من خيرات كثيرة ، وذكر أن أهلها يتعاملون بالودع مثل أهل مالى ، ثم زار مدينة تكدا ، ومافيها من مناجم النحاس ، وماعليه سكانها من رفاهية .

وبينما هو فى تكده ، دعى الى العودة الى فاس ، فغادرها فى قافلة بها ٦٠٠ امرأة من الرقيق ، ووصل الى فاس عن طريق اير — توات — سجلماسة — فاس .

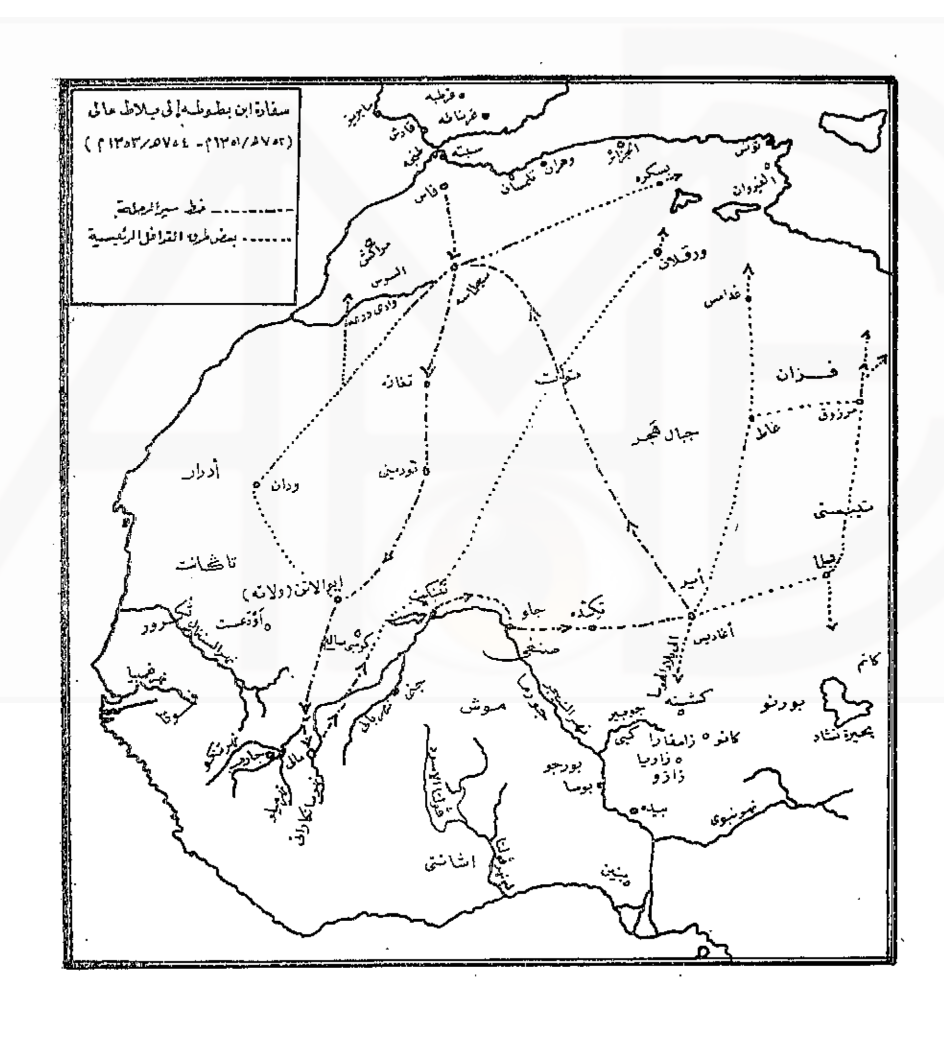
* * *

هكذا أعطى الرحالة الطنجى ابن بطوطة وصفا رائعا دقيقا لدولة مالى زمن ازدهارها ، فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى (١) .

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٧٦ — ٤٣٣ ، انظر كذلك عن أخبار هذه الرحلة : السعدى ص ٨ ،

Cooley, pp. 63-70 ; Bovill, pp. 93-99 ; Hogben, pp. 31, 33 ; Davidson, pp. 81-82 ; Monteil, pp. 126-137 ; Harrison, p. 238 ; Labouret, p. 203 ; Oliver and Fage, p. 89.



سفارة ابن بطوطة إلى بلاط مالي
(٧٥٢هـ/١٣٥١م - ٧٥٤هـ/١٣٥٣م)
خط سير الرحلة
بعض طرق القوافل الرئيسية
قرطبة
غرناطة
سبتة
طنجة
فاس
مراكش
السوس
سجلماسة
وهران
تلمسان
الجزائر
بسكرة
تونس
القيروان
ورقلة
غدامس
فزان
مرزوق
غات
جبال هقار
توات
تغازة
ودان
أدرار
جاو
تكدة
أغاديس
كشنة
كانم
بورنو
بحيرة تشاد
موش
أشانتي

# الفصل السادس

# نهاية دولة مالى

**عوامل الضعف الداخلية ـ الأخطار الخارجية ـ خلفاء مانسا سليمان قنبتا بن سليمان ومارى جاطة الثانى ( ١٣٦٥ ـ ١٣٧٤ م ) ـ فسوق مارى جاطة وسوء تدبيره ـ علاقة مالى بالمغرب ـ موسى الثانى ( ١٣٧٤ ـ ١٣٨٧ ) ـ استبداد وزيره ـ الفتن الداخلية ووثوب صندكى رئيس العبيد والوزير الى العرش (١٣٨٨ ـ ١٣٩٠ م) ـ مغان الثالث (٧٩٣ هـ = ١٣٩٠ م) ـ غموض تاريخ مالى منذ مطلع القرن الخامس عشر الميلادى ـ أخطار الطوارق وموش والفولانيين والتكاروره ـ صنغى وخطرها زمن أسرة «سن» ـ تخريب مالى العاصمة ـ تبعية مالى لصنغى ـ استغاثة مالى بالعثمانيين والبرتغاليين ـ سفارة البرتغاليين الى مالى ـ أسرة الأســاكى فى صنغى تنتزع معظم أملاك مالى ـ تجدد خطر التكاروره والفولانيين واستغاثة مالى مرة أخرى بالبرتغاليين ـ مالى زمن الغزو المراكشى لصنغى ـ اختفاء مالى .**

يمكن القول ان تدهور مالى ، بدأ على أثر وفاة مانسا موسى حوالى عام ١٣٣٧م ، فقد أخذت مساحتها تنقص من بعــده ، ولم تزدد أبدا ، حتى تقوقعت أخيرا فى مهدها الأول فى كانجابا .

وتلخص عوامل الضعف فى اثنين :

**أولهما داخلى :** ويكمن فى ضعف خلفاء موسى والانقسام العائلى

وكثرة الفتن الداخلية وضعف الولاء نحو الهيئة الحاكمة واختلال الأمن والثانى خارجى : وهو وضوح الخطر المباشر ، والذى سرعان ما أصبح مباشرا وحاسما فى مصير مالى وغيرها ، بل فى طى صفحة التاريخ القومى بغربى افريقية ، وفى افريقية السوداء برمتها ، فهو الاستعمار الأوربى الذى بدأ بحركة الكشوف البرتغالية ، هذا الخطر لم يكن واضحا خلال فترة تدهور مالى .

وسواء بقيت مالى أو ظلها ، وسواء بقى غيرها من الدول الافريقية فان هذا البقاء أضحى قصير الأمد ، ففى الوقت الذى كان البرتغاليون يستقرون خلاله على سواحل افريقية الغربية ، منذ مطالع القرن الخامس عشر الميلادى ، كانت الضربات القاصمة تكال لدولة مالى على أيدى جيرانها الافريقيين ، حتى لقد بدأ لمالى أن تستغيث بالبرتغاليين ، وسرعان مالبى البرتغاليون هذا النداء ، لا لمساعدة مالى ، ولكن للكشف والاستطلاع والتمهيد للمصالح الاستعمارية ، ومن أجل هذا الهدف ، توجهت بعثات برتغالية الى سيد صنغى ، عدو مالى اللدود ، والقوى فى ذلك الوقت .

* * *

جاء أول معول فى هدم دولة مالى ، عندما انفصلت صنغى وأعلنت استقلالها عن مالى حوالى عام ١٣٥٥ م ، بزعامة على كولن وأخيه سليمان ناو ، ورغم قوة مانسا سليمان فى ذلك الوقت ، فانه لم يستطع اخضاع صنغى وأعادتها الى الولاء والطاعة ، وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية ، حتى أن زوجته الكبرى اشتركت فى مؤامرة ضده ، وهى ابنة عمه ، ولقبها «قاسا» أى الزوجة الكبرى أو الملكة .

كاتبت قاسا طريدا من أسرة كيتا ، وهو من أبناء عمومتها أيضا ، واسمه جاطل ، استدعته بواسطة جاريتها ، واتفقت معه على خلع زوجها سليمان ، ومما جاء فى رسالتها إليه :

«أنا وجميع العساكر طوع أمرك» .

على أن أمر هذه المؤامرة قد كشف ، وتم القبض على قاسا وسجنها وعين مانسا سليمان زوجته الأخرى «بنجو» شريكة له فى الملك ، حسب التقاليد المرعية ، وكاد سليمان يقتل قاسا لولا استجارتها بدار

الخطيب (١) . على أن مثل هذه الشخصية القوية، القادرة على محوآثار الفتن والمؤامرات ، قل وجودها بعد مانسا موسى وأخيه مانسا سليمان .

جاء على عرش مالى ، بعد سليمان ، ابنه قنبتا ، لكنه لم يلبث فى الحكم سوى تسعة شهور مات بعدها (٢) ، فخلفه مارى جاطه الثانى ( ١٣٦٠ - ١٣٧٤م ) ، وهو ابن مغابن موسى . حكم جاطه الثانى أربعة عشر عاما ، ووصفه ابن خلدون بقوله :

انه « أشروال عليهم بماسامهم من النكال والعسف وافساد الحرام » (٣) ، ونقل ابن خلدون عن القاضى الثقة أبى عبد الله محمد بن وانسول من أهل سجلماسه ، وممن عمل فى القضاء فى مدينة جاو سنة ٧٧٦ هـ = ١٣٧٤م أن مارى جاطه هذا «أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم ، وكاد أن ينتقض شأن سلطانهم ، ولقد انتهى الحال به فى سرفه وتبذيره، أن باع حجر الذهب الذى كان فى جملة الذخيرة عن أبيهم ، وهو حجر يزن عشرين قنطارا ، منقولا من المعدن من غير علاج ولا تصفية بالنار ، كانوا يرونه من أنفس الذخائر والغرائب لندور مثله فى المعدن ، فعرض جاطه ، هذا الملك المسرف ، على تجار مصر المترددين الى بلده ،وابتاعوه منه بأبخس ثمن ، اذ استهلك من ذخائر ملوكهم سرفا وتبذيرا فى سبيل الفسوق» (٤) . وأورد القلقشندى بعض هذا القول ومضمونه (٥) .

ومع فسوق مارى جاطه الثانى وسوء تدبيره ، فان علاقات الود لم تنقطع بين بلاط مالى وبلاط بنى مرين فى فاس ، علم مارى جاطه أن الهدايا المرسلة من سلفه سليمان ، لم تصل بعد الى سلطان المغرب ، وهو يومئذ أبو سالم ابراهيم بن أبى الحسن (٦) ، وأنها لاتزال فى مدينة ولاته ، فاستعادها على الفور وزاد فيها زرافه . وصلت الهدية الى ملك المغرب فى صفر ٧٦٢ هـ = ١٣٦١م ، وأشار اليها صاحب العبر بقوله :

«وأتحف ملك المغرب لعهده ، السلطان أبا سالم بن السلطان أبى الحسن ، بالهدية المذكورة ، سنة اثنين وستين ، وكان فيها الحيوان

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٧ - ٤١٩؛ Monteil, pp. 137-9; Hogben, p. 33 انظر الفصل الأخير .

(٢) العبر جـ ٦ ص ٢٠١ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ .

(٣) العبر جـ ٦ ص ٢٠١ .

(٤) العبر جـ ٦ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٥) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ ، أنظر كذلك : Monteil, p. 152

(٦) توفى أبو سالم فى ذى القعدة ٦٧٢ هـ = سبتمبر ١٣٦١ م .

العظيم الهيكل ، المستغرب بأرض المغرب ، المعروف بالزرافة ، تحدث الناس بما اجتمع فيه من مفترق الحلى والشبه فى جثمانه ونعوته دهرا» (١) .

كان سفراء مالى برياسة الحاج موسى الونجرانى ، قد أوضحوا لملك المغرب أسباب تأخر وصولهم ، بأن الفتن الداخلية قد عاقت مسيرهم من قبل (٢) ، ثم وصفوا له سلطانهم مارى جاطه بالعظمة والقوة ، وأدوا له التحية المألوفة فى بلاد مالى ، وهى التتريب ، أى القاء التراب على الرأس والظهر (٣) .

وقبيل أن تعود بعثة مالى الى بلادها ، قتل السلطان أبو سالم ، فى فتنة داخلية ، صراعا حول العرش ، وأدت هذه الفتنة الى هروب أحد أفراد الاسرة المالكة فى فاس ، الى مالى ، وهذا الامير الهارب هو المعروف باسم السلطان عبد الحليم بن أبى على عمر ، ووصل مالى عام ١٣٦٦م ، حيث استقبله مارى جاطه وجهزه للحج (٤) .

وتعتبر سفارة مالى الى المغرب ، أهم حدث سياسى يقع فى عهد مارى جاطه الثانى .

حدث أن مرض مانسا جاطه بمرض النوم نحو سنتين حتى مات حوالى سنة ٧٧٥ هـ = ١٣٧٤م (٥) ، ويقول القلقشندى عن مرض النوم هذا انه «كثيرا مايصيب أهل تلك البلاد ولاسيما الرؤساء منهم ، يأخذ أحدهم فى النوم حتى لايكاد يفيق » (٦) ، ويضيف ابن خلدون:

«ولايستيقظ الا فى القليل من أوقاته ، ويضر صاحبه ، ويتصل سقمه الى أن يهلك » (٧) .

خلفه ابن موسى الثانى ( ١٣٧٤ — ١٣٨٧ م ) ، وهو أحسن سيرة من أبيه ، اذ سلك طريق العدل ، غير أن وزيره مارى جاطه ، استبد بالامور دونه ،ونجح هذا الوزير فى اعادة بعض الهيبة للدولة ، وبذل ما استطاع من جهود فى سبيل استعادة نفوذ مالى فى البلاد التى فقدتها،

---

(١) ابن خلدون جـ ٦ ص ٢٠١ .
(٢) Monteil, p. 140
(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٩ .
(٤) Monteil, p. 140
(٥) ابن خلدون جـ ٦ ص ٢٠٢ ، L. Lpgard, p. 152
(٦) صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ .
(٧) العبر جـ ٦ ص ٢٠٢ .

فحارب صنغى النامية بسبب استيلائها على كثير من الأملاك الشرقية لدولة مالى ، ووصلت جيوشه الى جاو ، وتجاوزتها ، لكنها لم تستطع الاستيلاء عليها ، كما أن الجيش الذى بعثه لاعادة سلطان مالى على مناجم النحاس فى تكدة ، قد فشل (١) .

حارب الملثمين فى شمالى مالى وحاصر مدينتهم « نكرت » جنوب غربى ورقلان ، وهذه المدينة هامة بسبب وقوعها فى طريق الحج ، وانتهت الحرب مع الملثمين بعقد معاهدة (٢) .

ومات السلطان موسى عام ٧٨٩ هـ : ١٣٨٧ م ، ولم يطل حكم أخيه منسامغا أو مغان الثانى ( ١٣٨٧ — ١٣٨٨ م ) ، فقد قتل فى فتنة داخلية بعد سنة من الحكم (٣) ، وخلفه صندكى زوج أم موسى ( ١٣٨٨ — ١٣٩٠ ) .

وصندكى لقب معناه وزير أو رئيس العبيد Dyon-Sandigui (٤) وليس فى عهدى هذين السلطانين الشرعى منهما والمغتصب ما يستحق الذكر سوى الفتنة الضاربة والصراع بين كبار الموظفين للظفر بمنصب « منسا » وخلال هذه الانقسامات ، كان سليل من أسرة كيتا واسمه محمود ، يعيش شريدا فى البلاد الوثنية ، لكن كان يرقب الحوادث ، فلما رأى أن الفرصة سنحت ، تحرك من منفاه ، وانتزع العرش من المغتصب صندكى عام ٧٩٣ هـ : ١٣٩٠ م ، وتولى بلقب « منسامغا » ، وهو الثالث فى سلسلة الملوك من أسرة كيتا ، الملقبين بمغا أى محمد ، ثم هو من سلالة منسا قو بن منسا على بن سارى جاطه الأول (٥) .

لا توجد معلومات واضحة عن عهد منسامغا الثالث هذا ، سوى أنه استرد العرش من المغتصب صندكى .

❋ ❋ ❋

وبعهد مغا الثالث ، تنتهى سلسلة ملوك مالى المتعاقبة من أسرة كيتا ، وهى السلسلة التى أوردها ابن خلدون والقلقشندى ، ومن بعد

(١) العبر جـ ٦ ص ٢٠٢ ، Monteil, pp. 141-143

(٢) العبر جـ ٦ ص ٢٠٢ .

(٣) العبر جـ ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ ، L. Lugard, p. 152

(٤) الصيغة العربية عن ابن خلدون والقلقشندى (أنظر : العبر جـ ٦ ص ٢٠٢) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٨ ، Monteil, pp. 141-142.

(٥) العبر جـ ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٨ .

هذا السلطان ، لا توجد معلومات دقيقة أو كافية عن الملوك الذين حكموا مالى ، حتى مجرد اسمائهم الى نهاية مالى ، ولا يوجد بالمراجع الأجنبية فيما أعلم سوى أسماء خمسة من سلاطين مالى ، الثلاثة الاول منهم باسم محمد ( مامادو ) ، عاش أولهم أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ( ١٤٨١ م ) وعاش الثانى فى النصف الاول من القرن السادس عشر ( ١٥٣٤ م ) ، أما الثالث ، فقد عاصر الفتح المراكشى وشهد القضاء على امبراطورية صنغى أواخر القرن السادس عشر ( ١٥٩٠ م ) .

وأما الرابع ، واسمه ماما مغان Mama Magha فكان يعيش فى القرن السابع عشر الميلادى فى العاصمة مالى حتى طرده عنها ملك سيجو عام ١٦٧٠ م وآخر السلاطين المعروفين من سلالة سندياتا هو مامبى كيتا Mambi Keïta حكم فى كانجابا نحو خمسة عشر عاما ومات وتفرق بنوه من بعده (١) .

ثم ان السعدى فى كتابه تاريخ السودان ، ومحمود كعت فى كتاب الفتاش ، لم يشير الى أى اسم من أسماء ملوك مالى منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ،وان أشارا الى فتوح صنغى المستمرة فى بلاد مالى، والى هجوم الجيران الآخرين عليها أمثال الطوارق والموش .

ولعل السبب فى خلو كتابى السعدى ومحمود كعت ، من ايراد أسماء ملوك مالى المتأخرين ، هو ظهور امبراطورية صنغى وسيطرتها على حوادث السودان الغربى منذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر فصاعدا .

وبالرغم من ذلك فان مالى كانت لاتزال قائمة وتتمتع بقدر من القوة ، وان استحالت الى دولة تابعة لصنغى ، ولكن هذه التبعية على سلطان صنغى .

ومع هذه التبعية ، وهذا التقوقع فى كانجا ، مهدها الأول ، فقد أوفد البرتغاليون أكثر من سفارة الى بلاط مالى ، كما أن مساحتها لم تكن من الضيق والقلة ، كما قد يتبادر الى الذهن ، ولكن هذا بالقياس الى وضعها السابق فى القرن الرابع عشر ، وبالمقارنة مع جارتها القوية الطاغية ، صنغى ، وقد أحدقت بها من ناحيتى الشمال والشرق . . وكانت حدود مالى الغربية فى ذلك الوقت تصل الى شاطىء المحيط الأطلسى ، كما كانت حدودها الجنوبية تتصل بالبلاد الجبلية المجهولة (٢).

---

(١) Delafosse, pp. 30-31 ; Spitz, p. 63

(٢) Monteil, p. 147 ; Spitz, p. 63

يضاف الى ذلك ، لم تكن مالى فى القرن السادس عشر متخلفة حضاريا بقدر تخلفها السياسى والحربى ، فقد زارها الحسن بن الوزان الفاسى ، المشهور باسم ليو الافريقى Leo Africanus فى مطلع ذلك القرن ( ١٥٠٧ أو ١٥١٠ م ) (١) ووصف عاصمتها نيانى ( مالى ) بالازدهار والثراء والتطور الحضارى ، قال :

« تضم هذه العاصمة نحو ستة آلاف أسرة من أرباب الحرف والتجارة ، وأن مانسا مالى — لم يذكر اسمه — يرحب بالأجانب ، وبهذه العاصمة يوجد قصره ، وبها العلماء والفقهاء والمساجد بأعداد كبيرة ، ويقوم العلماء بالقاء دروسهم فى المساجد والجوامع ، كما أن جميع سكان مالى أثرياء ، ويفوقون جميع الزنوج من سكان البلاد الأخرى من ناحية المدنية والمهارة والنشاط والذكاء . وبالمنطقة الكثير من الخيرات من القمح واللحوم والقطن ، غير أن مالى فقدت مجدها السابق ، وقد عجز مانسا مالى ، أمام اسكيا الحاج — ملك صنغى — حتى لم يعد قادرا على حماية أسرته .. (٢) » .

* * *

أما الأخطار المباشرة التى تواصت بدولة مالى من كل جانب ، منذ القرن الخامس عشر ، فتتلخص فيما فعله الطوارق وموش والفولانيون والتكارره ثم صنغى صاحبة الدور الكبير فى تحطيم مالى .

فأما الطوارق ، فلم يكفوا عن قرع بلاد مالى ، وأخطر ما قاموا به هو استيلاؤهم على أوران وتنبكت وولاته عام ٨٣٧ هـ : ١٤٣٣ م ، ولقد فعلوا الشنائع فى مدينة تنبكت وأهلها، وعجزت مالى عن استرجاعها منهم ، ولذلك ظل الطوارق بها حتى طردهم عنها ملك صنغى عام ٨٧٣ هـ : ١٤٦٨ م ، فتحول الطوارق الى بلاد مالى الأخرى الشمالية واستولوا على جميع ما وصلت غزواتهم اليها (٣) .

(١) على ضوء المعلومات التى أوردها ليو الأفريقى فى مؤلفه ، جاءت الخرائط التى رسمت فى أوربا عن افريقية ، أكثر دقة ووضوحا عما سبقتها ، وان كان ليو أخطأ حين قال ان نهر النيجر يسير نحو الغرب (راجع المدخل) .

(٢) ليو الافريقى : الكتاب السابع ص ٢٨٧ ،

Monteil, p. 164 ; Johnston, pp. 299-300 ; Okafor, p. 30 ; Labouret, p. 203 ; Bovill, pp. 125-132 ; Reeve, pp. 41-46

(٣) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، السعدى ص ٢٢ ، ٢٥ — ٢٦ ، ٦٥ ، الفتاش ص ٤٨ ،

Davidson, p. 98 ; Le Chatelier, p. 82 ; Bovill, pp. 103-104 ; Church, p. 263 ; Gouilly, pp. 16-17 ; Monteil, p. 144 ; Hogben, p. 46 ; Okafor, pp. 30-31 ; L. Lugard, pp. 164-167.

وأما قبائل موش Mossi ، وتقيم جنـــوبى مالى ، فقـــد دأبت على الغزو والنهب والتخريب ، وقاوموا الاسلام والمســلمين ، بل انهم هاجمــوا تنبكت زمن أعظم ســلاطين مالى وهو مانســا موسى وخربوها ونهبوها . وحوالى عام ١٤٠٠ م ، غزا الموش منطقة بحيرة دبو Debo المتصلة بالنيجر ، وهى منطقة تجارية هامة فى وسط النيجر ، ولم تقتصر غزوات الموش على مالى ، بل كانوا يهاجمون كل دولة اســـلامية تقـوم بجوارهم ، ولذا تعرضت صنغى لكثير من هجماتهم ، كما تعرضوا هم لضربات قاصمة من صنغى (١) .

ومن ناحية الفولانيين ، فقد كان لهم أكثر من دولة ، قبل أن يعظم خطرهم فى القرن الثامن عشر ، كانت لهم دولة فى ماسنة على النيجر ، وأخرى فى فوتاتورو أوفوتا السنغالية ، وثالثة فى فوتاجالون ورابعة فى منطقة هنبر فى أعالى نهر فولتـــا ، ثم كانت دولتهم الكبرى فى بلاد الهوســا .

تعرضت مالى لغزوات الفولانيين ، ومعهم التكارره ، حوالى عام ٩٣٧ هـ : ١٥٣٠ م ، وهاجموا بامبوك التابعة لمالى فى أعالى نهر السنغال وعند رافده الأعلى فاليم ، حيث أقاموا مذبحة كبرى فى قبائل الماندنجو المنتشرة فى حوض نهر فاليم (٢) .

لــكن خطر صنغى ، كان حاســما فى كيــان مالى كدولة كبرى فى الســودان الغربى ، بحيث أعاد هذا الخطر مالى ، عنــد مطلع القــرن الســادس عشر ، الى الوضع الذى كانت عليه فى فجر نشأتهـــا ونموها ، فى اقليم كانجابا ، فى القرن الحادى عشر الميلادى .

ويمكن التأريخ لبداية خطر صنغى ، بحــادث فرار أميرى صنغى على كولن وســليمان نار ، من مالى الى جاو حوالى عام ١٣٥٥ م (٣) ، فقد تولى على كولن السلطنة فى جاو ، وانفصلت صنغى عن مالى ، بعـد ان ظلت خاضعة لها نحو نصف قرن (٤) ، وظلت تعمل على الانتقام من

(١) L. Lugard, pp. 165-177 ; Monteil, pp. 143-147 ; Urvoy, p. 28 ; Gouilly, pp. 52-53; Bovill, p. 104 ; Church, p. 256 ; Spitz, p. 62 ; Le Chatelier, pp. 120-122 ; Mélanges Ethnologiques, p. 21.

(٢) امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف ، السعدى ص ١١ ، ١٨ ، Le Chatelier, pp. 107-119 ; Fage, p. 146 ; L. Lugard, p. 165, Bovill, pp. 107-108 ; Trimingham, pp. 11-12, 15 ; Burns, pp. 44-46 ; Monteil, p. 147 ; Palmer, the Bornu, pp. 92, 187, 189 ; Hogben, p. 59 ; Marth, II, p. 636 ; Pedler, p. 151.

(٣) راجع ماسبق وانظر Le Chatelier, p. 81 ; Hogben, p. 33 ; Rouch, p. 9

(٤) L. Lugard pp. 120-121

مالي وعلى بناء امبراطوريتها ، على حساب مالى ، وهى الجارة الغربية الكبرى .

أخذ على كولن لقب « سن » أو « شى » بمعنى خلفية السلطان أو نائبه (١) ، وهو مؤسس الأسرة الثانية فى حكم دولة صنغى ، وهى الأسرة التى أخذ جميع خلفائه من بعده هذا اللقب « سن أو شى » ، وهى من سلالة أسرة الأزواء الأولى (٢) .

يقول السعدى عن على كولن هذا ، انه : « هو الذى قطع حبل الملك على رقاب أهل سنغى من أهل ملى (٣) » ، أى انه هو الذى حرر صنغى من سيادة مالى وحقق استقلالها .

وفى عهد سن الاول على كولن وأخيه سليمان نار ، وهما ولدا زاياسبى ، لم يتجاوز ملك صنغى العاصمة جاو وما حولها (٤) ، الا أن خلفاءه ساروا على نهجه فى مداومة الهجوم على مالى وانتزاع أملاكها ، ففى زمن سن محمد داع أو ما دعو وهو السلطان العاشر فى سلسلة ملوك أسرة سن ، خربت صنغى عاصمة مالى وأسرت الكثير من عبيدها (٥) ، وواصل ملوك صنغى أعمال الغزو والنهب فى دولة مالى ، فاستولى سليمان دام ، ويعرف كذلك ، باسم « شى سلمان دام » أو « داند » ، على بلاد ميم Mema الخاضعة لمالى وخربها (٦) ، وشى سليمان دام هو السابع عشر فى سلسلة ملوك صنغى بعد سن على الأول ، واشتهر بالفسوق والفجور والجبروت رغم اسلامه (٧) .

جاء بعد سليمان دام ، الملك المشهور ، والمؤسس الحقيقى لامبراطورية صنغى ، وهو « سن على » وهو الثامن عشر بعد سن الاول ، تولى عرش صنغى عام ٨٩٦ هـ = ١٤٦٤ م وحكم ٢٧ سنة . وقد حمل عليه السعدى حملة عنيفة لسبب قسوته وجبروته ، ورماه بالفجور

---

(١) ذكر محمود كعت آن شى معناها : كى بنند آى خليفة السلطان أو بدله أو عوضه ، ويعرف باسم شى عال أو شى على أو سنى على ( الفتاش ص ٤٣ ـ ٤٤ ، السعدى ص ٢ ـ ٣ ) .

(٢) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف .

(٣) تاريخ السودان ص ٥ ـ ٦ .

(٤) السعدى ص ٦ .

(٥) السعدى ص ٢ ـ ٤ ، الفتاش ص ٤٢ .

(٦) الفتاش ص ٤٢ ـ ٤٣ ، السعدى ص ٢ ـ ٤ Monteil, p. 143.

(٧) الفتاش ص ٣٤ .

والظلم (١) وينتمى سن على هذا ، من ناحية الأم ، الى أسرة كوناتى من الماندنجو ، وهى الأسرة السابقة على أسرة كيتا فى حكم مالى .

استولى سن على على مدينة تنبكت عام ٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ م ، وطرد الطوارق عنها ، وجعلها العاصمة الثانية لملكته ، واستولى بعد ذلك على جنى عام ١٤٧٧ م ، وكانت مالى قد عجزت عن فتحها ، وان جنى دفعت لها الجزية فى بعض الأوقات (٢) . أضحى سن على السيد المطلق فى جميع ولايات النيجر الأوسط ، وطرد قبائل الموش الى الجنوب فى عام ١٤٨٠ م ، واشتهر اسمه خارج السودان الغربى ، فعرف فى بلاد المغرب بأنه أقوى ملك فى بلاد السودان ، وأشار اليه الأوربيون باسم « سنى على سيد تنبكت » (٣) ، وكانت حركة الكشوف البرتغالية على قدم وساق (٤) وفى عهد سن على هذا صارت مالى خاضعة لسيادة صنغى ، وتدفع لها الجزية ، وان احتفظت باستقلالها الاسمى (٥) .

شعر مانسا مالى بشدة وطأة صنغى ، ولم يجد بدا من الاستعانة بأية قوة خارجية لمساندته ، فاستغاث فى عام ١٤٨١ م بالأتراك العثمانيين الذين كانوا قد استقروا ببلاد المغرب ، طالبا حمايتهم ، ولا نعلم شيئا عن نتيجة هذا الاتصال (٢) ، ولكن الذى نعلمه أن مانسا مالى ، وهو محمد الاول فى ذلك الوقت ، بناء عن رواية البرتغالى حنا باروس Joao de Barros ، طلب مساعدة ملك البرتغال (٦) وأن ملك البرتغال ، كما يقول لابورى ، خشى من امتداد نفوذ الأتراك العثمانيين المسلمين الى قلب افريقية ، فأسرع بالاستجابة الى استغاثة منسا مالى (٧) . انصبت استغاثة مالى على طلب المساعدة ضد خطر صنغى ، واستعادة البلاد التى انتزعت منها (٨) .

---

(١) السعدى ص ٦٤ .

(٢) راجع ماسبق ، وانظر السعدى ص ١٤ ــ ١٥ ،
Reeve, p. 33 ; Le Chatelier, p. 88 ; Gouilly, p. 57 ; Rouch, Les Songhay, p. 9.

(٣) Gouilly, p. 58 ; Spitz, p. 64 ; L. Lugard, p. 175 ; Rouch, Op. Cit., p. 9.

(٤) البرتغاليون فى غرب أفريقيا للمؤلف ص ٢٦ ومابعدها .
L. Lugard, p. 179 ; Bovill, p. 105 ; Spitz, p. 64 ; Rouch, p. 9

(٥) Johnston, p. 118 ; Labouret, p. 241

(٦) Monteil, p. 145

(٧) Labouret, p. 241

(٨) Fage, p. 27

بعث ملك البرتغال بسفارتين الى بلاط مالى ، احداهما عن طريق نهر غمبيا ، وتتكون من ثلاثة أعضاء هم : رودريجيز رابللو Rodriguez Rabello وبطرس رينل Pero Reynel وجنا كولاساو Joao Collaçao . لم يعرف شيء عن خبر هذه السفارة وما تم بشأنها . وأما السفارة الثانية ، فتوجهت عن طريق « المينا » (١) ، ووصلت الى مدينة سونجو Songo ، عاصمة مالى يومئذ ، أو هكذا سماها البرتغاليون ، فليست هذه التسمية سوى تسمية أخرى لمدينة مالى أو نيانى ، كما ينطقها سكان فانتى وأشانتى وسكان الساحل عند خليج غينية (٢) . لم يعد من هذه السفارة سوى شخص واحد من ثمانية ، وهو بطرس رينل ، الذى خبر الطريق من قبل (٣) .

وصف بطرس رينل مالى فى ذلك الوقت بأنها مزدحمة بالسكان ، وتاريخ هذه السفارة عام ١٤٨٣ م (٤) . وقد عاد ومعه رسالة من السلطان محمد الاول ، وفيها يوضح مدى دهشته مما سمعه عن قوة ملك البرتغال وشهرته ، ولكن لم يفت مانسا مالى أن يتحدث عن عظمة مالى ، وأن بلاده لم يسبق لها من قبل أن استقبلت سفارة أو رسالة من ملك مسيحى طوال عهود الاربعة آلاف وأربعمائة سلطان ، سبقوه فى حكم مالى .

لم يؤد التقارب بين مالى والبرتغال الى أية نتيجة فيما يتعلق بمساندة مالى ضد صنغى (٥) ، ولكن النتيجة المحققة ، أن البرتغاليين قد درسوا الطرق الداخلية .

---

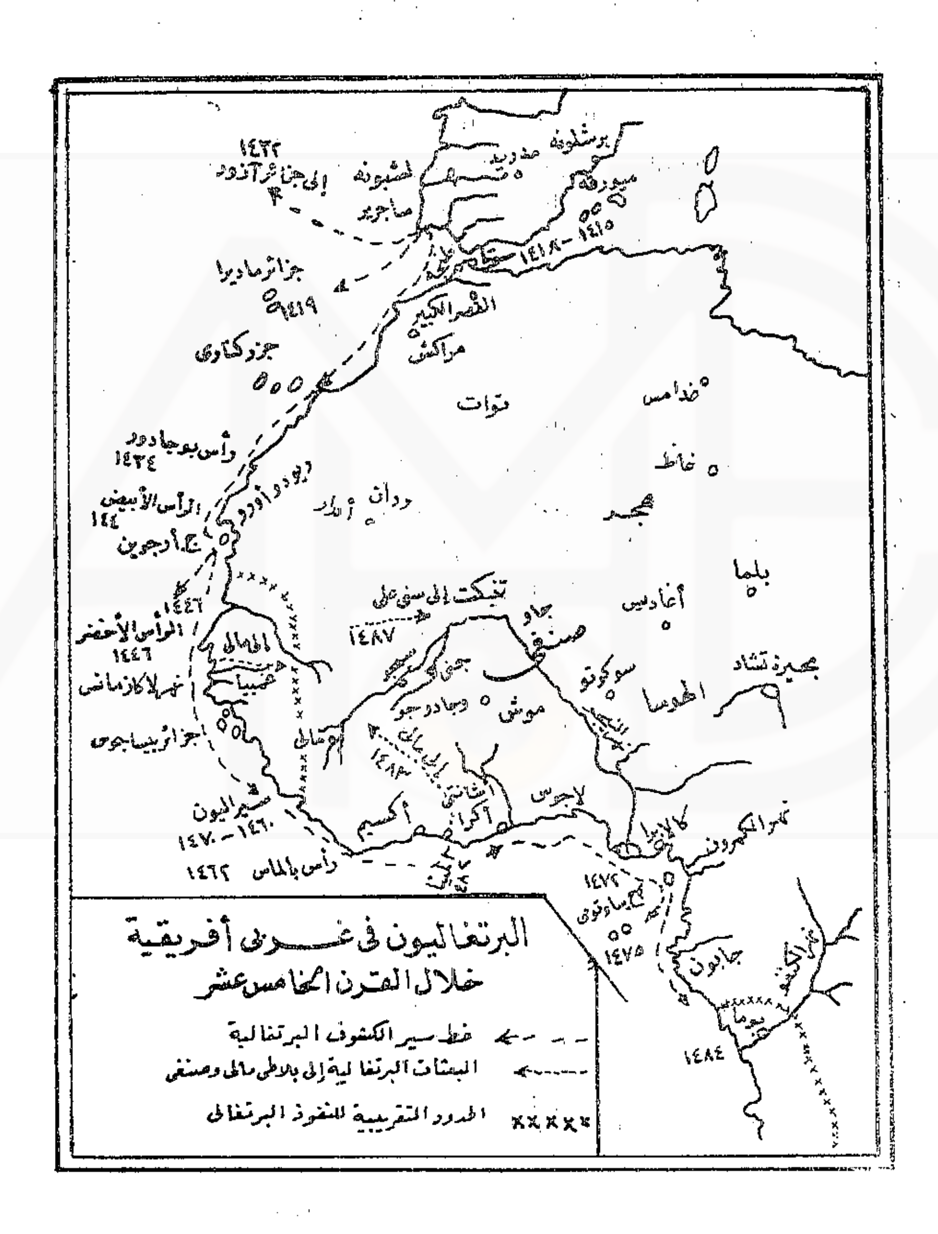
(١) المينا Elmina حصن بناه البرتغاليون على ساحل (جمهورية غانة الحالية) عام ١٤٨١ م وزاد ما فيه خلال السنوات التالية ، وكان يعرف باسم حصن القديس جورج مينا Sao Jorge de Mina ، ويقال ان هذه التسمية ترجع الى النورمان ، الذين وضعوا أساس الحصن فى القرن الرابع عشر وأطلقوا عليه اسم «منجم الذهب» La Mine d'or ثم تحرفت الى المينا (انظر : البرتغاليون فى غرب افريقية للمؤلف ص ٢٨ : Hogben, p. 64 ; Ward, pp. 62-63 ; Kup, p. 62 ; Wiedner, pp. 38-39 ; Reindore, p. 11 ; Bovill, p. 119) Johnston, p. 80).

(٢) Labouret, p. 204

(٣) Labouret, p. 203

(٤) Monteil, p. 146 ; Fage. p. 27

(٥) Monteil, pp. 144-6 ;



البرتغاليون في غربي أفريقية
خلال القرن الخامس عشر
خط سير الكشوف البرتغالية
البعثات البرتغالية إلى بلاطي مالي وصنغي
الحدود التقريبية للنفوذ البرتغالي
برشلونه
مدريد
لشبونه
بلنسيه
إلى جزائر آزور
١٤٣٢
١٤١٥ - ١٤١٨
جزائر ماديرا
١٤١٩
القصر الكبير
مراكش
جزر كنارى
توات
غدامس
رأس بوجادور
١٤٣٤
غاط
ريو دو أورو
وادان
مجبر
الرأس الأبيض
ج. أرجوين
بلما
تمبكت إلى سني علي
أغاديس
جاو
صنغي
١٤٨٧
الرأس الأخضر
١٤٤٦
مالي
جمبيا
نهر الكازمانس
سوكوتو
بحيرة تشاد
الهوسا
موشي
جزائر بيساجوس
سيراليون
١٤٦٠ - ١٤٧٠
رأس بالماس ١٤٦٢
أكسيم
أشانتي
أكرا
لاجوس
نهر الكمرون
١٤٧٢
ساوتومي
١٤٧٥
جابون
نهر الكنغو
١٤٨٤

وكما بلغت مالى الذروة فى عهد مانسا موسى فى القرن الرابع عشر، بلغت صنغى ذروة مجدها أوائل القرن السادس عشر زمن أسكيا الحاج محمد ، مؤسس أسرة الأساكى فى حكم صنغى ، وهى الأسرة الثالثة (١). ولى اسكيا الحاج عرش صنغى عام ١٤٩٢ م ، وهو العام الذى كشف فيه كولمبس أمريكا ، وخلال حروب سنى على واسكيا الحاج ضد مالى ، يحتمل أن العاصمة مالى قد خربت أكثر من مرة ، وهذا يفسر اقامة مانسا مالى فى مدن أخرى خلال هذه الحروب ، فقد حدث فى عام ٩٠٧ هـ = ١٥٠١ م أن كان مانسا مالى يقيم فى عاصمة جنوبية له ، هى مدينة زلن قرب أعالى السنغال ، فأرسل اسكيا الحاج أخاه عمر لفتح هذه المدينة ، ولكن قائد حامية زلن ويسمى فتى قلى ، دافع عنها دفاع المستميت حتى امتنعت المدينة على جيش صنغى (٢) ، مما حمل اسكيا الحاج على القدوم بنفسه وانتصر ودمر مدينة زلن ونهب قصر المانسا ، وكان من بين سباياه امرأة اسمها « مريم دابو الونكرية (٣) » ، فتزوجها اسكيا وأنجب منها ولده اسماعيل ، وظل اسكيا بعض الوقت فى زلن حتى نظم أمورها لسيادة صنغى الجديدة .

وقد جرت عادة ملوك السودان ، فى كثير من الأحيان ، أن يبقوا الحكام الوطنيين فى البلاد المفتوحة بشرط الولاء ودفع الجزية ، ولذلك أبقى اسكيا صنغى مانسا مالى فى منصبه ، وأضحى منسا مالى يعرف باسم « حاكم مالى » أو « كى مل » (٤) .

وهكذا ظلت فتوح صنغى فى أملاك مالى (٥) ، وبالرغم من ذلك بقيت مالى ذات كيان سياسى ومساحة واسعة وشهرة خارج بلاد السودان .

وهناك جيران آخرون ، بدأ خطرهم يتضح فى ذلك الوقت ، وهو مطلع القرن السادس عشر ، وهؤلاء الجيران هم التكارره والفولانيون ،

---

(١) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، الفتاش ص ٥٢ ـ ٥٩ ، السعدى ص ٦، ص ٧١ ـ ٧٢ .

(٢) السعدى ص ٦ ، ٧١ ـ ٧٢ ، الفتاش ص ٥٩ ، Le Chatelier, p. 82

(٣) فى الفتاش ص ٨١ : مريم داب وانكرية (بضم الباء فى داب ، وفتح الواو وسكون النون وفتح الكاف وسكون الراء وفتح الياء) .

(٤) السعدى ص ١٧ ، ٧٥ ، ٩٨ ، الفتاش ٧٠ ، ٨٧ ، ٩٢ ، Monteil, p. 140-6; L. Lugard, p. 192; Oliver and Fage, p. 89;

(٥) السعدى ص ١٧ ، ٩٨ ، الفتاش ص ٨٧ ، ٩٢ ، Monteil, p. 140

تحالفوا معا ضد الماندنجو وأقاموا فيهم مذبحة كبرى عام ١٥٣٠ م (١) ، وهنا اضطر مانسا مالى ، وهو محمود الثانى ، حفيد محمود الاول ، الى طلب النجدة من البرتغاليين ، واستجاب البرتغاليون على الفور ، وجاءت سفارة من قبل ملك البرتغال برياسة بطرس فرناندو Perez Fernando عام ١٥٣٣ م أو ١٥٣٤ م ، ولم يكن هدف السفارة مساعدة مانسا مالى ضد أعدائه أو اصلاح ذات البين بينهم ، ولكن لبحث مسائل تجارية مع « مانسا الماند » Mansa Mandi ، مما يدل على أن مالى لم تزل ذات كيان وشـــهرة ، بالرغم من خضـــوعها الاسمى لصنغى ، ولم تزل تتحكم فى مســاحات واسعة جنوبى السنغال حتى شاطىء المحيط (٢) .

استقبل محمد الثانى هذه البعثة وذكرها بأن جده محمد الأول ، كان قد استقبل بعثة مماثلة من قبل ملك البرتغال ، لا نعلم شيئا دقيقا عن نتيجة هذه السفارة أو طبيعة المفاوضـــات التى دارت ، ويبدو أن الفولانيين والتكاروه وافقوا على الجلاء عن حوض نهر فاليم أحـد فروع السنغال ، وهو من أملاك مالى (٣) .

وربما استعاد مانسا مالى بعض القوة والقدرة ، بعد هذا الحدث ، فقام بثورة ضد صنغى عام ٩٤٢ هـ = ١٥٣٥ م ، محاولا التخلص من سيادتها ، ولكن صنغى قمعته ، وبعث ملك صنغى وهو أسكيا اسحاق ( ولى العرش عام ٩٤٦ هـ = ١٥٣٩ م ) ، أخاه داود لمدينة ينانى (مالى) فهرب محمد الثانى ، وظل داود يخرب وينهب نحو أسبوع ، حتى انه أمر جنوده بتلويث قصر المانسا ، وبعد جلائه عن المدينة عاد « كى مل » الى عاصمته (٤) .

وعندما أصبح داود أسكيا فى صفر من عام ٩٥٥ هـ = ١٥٤٨ م ، وسع فتوح صنغى ونظمها ، ولم يكف عن غزو مالى ، فاجتاح بعض أقاليمها مثل : باغن وكلا وسور بنتبنا ، وكان غزوه للأقليم الأخير آخر غزواته « فى أرض ملى » عام ٩٧٨ هـ = ١٥٧٠ م . (٥)

---

(١) Monteil, p. 147

(٢) Le Chatelier, pp. 82-83

(٣) Monteil, p. 147

(٤) Le Chatelier, p. 83 ; Monteil, p. 147 ; Labouret, p. 203

(٥) السعدى ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، كعت ص ٩٣ — ٩٤ . Monteil, pp. 147-8

اختلت أمور مالى بعد ذلك ، وكثرت فيها الفتن والانقسامات ، كما انتشر قطاع الطرق وكثرت غزوات واعتداءات جيرانها (١) ، حتى اذا جاء الغزو المراكشى عام ٩٩٩ هـ = ١٥٩٠ م بقيادة جودر باشا ، من قبل سلطان مراكش الشريف الامير مولاى أحمد الذهبى ، وقضى على امبراطورية صنغى ، وشغل الفارون والجافلون من ملوك وأمراء صنغى فى الكفاح ضد الفاتحين (٢) ، تحرك سلطان مالى ، وهو محمد الثالث فى ذلك الوقت كذلك تحرك سلطان ماسنه الفولانى حمد آمنه (٣) ، ونجح الاثنان فى التحرر بعد زوال صنغى .

استعادت مالى بعض أملاكها المفقودة ، وطمعت فى الاستيلاء على مدينة جنى ، وهى التى امتنعت عليها من قبل زمن ازدهار قوتها ، كان يحكم جنى آنذاك على العجمى من قبل محمود باشا زرقون خليفة جودر باشا فى القيادة للجيش المغربى بالسودان .

طلب مانسا مالى المساعدة من حاكم كلا ، احدى الولايات التابعة لمالى ، ولكن حاكم كلا أجاب مانسا مالى بأن الأمل ضــــعيف فى مقاومة الفاتحين المغاربة ، ونصحه بأن يستعين بولاة أقاليم مالى الآخرين أمثال : فاران سورا Faran Soura وسنجر زوما Sanger Zouma (٤) ، وهذا يدل على أن مالى لا تزال قوة ، وان زالت عظمتها السابقة .

لم ينثن عزم مانسا مالى عن مشروع فتح جنى لأهمية هذه المدينة (٥) من حيث الثروة والشهرة العلمية ، حتى انها كانت ضمن اللقب الذى اتخذه مولاى زيدان بن الذهبى سلطان مراكش ، فقد كان لقبه : «سلطان جاو وتنبكت وجنى » (٦) . استعان مانسا مالى بمن بقى على ولائه من حكام أقاليم مالى المحليين ، مثل حاكم فاركو وحاكم أوما ، كما انضــم اليه حليفه الفولانى حمد آمنه ، وهاجم جنى عام ١٠٠٧ هـ = ١٥٩٨ م ،

---

(١) Monteil, p. 148

(٢) السعدى ص ١٣٥ ومابعدها ، الفتاش ص ١٤٣ ومابعدها ،
Spity, pp. 64-65 ; Bovill, pp. 147-173, Rouch, p. 10

(٣) امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف .

(٤) Monteil, p. 148

(٥) انظر : السعدى ص ١٢ ـ ١٥ .

(٦) Bovill, p. 176

ولكن المراكشيين أبادوا هذه القوات ، وكاد ملك مالى يقع أسيرا لولا سرعة جواده (١) .

بهذا الحادث الذى وقع أواخر القرن السادس عشر الميلادى يختفى مانسا مالى كعامل مؤثر فى تاريخ السودان الغربى ، أو أن المعلومات عن مالى منذ ذلك الوقت غـدت نادرة جدا ، أو فقدت ، فلم ترد أخبـار عن مالى بعد ذلك الا عرضا ، خلال الأحداث التى استوعبت تاريخ غـــربى افريقية منذ القرن السابع عشر فصاعدا ، وهى أحداث الكشف الجغرافى والاستعمار الاوربى . لكن ليس معنى هذا أن مالى قد فنت وذابت فى غيرها ، فنسـمع فى عام ١٦٧٠ م عن مانسـا اسمه مامامغان ، كان لايزال يحكم فى عاصمته مالى ، وأنه هزم فى ذلك العام أمام ملك سيجو واسمه بيتون كولوبالى ، من البامباره ، أحد فروع الماندنجو (٢) ، وأنه بعـد هذه الهزيمة يقوقع فى دويلة صغيرة ، وخلفه فيها مانسا آخر اســـمه مامبى كيتا ، حكم لمدة خمس عشرة سنة . ونسمع كذلك أن أبناء مامبى كيتا خلفوه ثم تفرقوا بعد أن اقتسموا السلطة ، واستقر أواخرهم فى باماكو (٣) .

---

(١) Monteil, p. 148

(٢) انظر الخاتمة فيمايلى .

(٣) انظر الخاتمة فيما يلى وراجع Delafosse, pp. 30-31

# ملوك مالى

## ١ ـ الأسر الأولى

**لا يعرف عنها غير بعض أسمائها مثل :**

**كوروما ـ ديارا ـ مركو ـ كامارا ـ باكايوكو ـ الخ ..**

## ٢ ـ أسرة النروريين

لا يعرف من ملوكها سوى اسم مؤسسها وهو .

مانسانوفن تراورى ـ العاصمة نياجاسولا

## ٣ ـ أسرة الكوناتيين

لايعرف من ملوكها سـوى ثلاثة هم مؤسسيها جمبا كوناتى ، وجورماندانا المحرف الى برمنداة وآخر ملوكها وهو مانسا ألو ـ العاصمة طابو .

## ٤ ـ اسرة كيتا

تولت الحكم حوالى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى .

العواصم المعروفة : جارب ـ نيانى ( مالى ) .

من أوائل ملوكها المعروفين :

١ ـ مامبى كيتا

٢ ـ موسى ديجيو ألا كوى ١٢٠٠ ـ ١٢١٨ م

٣ ـ نارى فامغان بن ألاكوى ١٢١٨ ـ ١٢٣٠ م

( * ) **أبناء نارى فانعان الاثنا عشر :**

٤ ـ كونونيوغو سمباكيتا
٥ ـ كابالى سمبا كيتا
٦ ـ مارى تانياكل كيتا
٧ ـ نوتوى مارى يرسيجوى كيتا
٨ ـ سوسوتورو لاكانديا كيتا
٩ ـ موسوكونو ماغمبا كتيا
١٠ ـ موسو كانداكى كيتا
١١ ـ مانسا ماغمبا كيتا
١٢ ـ فينا دوجو كوماغن كيتا
١٣ ـ جاغابو جارى كيتا
١٤ ـ كالابمبا ديوكونتو كيتا

| | |
|---|---|
| ١٥ ـ سندياتا أو مارى جاطة<br>( المؤسسى الحقيقى للدولة )<br>( خلفاء مارى جاطة ) | ١٢٣٠ ـ ١٢٥٥ م |
| ١٦ ـ ولى ( على ) بن مارى جاطة | ١٢٥٥ ـ ١٢٧٠ م |
| ١٧ ـ ولى ( على ) بن مارى جاطة | ١٢٧٠ ـ ١٢٧٤ م |
| ١٨ ـ خليفة بن مارى جاطة | ١٢٧٤ ـ ١٢٧٥ م |
| ١٩ ـ أبو بكر ابن بنت مارى جاطة | ١٢٧٥ ـ ١٢٨٥ م |
| ٢٠ ـ سيكره ( مغتصب ) | ١٢٨٥ ـ ١٣٠٠ م |
| ٢١ ـ قو بن مارى جاطة | ١٣٠٠ ـ ١٣٠٥ م |
| ٢٢ ـ محمد بن مارى جاطة | ١٣٠٥ ـ ١٣١٠ م |
| ٢٣ ـ أبو بكر بن أخت مارى جاطة | ١٣١٠ ـ ١٣١٢ م |
| ٢٤ ـ منسا موسى بن أبى بكر | ١٣١٢ ـ ١٣٣٧ م |
| ٢٥ ـ مغان الأول بن موسى | ١٣٣٧ ـ ١٣٤١ م |

---

(*) تولى هؤلاء الابناء العرش واحدا بعد آخر وقتلوا جميعا امام سومانجورو امبراطور السوصو باستثناء آخر الأبناء وأصغرهم وهو سندياتا أو مارى جاطة . وذلك خلال سنة واحدة (١٢٣٠ م) .

| | |
|---|---|
| ٢٦ ـ سليمان أخو موسى | ١٣٤١ ـ ١٣٦٠ م |
| ٢٧ ـ قنبتا بن سليمان | ـ ١٣٦٠ م ـ |
| ٢٨ ـ مارى جاطة الثانى حفيد موسى | ١٣٦٠ ـ ١٣٧٤ م |
| ٢٩ ـ موسى الثانى بن مارى جاطة الثانى | ١٣٧٤ ـ ١٣٨٧ م |
| ٣٠ ـ مغان الثانى أخو موسى الثانى | ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨ م |
| ٣١ ـ صندكى ( مغتصب ) | ١٣٨٨ ـ ١٣٩٠ م |
| وهو زوج أم موسى الثانى | ١٣٩٠ م ـ |
| ٣٢ ـ مغان الثالث ( من أسرة كيتا ) | |
| ـ محمد الأول المنسوب الى قو بن مارى جاطه الأول | ـ ١٤٨١ م ـ |
| ـ محمد الثانى | ـ ١٥٣٤ م ـ |
| ـ محمد الثالث | ـ ١٥٩٩ م ـ |
| ـ ماما مغان | ـ ١٦٧٠ م ـ |
| ـ مامبى كيتا (١) | ـ ؟ ـ |

(١) مراجع هذه القائمة :

صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٨ ، ابن خلدون جـ ٥ ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ، السعدى ص ٧ ـ ١١ ،

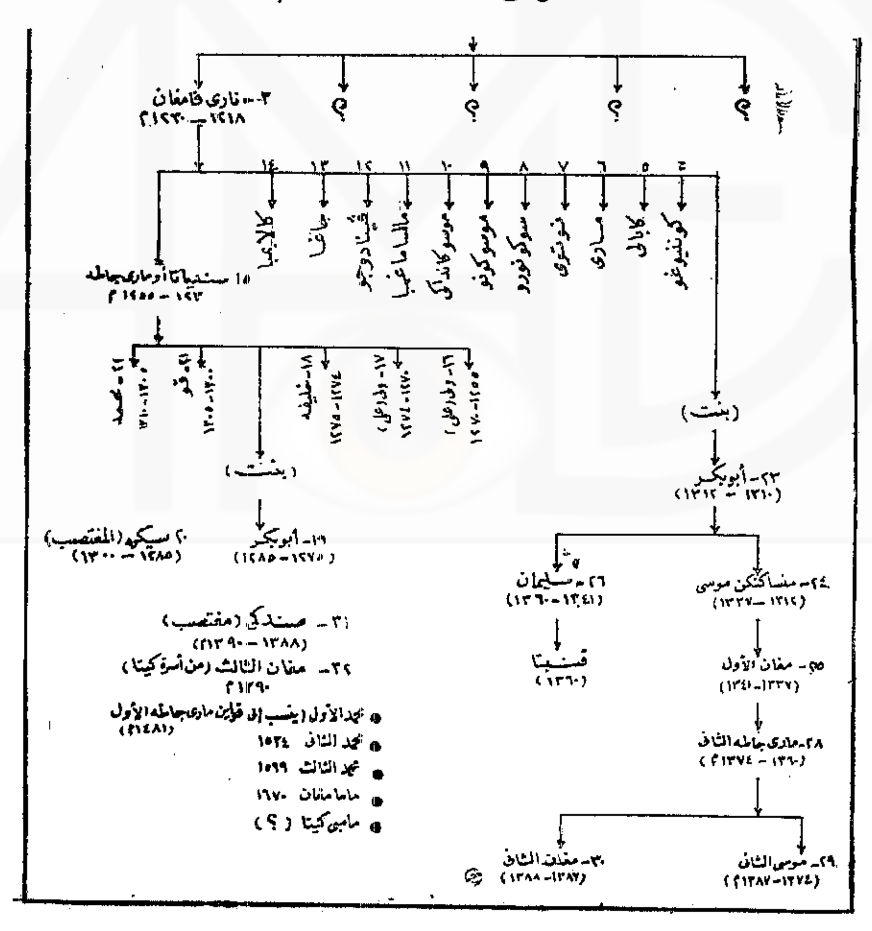
Cooley, p. 69 ; Monteil, pp. 48-154 ; Delafosse, pp. 19-20, 30-31 ; Labouret, pp. 203-204, 240-241

## أسرة كيتا

### ١ ـ مامبى كيتا

### ٢ ـ موسى ديجيو ( ألاكوى )

### حوالى ١٢٠٠ ـ ١٢١٨ م



# الفصل السابع

# الأحوال العامة في دولة مالي

## ( أ )

### نظم الحكم وتقاليده

**نظام وراثة العرش ـ قاسا ( الملكة الأم أو الزوجة الكبرى ) وأهميتها في الحكومة ـ طابع الحكم ـ مستشارو السلطان وكبار موظفيه : القنجا (نائب السلطان) ـ الصندكي (الوزير) ـ الاعتماد على طبقة البولا (وهم العبيد المحررون) ـ نظام التخصص الاداري ـ دوجو (القرية) هي وحدة التنظيم الاداري ـ الكافو (المركز) ـ الديانا (الولاية أو المديرية) ـ الكي حاكم الولاية واختصاصاته ـ مساعدو الكي الغربا والكريف ـ النظام المالي والقضائي ـ الجيش وأسلحته ـ مراسم تنصيب الفارس ـ الفرارية (الأمراء العسكريون) .**

---

القاعدة العـــامة في وراثة العرش في دولة مالي ، هي تولية الولد الأكبر للسلطان الراحل ، لكن ليس من الضروري أن تسير سلسلة هؤلاء الأبناء رأسيا بانتظام ، فقد يتولى الاخوة واحدا بعد آخر ، من أبناء المانسا المتوفى ، مع عدم الاخلال بقاعدة السن ، والدليل على ذلك تسلسل الملوك من أبناء موسى ديجيو ، الاثنى عشر ، وآخرهم ماري جاطه ، وكذلك حدث

فى وراثة العرش بين أبناء مارى جاطه ، فقد خلفه ولداه على التوالى، واسم كل منهما ولى أو أولى أو على .

وقد يتولى أبناء الأخت أو أبناء البنت ، كما حدث فى ولاية أبى بكر عام ١٢٧٥ م ، وهو ابن بنت مارى جاطه ، وذلك ، كما يعلق القلقشندى :

« على قاعدة العجم فى تمليك البنت وابن البنت » (١) .

وتولى أبناء البنت أو أبناء الأخت أمر مألوف عند جميع الممالك الافريقية التى قامت فى غربى افريقية ، كما وجد فى وادى النيل عند النوبة (٢) . سارت هذه القاعدة فى امبراطورية غانة السابقة (٣) ، كما وجدت فى حكومة المدن أو الممالك السودانية الصغيرة ، سواء حكمها سودانيون وطنيون أو بربر تسودنوا .

ففى مدينة تكده التى زارها ابن بطوطة خلال رحلة فى مالى ، شهد سلطانها ، وهو بربرى اسمه « ازار » ، يركب « ومعه أولاد أخته ، وهم الذين يرثون ملكه » (٤) ، وقال ابن بطوطة أيضا عن التقاليد السائدة فى مدينة ايوالاتن ، وكلتا المدينتين من أملاك مالى ، « ولا يرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه ، وذلك شىء ما رأيته فى الدنيا ، الا عند كفار بلاد المليبار من الهنود ، وأما هؤلاء ، فهم مسلمون محافظون » (٥) .

كذلك الشأن فى امبراطورية البرنو الاسلامية ، حيث سادت قاعدة توريث الحكم عن طريق الأمهات ، غير ان انتشار الاسلام فى بلاد البرنو أدى الى سيادة مبدأ الوراثة عن الذكور (٦) . والواقع أن تقليد توريث البنت وأبناء البنت وأبناء الأخت سائد عند البربر ولا سيما الطوارق (٧) . وهو يدل فى فحواه ، على ما تتمتع به المرأة من سمو المكانة فى بلاد السودان عامة .

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٤ .

(٢) خطط ج ٢ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٦ .

(٣) غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٥٦ ومابعدها ، المغرب ص ١٧٥ ، L. Lugard, p. 119 ; Davidson, p. 90

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٤٣ .

(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٧ — ٣٨٨ .

(٦) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ،

(٧) المراجع السابقة . Palmer, The Bornu, p. 6

وفى دولة مالى ، جرت العادة أن تشارك الزوجة زوجها فى الحكم ، وتلقب فى لغة الماندنجو باسم « قاسا » ، ومعناها الملكة أو الزوجة الكبرى ، يقول ابن بطوطه :

« وهى شريكة فى الملك على قاعدة السودان ، ويذكرون اسمها على المنبر » (١) . ولما كانَ من المألوف وجود أكثر من زوجة للملك فقد تتعرض قاسا ، لسبب ما ، الى الابعاد والعقاب ، يصل أحيانا الى السجن وتختار الزوجة الأخرى لتكون الملكة ، أو الزوجة الكبرى ، كما حدث بصدد زوجة منسا سليمان ( ت حوالى ١٣٦٠ م ) ، حين كشف أمر اشتراكها فى مؤامرة ضد السلطان ، وكادت تسجن لولا استجارتها ببيت الخطيب (٢) .

❊ ❊ ❊

وطابع الحكم فى دولة مالى استبدادى ، والملكية مطلقة ، وفيها استغلال الرعايا لصالح الأسرة الحاكمة (٣) ، ويتمتع ملوك مالى باحترام وتعظيم وهيبة بالغة من قبل الرعايا ، تقرب من درجة التقديس والعبودية (٤) .

ويساعد مانسا مالى فى حكومته المركزية بالعاصمة مستشارون وموظفون ، أهمهم : نائب السلطان ، ويقوم مقامه اذا غاب ، كما يساعده فى تصريف الشئون ، ويعرف هذا النائب باسم « قنجا » ( بفتح القاف وسكون النوم ، مثل قنجاموسى ، نائب مانسان سليمان زمن زيارة ابن بطوطه ، كما يعتبر والى العاصمة (٥) .

وهناك الوزير ، ويلقب باسم « صندكى » Sandigui ، ويعد كذلك رئيس العبيد ، وفى هذه الحالة الأخيرة يعرف باسم « ديون صندكى » (٦) Dyon-Sandigui . وللصندكى أهمية كبرى فى حكومة مالى المركزية ، فقد يحدث أن ينفرد بالأمر والنهى ،

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٧ ــ ٤١٩ .
(٢) راجع ماسبق وانظر تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٨ ــ ٤١٩ .
(٣) Monteil, p. 149
(٤) راجع تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٧ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٠٠ .
(٥) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٤
(٦) انظر مايلى ، وكذلك معجم الألفاظ الاصطلاحية ، صبح الاعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ ــ
Monteil, pp. 55, 141-143

ويستبد بجميع الأمور دون المانسا ، اذا كان المانسا ضعيفا أو صغير السن ، وقد حدث زمن السلطان موسى الثانى (ت ١٣٨٧ م) أن استبد وزيره مارى جاطه ، ولكنه ساس الدولة أحسن سياسة (١) ، ويحدث كذلك أن يتزوج الصندكى من بنات أو نساء الأسرة المالكة ، وأن يثب الى العرش نفسه كما حدث بعد وفاة موسى الثانى (٢) .

والواقع ان سلاطين مالى ، قد اعتمدوا كثيرا على طبقة العبيد المحررين ، فاتخذوا منهم قادة جيوشهم وحكام الولايات وجباة الضرائب وكبار موظفيهم ، ولذلك أفراد هذه الطبقة دورا كبيرا فى دولة مالى ، ويشمل هذه الطبقة لفظ جامع هو ( البولا ) أو طبقة العبيد المحررين ، ولم يكن لدى بعض سلاطين مالى بأس من التزوج من نساء هذه الطبقة ، كما فعل نارى فامغان ( ت حوالى ١٢٣٠ ) (٣) ، ولذلك لم يكن من العسير على أبناء طبقة البولا أن يتطلعوا لأعلى مناصب الدولة حتى منصب مانسا نفسه . ويقال انه اشتهر فى دولة مالى اثنتا عشرة أسرة كبيرة من هذه الطبقة ، حاز أفرادها الجاه والثروة ، من هذه الأسر : كاراما (٤) Kamara وكوتيورو Koutiyoro ودانيورو Danyoro وكامايورو Kamayoro وسنيورو Sinéyoro وتاليورو Taliyovo ونويا Noya ودمبوريا Doumbourya وبيبانبان Bibanban الخ (٥) .

ولم يكن اعتماد سلاطين مالى على طبقة العبيد أمرا جديدا فى مالى ، فقد سبقتها غانه فى هذا التقليد ، واشتهرت هذه الطبقة فى غانه باسم طبقة « الكوسا » Koussa ، كما اشتهرت منها أسر ذوات نفوذ كبير وثراء واسع مثل أسرة « تونكرا » Tounkara (٦) .

❋ ❋ ❋

لقد نجحت حكومة مالى فى ادارة شئونها وفى تنظيم دولتها المتسعة الأرجاء وعلق بعض كتاب الغرب على نجاح حكومة مالى ، كنموذج لحكومات

---

(١) ، (٢) راجع الفصل السابق وانظر : العبر جـ ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ، Monteil, pp. 55, 141, 143.

(٣) راجع الفصل الأول .

(٤) لعل لهذه الأسرة صلة بأسرة كامارا التى حكمت مالى فى أول نشأتها وهى من الأسر الأولى (راجع الفصل الأول) .

(٥) Monteil, pp. 22, 26, 56

(٦) غانه فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٥٨ ، Monteil, p. 57

الدول الافريقية القومية فى غربى افريقية ذوات التاريخ القومى المعروف ، بأنه دليل واقعى على قدرة الافريقيين السود على تنظيم شئونهم وادارة حكوماتهم ذوات المسئوليات الضخمة، ولعل من أبرز الدلائل قدرة الأجهزة الادارية المركزية والمحلية على ضبط الأمن وتنظيم الاستثمار . ولقد وضح الأثر الشرقى الاسلامى فى الادارة وتقاليدها ، كما برز فى المظاهر السلطانية من مواكب وحفلات ومظاهر .

عرفت حكومة مالى التخصص فى الادارة ؛ عن العمرى والقلقشندى : « بهذه المملكة ، الوزراء والقضاة والكتاب والدواوين ، والسلطان لا يكتب شيئا فى الغالب ، بل يكل كل أمر الى صاحب وظيفة من هؤلاء (١) » .

تتكون دولة مالى من اقليم مالى الأصلى ، وهو منطقة كانجابا ، نواة الدولة ، ومن الولايات أو الممالك التابعة لها ، وكما ذكر أبو سعيد الدكالى ، تكونت هذه الدولة من أربعة عشر اقليما بما فيها مالى (٢) .

والوحدة الادارية فى تنظيم هذه الدولة المترامية الأطراف ، هى « الدجو » Dugu (٣) أى القرية ، وهذا التنظيم من تقاليد الماندنجو القديمة ، وتؤدى القرية هنا معنى المدينة كذلك ، ومجموعة القرى وضواحيها تعرف باسم « الكافو » Kafo ، فى لغة الماندنجو ، ومعناها الاقليم أو المقاطعة ؛ ومجموعة الكافوات تكون ما يعرف عند مالى باسم « الديامانا » Diamana أى الولاية أو المملكة ، بل ان لقب مانسا Mansa أو ماسا Massa كان يطلق أصلا عند الماندنجو على حكام هذه الولايات (٤) وكذلك نعت بهذا اللقب ، رؤساء القرى المؤسسون لها وهو لقب قديم يرجع الى العهد الوثنى (٥) .

ويطلق على حاكم الولاية ، فى دولة مالى ، أكثر من لقب ، فهناك لقب كى Koi ( بضم الكاف وسكون الياء ) ، ومن معانى هذا اللقب : ملك وطنى خاضع لمانسا مالى ، ومن أجل ذلك يعد أعلى

(١) مسالك الأبصار حـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٦ ، صبح الأعشى حـ٥ ص ٢٩٨ .

(٢) راجع ما سبق فى الفصل الرابع وانظر : مسالك الأبصار حـ٢ ق٣ ورقة ٤٩٤ ، L. Lugard, p. 150

(٣) أنظر معجم الألفاظ الاصطلاحية .

(٤) Monteil, p. 145

(٥) Monteil, pp. 20-22

لقب لحكام الولايات فى مالى ، لأنه كان يطلق أيضا على منسا نفسه ، فيقال « كى مل » (١) .

وللكى نسبة معينة من الضرائب التى يجبيها فى عمالته ، وتقدر عادة بثلث الجباية ، ومهمته الاشراف العام على الادارة وجباية الضرائب (٢) ، ويلاحظ أن الطوارق عندما استولوا على مدينة تنبكت عام ١٤٣٤ م ، بقيادة آركل أكملول (٣) Akil-Ag-Malwal وانتزعوها من مالى ، أبقوا على الكى فيها بشرط خضوعه لهم وقيامه بأداء الجزية المقررة (٤) . وقد وجد فى مالى نحو ٣٦ حاكما بلقب كى ، منهم: « ورن كى » و « زن كى » أى حاكم ورن وحاكم زن ، وكذلك « كوكز كى » أى حاكم كوكز ، وهكذا (٥) .

ويلى الكى موظف آخر من حكام الولايات ، ولقبه « فربا » ( بفتح الفاء وسكون الراء ) ، ومن هؤلاء « فربا مغا » أى فربا محمد ، حاكم احدى القرى على النيجر زمن السلطان موسى وكان محمد حجوا معه وزار مصر (٦) ، وفربا ايوالاتن ، واسمه فربا حسين ، زمن مانسا سليمان ، ولم يعجب ابن بطوطه بسبب غطرسته ، واحتقار البيض (٧)

وأصل هذا الفرباء ، « ديون » أى عبد بسيط بلغة الماندنجو ، وقد يرتقى الى منصب رئيس العبيد «ديون صندكى» (٨) ، وأحيانا يكون صاحب هذا اللقب الأخير من أسرة مانسا نفسها (٩) ، وليس هناك ما يمنع من أن يتولى الفربانى حكم الولايات التى يتولاها الكى ، مثل فربا موسى ، زمن مانسا سليمان وكان حاكما فى تنبكت عندما زارها ابن بطوطه (١٠) .

---

(١) راجع ما سبق وانظر : السعدى ص ٨ ، تحفة النظار جـ٤ ص ٤٠٧ ، Bovill, p. 102

(٢) Hogben, p. 33

(٣) آكل ( بفتح الهمزة الممدوده وكسر الكاف وسكون اللام ) ، أكملول ( بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الميم وسكون اللام وفتح الواو وسكون اللام الأخيرة ( الضبط عن السعدى ص ٢٢ — ٢٤ )

(٤) السعدى ص ٢٢ — ٢٤ ، Bovill, p. 102

(٥) السعدى ص ١٠

(٦) تحفة النظار جـ٤ ص ٤٢٦ .

(٧) راجع ماسبق فى الفصل الخامس وانظر : تحفة النظار جـ٤ ص ٣٨٥ .

(٨) انظر معجم الألفاظ الاصطلاحية .

(٩) Monteil, pp. 23-24, 27

(١٠) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣٠ .

ويساعد الفربا موظف آخر لقبه « المكريف » Macrif ، وهو مسئول أمام الغرب عن حفظ الأمن ، فضلا على أنه يساعد فى جمع الضرائب (١) .

والملاحظ على النظام الادارى فى دولة مالى ، أن أغلب الحكام كانوا من طبقة العبيد المحررين ، وأن لقب كى يتضمن معنى «نائب السلطان» ويشبه هذا ما حدث زمن الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام ، حيث عرف نظام النيابات ، فيقال نائب الشام أو نائب دمشق ، ونائب صفد ، ونائب القدس ، ونائب الاسكندرية ، وهكذا ، أى نائب السلطان فى هذه البلاد .

* * *

ومن ناحية النظم المالية فى دولة مالى ، ليست لدينا معلومات كافية أو احصاءات دقيقة عن الدخل ونظام الجباية ، بالرغم من ازدهارها وتمتعها بثروة طائلة خلال القرن الرابع عشر الميلادى ، ويمكن القول، ان الضرائب ظلت معتمدة أساسا على السلع التجارية ؛ وهناك الجزية التى تجبى من الولايات أو الممالك الخاضعة لسلطان مالى .. والموظفون المسئولون عن جباية الضرائب هم :

الكى والفربا والمكريف (٢) .

أما نظام القضاء فى مالى ، فقد كان دقيقا ، كما كان محل عناية كبرى من السلطان ، ويكاد يكون منقولا عن الشرق الاسلامى ولا سيما مصر ، وجد القضاة السود بجانب القضاة البيض ، واحتل هؤلاء جميعا مركزا ساميا فى المجتمع ، ويقيم القاضى الأعلى فى مالى ، فى العاصمة ، ويعتبر مستشارا للسطان ، كما كان خطيب المسجد الجامع من مستشارى السلطان (٣) .

وقد أشار العمرى والقلقشندى وابن بطوطه الى مجالس السلطان القضائية ومواكبه للنظر فى المظالم ، فهناك قضايا تستأنف للنظر أمام السلطان نفسه ، وهذه ينظرها فى مجالسه .

---

(١) Monteil, p. 142 ; Spitz, p. 63

(٢) انظر ما سبق وراجع : L. Lugard, p. 143 ; Monteil, p. 99

(٣) L. Lugard, p. 145 ; Spitz, p. 63 ; Hogben, p. 33

« يجلس السلطان فى قصره ـ وكان له عدة قصور يدور بها سور واحد (١) ـ على مصطبة كبيرة على دكة كبيرة من أبنوس كالتخت ، على قدر المجلس العظيم المتسع ، عليها أنياب الفيلة فى جميع جوانبها ، وعنده سلاح من ذهب : سيف ومزراق وقوس وتركاش (٢) ونشاب ، وعليه سراويل كثيرة ، مفصل من نحو عشرين نصفية ،لايلبس مثله أحد فيهم ، بل هو من خصوصيته . ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكا من الترك ممن تبتاع له من مصر ، بيد واحد منهم جتر ـ أى مظلة ـ من حرير ، عليه قبة وطائر من ذهب صفة بازى ، يحمل على يساره ، وأمراؤه جلوس حوله يمينا وشمالا ، ودونهم أعيان من فرسان عسكره جلوس ، وبين يديه شخص يغنى له ، وهو سيافه ، وآخر سفير بينه وبين الناس يسمى الشاعر ، وتنتهى اليه الشكاوى والمظالم ، فيفصل فيها بنفسه ، ولا يكتب شيئا فى الغالب ، بل يأمر بالقول بلسانه » (٣) .

وذكر ابن بطوطة أن ملوك مالى عادلون « ولا يسامح سلطانهم أحدا فى شىء » (٤) ، وروى بعض القصص الدالة على كراهة سلطان مالى للظلم وعلى عنايته بالعدل والانصاف (٤) ، وأشار كذلك الى أن الأمن منتشر فى بلاد مالى ، حتى فى الأماكن النائية ، فلا يخاف المسافر منها ولا المقيم سارقا ولا غاصبا ، كما ان أموال الأجانب البيض المستقرين فى مالى ، فى مأمن من الاغتصاب أو النهب ، وعبارته :

« ولا يتعرضون لمال من يموت ببلادهم من البيضان ، ولو كان من القناطير المقنطرة ، فيتركونه بيد ثقة من البيض حتى يأتى مستحقه (٦) » .

وأما الجيش ، فهو القوة العاملة الثابتة ، فلقد عرفت مالى نظام الجيش العامل ، ونظمته ودربته أحسن تنظيم وتدريب .

ويتكون من الفرسان والرجالة ، وفريق الفرسان ، هو عماد القوة الفعالة فى مالى ، وهو مقسم الى فرق ، على كل فرقة ضابط ، والأسلحة

(١) مسالك الأبصار جـ٢ ق٣ ورقة ٤٩٥ ، صبح الأعشى جـ٥ ص ٢٨٣ .
(٢) التركاش هو جعبة السهام وهى كلمة فارسية .
(٣) مسالك الأبصار جـ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٨ .
(٤) تحفة النظار جـ٤ ص ٤١٤ ـ ٤١٦ .
(٥) انظر تحفة النظار جـ٤ ص ٤١٤ ـ ٤١٦ .
(٦) تحفة النظار جـ٤ ص ٤٢١ .

الجيش : السيوف والحراب الطويلة والقصيرة (١) والقسى والنشاب والدبابيس ، والأخيرة ، كما يقول الادريسى ، مصنوعة من شجر الأبنوس « ولهم فيها حكمة وصناعة متقنة » (٢) . وهناك « الدرق اللمطية » وتصنع من جلد حيوان عندهم يقال له « اللمط » . يقول أبو حامد الغرناطى :

« وعندهم حيوان يقال له اللمط ، مثل الثور الكبير ، له قرنان كالرماح تطول بطول بدنه ، ممدودة على ظهره ، اذا طعن بها الحيوان أهلكه فى الحال . ويتخذ من جلده تراس يقال لها الدرق اللمطية ، مضافة الى هذا الحيوان ، يكون ثلاثة أذرع ، وهى خفيفة لينة ، لا ينفدها النشاب ولا يؤثر فيها السيف ، تكون بيضاء كالقراطيس ، وهى من أحسن التراس مبسوطة كالرغيف تستر الفارس وفرسه (٣) .

وللفارس مزاسيم خاصة لتنصيبه فى دولة مالى ، تشبه ما قام فى أوربا الاقطاعية ، ففى مالى يقوم حاكم المدينة ، وهو نائب السلطان ، ويمسك بيد القائد الجديد ويجلسه على درع ، ثم يحمل هذا الدرع على رءوس الجنود ، وقد حدث فى فرنسا زمن الميروفنجيين والكارولنجيين ، أن كان ملوك الفرنجة يرفعون على الدروع خلال حفلات تتويجهم ، كذلك استخدم هذا التقليد عند قادة الحملة الصليبية الرابعة التى استولت على القسطنطينية عام ١٢٠٤ م ، اذ تم انتخاب بالدوين التاسع أمير فلاندرز الاقطاعى ، امبراطورا لأثينا على القسنطينية ، وفى حفل التتويج ، رفع على الدرع أو الترس على يد منافسه بونيفاس أمير مونتفرات (٤) .

ويعد مانسا مالى القائد الأعلى للجيش ، وكثيرا ما كان ينيب عنه قائدا آخر ، وفى مالى جيشان : جيش الشمال وجيش الجنوب (٥) . ويلقب قائد جيش الشمال باسم « فاران سورا » . Faran Soura أى قائد المسلمين ، ومركزه فى مدينة ديارا Diara فى اقليم كانياجا . أما قائد جيش الجنوب ، فيقيم فى اقليم سانجاران Sangaran ويلقب « ديون صندكى » (٦) .

---

(١) Hogb,en, p. 33

(٢) نزهة المشتاق ص ٤ ـ ٥

(٣) تحفة الألباب ص ٤٤ ، انظر كذلك البكرى ص ١٧١ ، تقويم البلدان ص ٧٢ ـ ٧٣

(٤) Rupnciman, III, p. 124 ; L. Lgugard, p. 145

(٥) L. Lugard, pp. 145-146

(٦) راجع ما سبق فى تفسير هذا اللقب وانظر : Monteil, p. 149

واشتهرت القوة الحربية فى مالى ، بالمقدرة والكفاءة ، وبرز فيها قادة عظماء أمثـال سقمنجة (١) Sagaman زمن مانسـاموسى (٢) .

ويعرف كبار ضباط الجيش أو الأمراء فى مالى باسم « الفرارية » ، مفردها فرارى ، ويقوم كل منهم على طائفة من الجنود المشاة والفرسان، وجرت العادة أن يحضر هؤلاء الفرارية بجنودهم فى المواكب السلطانية (٣) ، تشبه الأطلاب عند الأيوبيين والمماليك .

ويقال ان عدة جيش مالى بلغت نحو مائة ألف جندى ، منهم عشرة آلاف فارس والباقى رجاله ، وقد عنى ملوك مالى بالقوة الحربية أشـد العناية ، عن أبى سعيد الدكالى ، أن أكابر منسا مالى ، من يبلغ جملة ماله على الملك فى كل سنة خمسين ألف مثقال من الذهب ، وأن الملك كان دائما معنيا بهم ، حريصا على اجزال العطاء لهم ، وأن « همته كلها فى تجميل زيهم وتمصير مدنهم (٤) » .

وعن الدكالى كذلك :

أن الأبطال من فرسـانهم « تلبس أسـاور من ذهب ، فمن زادت فروسيته ، لبس معها أطواقا (٥) من ذهب ، فان زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب ، وكلمات زادت فروسية البطل ألبسـه الملك سراويل متسعة ، ويزاد فى كبر سراويله بزيادة فروسيته ، وسراويلهم ضيقة أكمام الساقين ، متسعة الشرج (٦) » .

وفى عادة ركوبهم الخيل ، يبدءون الركوب بأرجلهم اليمنى بخلاف غيرهم من سائر الناس (٧) .

---

(١) التسمية العربية عن ابن خلدون وهى الأصل .

(٢) L. Lugard, p. 145 ; Monteil, pp. 55, 141

(٣) تحفة النظار جـ٤ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٥ .

(٤) صبح الأعشى جـ٥ ص ٢٩٩ .

(٥) لهؤلاء نظراء فى الدولة الفاطمية ، وهم الأمراء المطوقون .

(٦) مسالك الأبصار جـ٢ ق٣ ورقة ٤٩٩ ، صبح الأعشى جـ٥ ص ٢٩٩ .

(٧) المصادر السابقة .

( ب )

## الحياة الاقتصادية

**العمران فى دولة مالى ـ ثرواتها الطبيعية ـ الزراعة ـ الحيوانات والطيور ـ التجارة والتحكم فى طرق القوافل ـ سلع التبادل الافريقية والأجنبية ـ مناجم النحاس فى تكده وضخامة القوافل المارة بها ـ الذهب فى ونقاره ـ مناجم الملح فى تغازه ووصف ابن بطوطه لها ـ التعامل بالملح ـ شهرة مدينة جنى التجارية ـ الودع ـ شركة القرى التجارية .**

---

يمكن القــول ان الأرباح والأموال الطائلة التى صــارت الى مالى ، جاءت عن طريق تحكمها فى طرق القوافل الرئيســية ، نتيجــة ترامى أطرافها ، فضــلا على وجود معادن الذهب والنحــاس والملح داخــل حدودها (١) ، وساعد على حسن الاستثمار واستمراره ونموه استتباب الأمن ، وهو أهم عامل لانتظام حركة القوافل بين مالى من جهــة وبين المغرب وبرقة ومصر من جهة أخرى (٢) .

ثــم أن أرض مالى ، فى أغلب أجزائهــا ، خصبة زراعية كثيفــة السكان ، يقول القلقشندى :

« وهى مملكة مربعة وجميعها مسكونة الاماقل (٣) » .

---

(١) Davidson, p. 91

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٣ ، Fage, p. 26

(٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٢ .

وعن صاحب الفتاش :

« ان مل مشتمل على نحو ٤٠٠ مدن وأرضها كثيرة الخير (١) ».

تنتج بلاد مالى القطن والقمح والذرة ، وهو أكثر حبوبهم ، ويباع التسعون مدا (٢) من الذرة فى تكدا بمثقال من الذهب (٣) .

ومن الذرة يتخذون أغلب طعامهم وعليق خيولهم ؛ ونظرا لقلة القمح ، فانه مرتفع الثمن ، اذ يبلغ ثمن العشرين مدا منه مثقالا من الذهب (٤) .

أما الشعير فلا وجود له ، وهم يزرعون الأرز كذلك ؛ وعندهم حبوب صغيرة تشبه الخردل « فى المقدار أو أصغر منه » ، ولونها أبيض ، وتسمى « الفونى » ، تطحن ويعمل منها خبز ، كما تصنع منه العصيدة (٥) .

ومن الفواكه : الجميز وأنواع أخرى غريبة ، ومن الخضراوات : اللوبيا والقرع والباذنجان واللفت ونوع يشبه القلقاس يسمى « القافى » وهو ، كما يقول ابن بطوطة ، مفضل عندهم على سائر الطعام ، علما بأن ابن بطوطة مرض بسبب أكلة منه ؛ وينبت فى أرض كوكو ( جاو ) عود يقال له « عود الحية » ، يقول الادريسى : « ومن خاصيته أنه اذا وضع على جحر الحية خرجت مسرعة ، والصحيح عند أهل المغرب الأقصى وأهل ورقلان ، أن ذلك العود اذا أمسكه ماسك بيده أو علقه فى عنقه ، لم تقربه الحية (٦) » .

---

(١) الفتاش ص ٣٨ .

(٢) المد أقل من الربع المصرى ، وهو عبارة عن ملء كفى الانسان المعتدل بالحبوب اذا مدهما ، ومن هنا جاءت التسمية . وقد جرب الفيروز أبادى صاحب القاموس المحيط هذه العملية فوجدها صحيحة . والمد يساوى رطلين بالمصرى ورطلا وثلث رطل بالبغدادى ( القاموس المحيط — قوانين الدواوين ص ٢٤١ ) .

(٣) تحفة النظار ج٤ ص ٤٣٨ .

(٤) تحفة النظار ج٤ ص ٤٣٨ .

(٥) مسالك الابصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٦ — ٤٩٧ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ، تحفة النظار ج٤ ص ٣٩٣ .

(٦) نزهة المشتاق ص ١١ — ١٢ .

ومن حيوانات مالى : الخيل ، لكنها من نوع الاكاديش (١) التترية، وهناك الخيول العربية التى يستوردها ملوك مالى ويدفعون فيها الأثمان الغالية . عن ابن بطوطة : « بلغ ثمن الفرس من بلاد البربر ، فى مالى نحو مائة مثقال » (٢) ، وعندهم البغال والحمير والبقر والغنم والماعز ؛ ولكنها تتميز جميعا بصغر الحجم ، وتلد الواحدة من الماعز نحو سبعة أو ثمانية . كذلك عندهم الجمال ، وقد دخل افريقية منذ نحو القرن السادس قبل الميلاد (٣) .

ومن الطيور : الأوز والدجاج والحمام ، أما الوحوش ، فهناك الفيلة والآساد والنمور ، ويقال انها لا تؤذى الا من يعرض لها ، وعندهم وحش يقال له « ترمى » ( بضم التاء والراء وكسر الميم المشددة ) ، فى قدر الذئب ، يعتدى فى الليل على كل ما يقابله ولا سيما من الأطفال والصبية ، لكنه لا يتعرض لأحد أثناء النهار ؛ كذلك توجد التماسيح فى الأنهار الكبيرة التى تملأ بلادهم ، وقد يبلغ طول الواحد منها نحو عشرة أذرع ، ومرارة هذه التماسيح سامة ، وهذه تجمع وتحمل الى خزانة الملك (٤) . يوجد فى مالى كذلك حيوان يعرف باسم «اللمط» تؤخذ من جلده تراس تنسب اليه (٥) .

ومن المحقق أن كثيرا من الحبوب والخضراوات والحيوانات المستأنسة قد جاء الى السودان الغربى والأوسط عامة من مصر ، مثل الثور والغنم والماعز والحمار النوبى المستأنس والدجاج المستأنس . ومن الخضراوات والحبوب القرع والقلقاس والفول والبسلا والذرة والذرة العويجة أو الدخن ، هذا فضلا على العناصر الحضارية (٦) .

على أن أهم موارد دولة مالى ، التجارة ، والاتصال بين الزنوج فى غربى افريقية وبين العالم الخارجي قديم جدا ، ويؤرخ هذا الاتصال

---

(١) الاكديش والجمع أكاديش لفظ فارسى معناه الانسان أو الحيوان الذى يكون أبوه من جنس وأمه من جنس آخر ، ويطلق على الفرس غير الأصيل ( السلوك ج ١ ص ٧٠٣ حاشية ١ ) .

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٥ ، L. Lugard, p. 150

(٣) راجع المدخل وانظر :
Wiedner, pp. 27-28 ; Okafor, p. 26 ; Johnston, pp. 47-48

(٤) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، نزهة المشتاق ص ٣ ـ ٤ .

(٥) راجع ما سبق وانظر : تحفة الألباب ص ٤٤ ، البكرى ص ١٧١ .

(٦) انظر العلاقات الخارجية فيما يلى وراجع : Johnston, pp. 19-20

لمطلع فترة طويلة متصلة للتبادل التجارى ، ومعه التأثير الثقافى ، ولقد تاجرت قرطاجة وروما من قبل مع الزنوج للحصول على العاج والذهب والعبيد والصمغ والعسل والقمح والقطن ، فى نظير الزجاج والملح وأحيانا النبيذ ، وساعد دخول الجمل افريقية على انعاش التجارة وازدياد هجرة البربر من بلاد المغرب ، وكذلك انتقال جماعات من يهود قرطاجنة وبرقة بصفة خاصة ، منذ القرن الثانى الميلادى واستقرارها على طول نهر النيجر والسنغال واشتغالها بالتجارة (١) ٠

نمت العلاقات التجارية عبر العصور ويكفى دليلا على أهمية التجارة ان الضرائب التى كانت تحصل فى سجلماسة ، أهم مداخل القوافل ، بلغت أوائل القرن العاشر الميلادى نحو ٤٠٠ الف دينار، وأن عبد الرحمن الأموى خليفة قرطبة ، بعث بأسطول الى سوتا عام ٣١٩ هـ ـ ٩٣١ م لحماية الطرق التجارية المؤدية الى السودان الغربى ٠ حتى اذا تحكمت مالى فى طرق القوافل الصحراوية ، عملت على ازدياد حركة التبادل وحمايتها ، فاستوردت السلع والمصنوعات المختلفة من بلاد البحر المتوسط ، مثل السيوف الدمشقية والحرير والخيول من الشرق ، بكميات كبيرة (٢) ؛ كذلك جلبت أنواع الثياب من مصر ، يقول ابن بطوطة عن أهل تكده ، احدى ولايات مالى : « شغلهم التجارة ، يسافرون كل عام الى مصر ويجلبون كل ما بها من حسان الثياب (٣) » ٠

وكانت تجارة الرق موردا هاما من موارد الممالك السودانية عامة، فقد جلبت الرقيق من البلاد الوثنية فى الجنوب (٤) ، ويشبه موقف المسلمين السود من هؤلاء الرقيق ، موقف الاسبان من الوطنيين فى العالم الجديد بعد الكشف الجغرافى ، لكن يبدو أن معاملة العبيد فى ممالك السودان الغربى والأوسط ، كانت أحسن من معاملة الأوربيين لهم فى البلاد المكتشفة. فمن هؤلاء العبيد من اشتغل فى جيش مالى، ومنهم من عمل فى المزارع ، ومنهم من اشتغل فى المنازل ، وهنا طبقة من العبيد المحررين ، صارت من كبار المسئولين فى دولة مالى (٥) ، ولم يكن العبد يعذب أو يعدم فى مالى ٠ ذكر ابن بطوطة عن سكان مدينة تكده ، أن لهم

---

(١) Johnston, pp. 46-48 ; Bovill, p. 111 ; Wieder, pp. 27-28 ; L. Lugard, p. 99 ; Pedler, p. 60.

(٢) أرشيبالد ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ ، Davidson, p. 95 ; Hogben, p. 33

(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣٩ ، انظر كذلك L. Lugard, p. 147

(٤) نزهة المشتاق ص ٤ ٠

(٥) راجع ما سبق ٠

« رفاهة وسعة ، ويتفاخرون بكثرة العبيد والخادمات ، وكذلك أهل مالى ـ يقصد مدينة مالى العاصمة ـ وايوالاتن » (١) ، هذا وقامت اليد العاملة فى مالى على استخدام الرقيق (٢) .

وتوجد مناجم النحاس الأحمر فى حقول تكده ، يقول ابن بطوطة : « النحاس خارج تكده ، يحفرون عليه ويسبكونه فى المدينة فى دورهم ، يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ، يسبكونه نحاسا أحمر ، ويصنعون منه قضبانا فى طول شبر ونصف ، بعضها غلاظ وبعضها رقاق ، وسعر الغلاظ : ٤٠٠ قضيب بمثقال ذهب والرقاق : من ٦٠٠ الى ٧٠٠ قضيب بمثقال ذهب ، وهى حرفهم ، يشترون برقاقها اللحم والحطب ، وبغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ، ويحملون النحاس الى مدينة كوبر من بلاد الكفار ، والى زغارى والى بلاد برنو ، وهى على مسيرة أربعين يوما من تكدا ، ومن هذه البلاد ـ أى بلاد برنو ـ يؤتى بالجوارى الحسان والفتيان وبالثياب المجسده ـ أى المصبوغة بالجسد وهو الزعفران (٣) .

وذكر العمرى ، أن :

« عند السلطان موسى مدينة أكرا ـ وهى تكده ـ ، بها معدن النحاس الأحمر ، تجلب منه القضبان الى مدينة بينى ـ أى ينانى أو مالى عاصمة مالى ـ وليس فى مملكة موسى شىء يمكس سوى هذا النحاس المعدنى الذى يجلب ، ونحن نبيعه ـ كما يقول السلطان موسى ـ الى بلاد السودان الكفار ، وزن مثقال بثلثى وزنه ذهب ، فنبيع كل مائة بستة وستين مثقالا من الذهب وثلثى مثقال » (٤) .

والواقع ان مدينة تكده من أهم مدن مالى ، فهى مركز رئيسى لتجارة القوافل ، وتقع بين جاو وأير air (٥) ، على طريق الحج عبر الصحراء وهى ، كما يقول ابن خلدون ، على بعد نحو ٧٠ يوما من ورقلان وكانت ذات علاقة تجارية نشطة مع ورقلان ومع مصر . ويقال ان قافلة قامت من مدينة مالى العاصمة وتوجهت نحو مصر عن طريق تكده ، بلغ تعدادها ١٢ ألف جمل ، وبالرغم مما قد يكون فى تقدير هذا العدد من بعض

---

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣٩ .

(٢) L. Lugard, p. 150 ; Bovill, p. 98 ; Pedler, p. 60 ; Pruen, pp. 45-46 ; Dike, Trade & Politics, pp. 81-96; Wiedner, pp. 38-39 ; 45-47 ; Reeve, p. 25 ; An Atlas of African History, pp. 36-37.

(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣٩ ـ ٤٤١ .

(٤) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ .

(٥) انظر خريطة طرق القوافل .

المبالغة ، الا أنه يلقى ضوءا على ضخامة التجارة المتبادلة بين مصر وبلاد مالى ؛ وقد استوردت مصر النحاس من مالى ، كما استورده المغرب وبلاد الهوسا (١) ، وعبر السلطان موسى بأن هذه المناهج هى أهم منابع ثروته، وكشف العالم الأثرى الفرنسى مونى R. Mauny بقايا هذه المناجم حديثا فى مدينة أزليك بالقرب من موضع تكده ، عام ١٩٥٩ م (٢) .

ويوجد الذهب فى المناطق الجنوبية فى مالى ، وهى مناطق ونقارة «أرض الذهب» ، واستغل ملوك مالى هذه المناجم ، مما أفاض على دولتهم شهرة عظيمة وصلت الى بلاد أوربا (٣) .

وهناك مناجم الملح فى تغازة ، التى خضعت لسلطان مالى ، وتقع فى أقصى الحدود الشمالية للدولة ، وقد ربحت مالى فى الملح أرباحا طائلة ، ومناجم تغازه هى المناجم الوحيدة المعروفة فى الصحراء يومئذ ، اذ أن مناجم الملح الأخرى فى تودينى وسبكا لم تكن قد كشفت بعد (٤) ، كما انه لم يكن من السهل نقل الملح المستخرج من جزيرة أوليل Aulil عند مصب السنغال الى مسافات بعيدة ، ولا يفيد منه الا السكان القريبون من الشاطىء ، حقيقة ، سوقت غانة ملح أو ليل فى أرجاء بلاد السودان، الا أن عملية النقل كانت مرهقة (٤) .

وصف ابن بطوطة مدى ما فى مناجم تغازه من كميات الملح فقال، انها ــ أى تغازة ــ « قرية لا خير فيها ، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر فيها انما هى رمل فيه معدن الملح ، يحفر عليه فى الأرض ، فيوجد منه ألواح ضخام متراكبة ، كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض ، يحمل الجمل منها لوحين ، ولا يسكنها الا عبيد مسوفة ــ احدى قبائل البربر ــ ويتعيشون بما تجلب اليهم من تمر درعه وسجلماسة ، ومن لحوم الجمال . ويصل السودان من بلادهم الى تغازه . فيحملون منها الملح، ويباع الحمل منه فى ايوالاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية مثاقيل ، وبمدينة

---

(١) دول الهوس الاسلامية للمؤلف .
L. Lugard, p. 117 ; Bovill, p. 94

(٢) راجع ما سبق وانظر : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٩ ،
Okafor, p. 28 Bovill, p. 128

(٣) Hogben, p. 149 ; Bovill, p. 140

(٤) Bovill, p. 84 ; Fage, p. 0

مالى بثلاثين مثقالا الى عشرين ، وربما انتهى الحمل الى أربعين مثقالا (١) » ، على أن حمل الملح بلغ فى بعض بلاد السودان الأخرى فى غربى أفريقية ، مابين ٢٠٠ الى ٣٠٠ مثقال أو دينار (٢) .

والمسافر الى بلاد مالى ، كما يقول ابن بطوطة ، « لا يحمل زادا ولا اداما ولا دينارا ولا درهما ، انما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج وبعض السلع العطرية ، أكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكا ، فاذا وصل قرية ، جاء نساء السودان باللبن والدجاج ودقيق النبق والأرز والفونى ودقيق اللوبيا ، فيشترى منهن ما أحب من ذلك (٣) » .

أى أن الملح كان عملة يتصارف بها أهل السودان ، يقول ابن بطوطه ، انهم يتصارفون بالملح « كما يتصارف بالذهب والفضة ، يقطعونه قطعا ويتبايعون به . وقرية تغازه ، على حقارتها ، يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر (٤) » .

استثمرت مالى مناجم تغازه، وسوقت الملح فى جميع بلادالسودان وكان التعامل مع البلاد الجنوبية الوثنية من أهم موارد الثروة ، ويقوم التبادل التجارى فى تلك المناطق عن طريق ما عرف باسم « التجارة الصامتة » Silent Trade ، وفحواها :

يأتى التجار بالملح (٥) ويصنعونه فى مكان متفق عليه بين تجار الشمال ومستهلكى الجنوب ، وأكثر ما كان يحدث هذا عند أعالى السنغال ، ثم يختفون ، وحينئذ يخرج الزنوج الوثنيون العراة ويضعون بجوار كل كومة من الملح أو السلع الأخرى ما يرونه نظيرا من الذهب ، ثم يختفون ، فيظهر التجار ، فاذا اقتنعوا بقيمة سلعهم من الذهب ، حملوه وانصرفوا بعد أن يضربوا بطبولهم ايذانا بانتهاء السوق ، واذا لم يقتنعوا بالذهب الموضوع ، تركوه واختفوا مرة أخرى ، فيخرج الزنوج ويزيدون من كميات الذهب ، وتتكرر عملية الاختفاء والظهور من الجانبين حتى يتم الرضا والاقتناع .

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٧٧ ــ ٣٧٨ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٨ ، الغرناطى : تحفة الألباب ص ٤١ .

(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٩٣ ــ ٣٩٤ ، راجع ما سبق .

(٤) تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٧٧ ــ ٣٧٨ ، انظر كذلك :
Bovill, pp. 141-142 ; Fage, p. 49

(٥) لم يكن الملح هو السلعة الوحيدة التى تسوق فى تلك المناطق عن طريق التجارة الصامتة بل كانت هذه الطريقة هى المألوفة فى التعامل فى شتى السلع .

وقد حاول التجار مرة أن يعرفوا شيئا عن منابع الذهب ، فقبضوا على أحد الزنوج وعذبوه حتى مات ولكن دون أن يصرح بشيء ، ومن أجل هذا الحادث ظل الزنوج الوطنيون يمتنعون عن الظهور والتعامل مع أولئك التجار نحو ثلاث سنوات حتى اضطروا لاستئناف التعامل بسبب شدة حاجتهم الى الملح بصفة خاصة .

ويبدو أن هذه الوسيلة كانت هى السائدة المألوفة فى تلك المناطق من غربى افريقية ، كما لم تكن مالى الدولة الوحيدة التى مارستها ، فقد سبقتها غانه وغيرها ؛ وأورد المسعودى وصفا دقيقا للتجارة الصامته بصدد حديثه عن مملكة غانه (١) . ومن قبل ذكر هيردوت أن حوالى ( ت ٤٥٠ ق . م . ) التجارة الصامتة التى مارسها القرطاجانيون قديما للحصول على الذهب ، وفى المنطقة نفسها من غربى افريقية ، كما أن التجار العرب والبربر ، قد شرحوا للرحالة كاداموستو البرتغالى فى القرن الخامس عشر الميلادى أن هذه التجارة لا زالت سائدة ؛ ووصف التجارة الصامتة رحالة آخرون .

كذلك لم تكن التجارة الصامتة من خصائص غربى افريقية وحده ، وانما عرفت فى آسيا فى تجارة الحرير فى القرن الأول الميلادى ، وشهدها الرحالة الصينى فى القرن الخامس الميلادى فى جزيرة سيلان ؛ ويقال ان هذه التجارة كانت أمرا مألوفا فى تجارة الذهب فى الحبشة خلال القرن السادس الميلادى ، وفى العصور الحديثة لا زالت صور من هذه التجارة تمارس بين أقزام الكونغو ، وربما الى اليوم (٢) .

ومن المدن التى اشتهرت بالتجارة ، ولا سيما فى تبادل الملح بالذهب ، مدينة جنى ، وصفها السعدى بقوله ، انها :

« مدينة ميمونه مباركة ذات سعة وبركة ، وطبيعة أهلها التراحم

---

(١) المسعودى : أخبار الزمان ( مخطوط ) ورقة ٣٨ ب ،١٣٩أ ، غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٤ ـ ٦٦ .

(٢) من مراجع التجارة الصامتة للمزيد من التفاصيل : غانة فى العصور الوسطى للمؤلف ص ٦٤ ـ ٦٦ ، المسعودى : أخبار الزمان ( مخطوط ) ورقة ٣٨ب ـ ١٣٩أ ، Gautier, pp. 48-58 ; De La Roncière, I, pp. 94-99; Bovill, pp. 82-83 ; Johnston, pp. 296-300 ; Kup, p. 28 ; Wiedner, pp. 29-30 ; Ward, p. 30 ; Reindore, p. 2 ; Gsell, I, pp. 468-469 ; Fage, pp. 20-21 ; Hobbey, Early Explorers, p. 7 ; Opening Africa, p. 4 ; Ivir Wilks (Univ. Coll. of Ghana), A Medieval Trade Route from the Niger to the Gulf of Guinea (Conf. of Land, on Afr. Hist. & Arch., 1961).

والتعاطف والمواساة ، ولكن المنافسة على الدنيا ، كانت من أخلاقهم جدا بحيث اذا زادت لأحد جاه بينهم ، أجمعوا على بغصه ، وهى سوق عظيمة من أسواق المسلمين ، وفيها يلتقى أرباب الملح من معدن تغازه وأرباب الذهب من معدن بيط (١) ، وكلا المعدنين المباركين ، ما كانت مثلهما فى الدنيا كلها ، فوجد الناس بركتها فى التجارة اليها كثيرا ، وجمعوا فيها من الأموال ما لا يحصيه الا الله سبحانه وتعالى ، ومن أجل هذه المدينة المباركة ، تأتى الرفاق من جميع الآفاق » (٢) . ويذكر السعدى بصدد اسلام جنكى وحرصه على تنشيط الحركة التجارية بها وتحسين أحوالها الاقتصادية وتعميرها ، أنه بعد اسلامه على أيدى العلماء ، طلب منهم أن يدعوا الله تعالى ، بثلاث دعوات :

« كل من هرب اليها من وطنه ضيقا عسرا ، أن يبدلها الله له سعة ويسرا حتى ينسى وطنه ، وأن يعمرها الله بغير أهلها ، أكثر من أهلها ، وأن يسلب الصبر من وارديها من التجار حتى يملوا ، فيبيعون ما معهم بناقص الثمن ، فيربحوا فيها » فقرءوا الفاتحة على هذه الدعوات ، تقول الرواية ، « فكانت مقبولة » (٣) .

وجد التعامل بالودع فى دولة مالى ، وعن العمرى وابن بطوطة والقلقشندى أن « أكثر ما تجلب التجار اليها الودع ، فتربح فيه الربح الكثير » (٤) ، وكان المثقال من الذهب ، وقدره ثمن أوقية ذهب ، يساوى ثلاثة آلاف ودعة فى تنبكت (٥) ، وعموما التجارة فى أكثر بلاد مالى ، والسودان الأوسط والغربى عامة « بالمقارضة » كما يقول الادريسى (٦) ، أى بالمقايضة .

---

(١) راجع الفصل الثانى وانظر Bovill, p. 12.

(٢) تاريخ السودان ص ١١ ــ ١٢ ، انظر كذلك : البكرى ص ١٧٣ ، ١٨٣ ، نزهة المشتاق ص ٣ .

(٣) السعدى ص ١٣ .

(٤) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٤ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣٥ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٢ .

(٥) ظل التعامل بالودع فى تنبكت حتى مطلع القرن العشرين ، ولكن قيمته قلت ، اذ بلغ ما يشترى بمثقال الذهب فى ١٩١٢ : ١٢ ألف ودعة ( راجع Bovill p. 147.

(٦) نزهة المشتاق ص ١٠ .

وممن اشتهر من التجار المسلمين فى دولة مالى ، أسرة المقرى ، أسلاف أحمد بن محمد المقرى المغربى التلمسانى ( ت ١٠٤١ هـ = ١٦٣٣ م ) ، صاحب كتاب نفح الطيب . وجد هذه الأسرة هو عبد الرحمن المقرى ، يحتمل أنه كان يعيش خلال القرن الثانى عشر الميلادى ، أى أوائل حكم أسرة كيتا ، وعمل فى التجارة هو وبنوه من بعده ، وجمعت هذه الأسرة أرباحا طائلة من هذا العمل ، لأنها عملت فى التجارة بين بلاد السودان وبين بلاد البحر المتوسط وأوربا .

كان لهذا الجد البعيد خمسة أولاد ، نظموا شئون عملهم التجارى أحسن تنظيم ، فيما يشبه الشركة أو البيت التجارى . اتفقوا على تقسيم العمل بينهم ، ويقضى هذا التقسيم بأن يقيم اثنان منهم فى مدينة تلمسان ، وكانت ميناء تجاريا مزدهرا ، ويقيم الاثنان الآخران فى مدينة ايوالاتن ، أما الخامس فاتفق على أن يكون مقره فى مدينة سلملجاسة وهو كبيرهم ، وسجلماسة أهم نقطة فى نهاية طرق القوافل من ناحية الشمال .

فأما مهمة المقيمين فى تلمسان ، فهى استقبال السلع الأوروبية المطلوبة فى بلاد السودان وتصديرها الى المقيمين فى ايوالاتن لتسويقها فى بلاد السودان ؛ ومن ناحية أخرى يصدران السلع السودانية من العاج والذهب والكولا ، ومداومة ارتياد أسواق الجنوب الهامة . وأما مهمة الخامس كبيرهم ، وهو المقيم فى سجلماسة ، فتتخلص فى دراسة الأسواق العالمية والأسعار السائدة ، ومعرفة السلع المطلوبة أو الزائدة عن الحاجة وجمع كل ما يتعلق من معلومات عن حركة التجارة وحاجة الأسواق ، فضلا على الأحداث السياسية التى تؤثر على التجارة ، وامداد اخوته بهذه المعلومات .

بهذه الطريقة نجحت تجارتهم ونمت ثروتهم ، وأضحت لهم امكانة هامة ومن الأحداث التى شهدها أولئك الاخوة ، فى ايوالاتن ، هجرة العلماء والتجار المسلمين من المغاربة من قبيلة جدالة ، من مدينة كومبى صالح عاصمة غانه ، على أثر استيلاء الصوصو عليها عام ١٢٠٣ م ، ثم ما تبع ذلك من انتصارات سندياته أو مارى جاطه المتلاحقة ضد الصوصو ؛ وقد تجمعت أسرة المقرى فى مدينة ايوالاتن مع اتباعها من التجار والعبيد ، وقررت توزيع السلاح فيما بينهم والاعتصام بدورهم ، استعدادا للدفاع عن أموالهم ، وكانت دورهم مسورة حصينة ، وذلك

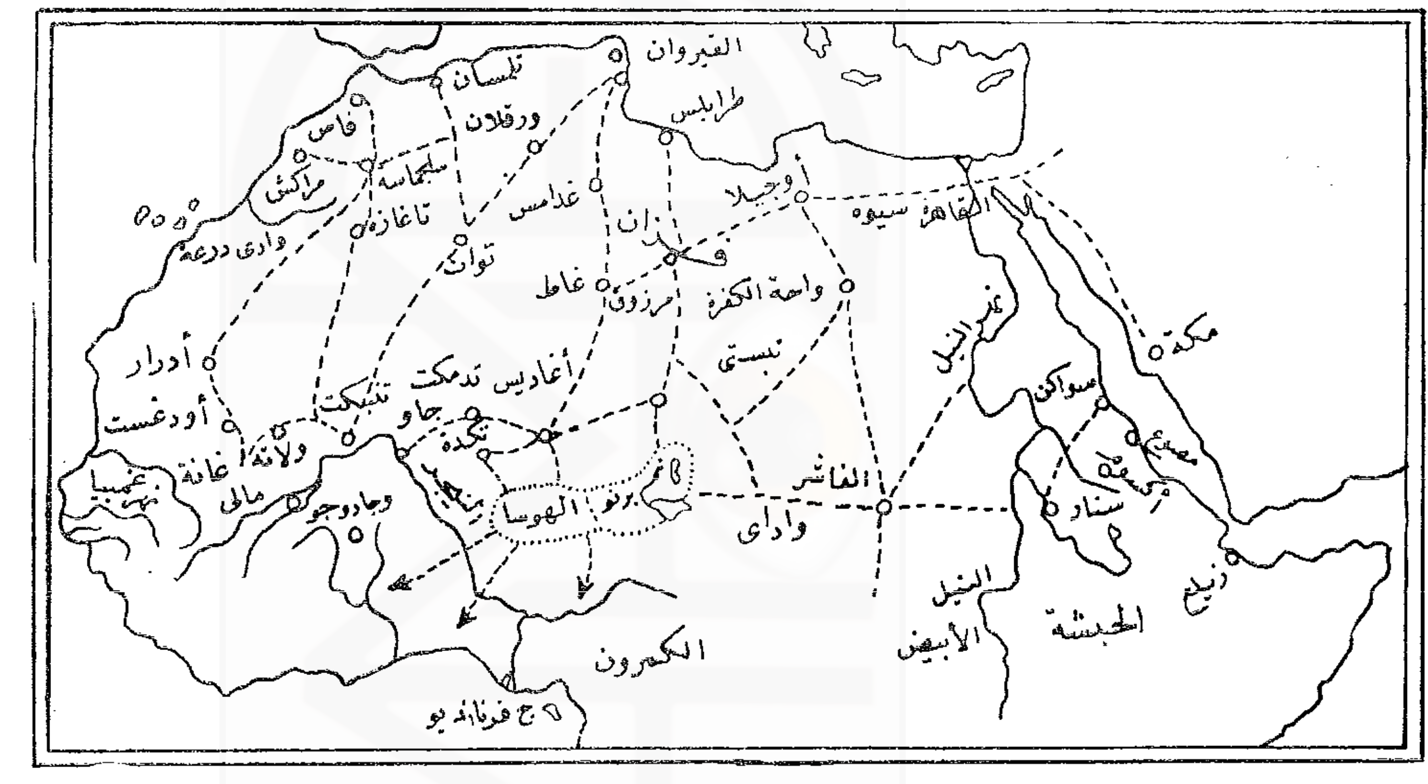
اذا قرر مارى جاطة متابعة زحفه الى ايوالاتن ، لكنـه عدل عن الزحف رعاية لحق من لجأ اليها من المسلمين (١) ٠

وحدث أن أراد مارى جاطة الافادة من نشاط أسرة المقرى التجارى ، فاستدعى عميدها ، واتفق معه على توفير ما يحتاج اليه مارى جاطة من السلع الأجنبية ، نظير حماية مارى جاطة لهم (٢) ٠

---

(١) راجع الفصل الأول ٠

(٢) هذه المعلومات عن أسرة المقرى ونشاطها التجارى وتاريخها ، منقولة عن قاضى مدينة فاس فى سـنة ١٣٥٦م ، وهو كما يقول ، السـادس من سـلالة الجد الأكبر عبد الرحمن ٠ ( انظر L. Lugard, pp. 101-103 ; Bovill, pp. 98-99




طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالى أفريقيا

( ج )

## الحياة الروحية والعلمية والفنية

**سيادة المذهب السنى المالكى - مذهب الخوارج الاباضية ( صغنغو ) - المساجد وانتشارها - المسجد الجامع فى تنبكت - مسجد سنكرى - بعض الأئمة من السود والبيض - المحافظة على صلاة الجماعة - صلاة العيد حرمة المساجد ودار الخطيب - العلماء والفقهاء - جامعة سنكرى - المدارس - جنى وكثرة العلماء بها - الحرص على حفظ القرآن - اللغة العربية ومكانتها - والأطباء المصريون فى مالى - تطور فن العمارة فى مالى .**

---

المذهب السنى المالكى هو السائد فى دولة مالى ، وفى بلاد غربى افريقية عامة ، وقد أشار مانسا موسى وهو فى مصر الى أنه مالكى المذهب، كما اشترى من مصر بعض الكتب فى فقه المالكية (١) .

غير أن بعض القرى ، كانت تضم فريقا من الخوارج ، وهؤلاء غالبا من البيض المغاربة المقيمين فى تلك البلاد، كما هو الشأن فى قرية زاغرى ففيها يقيم فئة من الخوارج الاباضية ، نسبة الى صاحب هذا المذهب ، وهو عبد الله بن اباض التميمى (٢) ، وهؤلاء يعرفون عند السودان باسم

---

(١) الذهب المسبوك ص ١١٣ .

(٢) الخوارج هم الذين خرجوا على التحكيم فى الصراع الذى دب بين على ومعاوية منذ وقعة صفين عام ٣٦ هـ = ٦٥٧ م ، وبدءوا بأمور تتعلق بالخلافة ، بأنها يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين ، وليس من الضرورى أن يكون قرشيا ، حتى ولو كان عبدا حبشيا ، ثم مزجوا آراءهم السياسية بصبغة لاهوتية . فقالوا ان العمل جزء من =

« صغنفو » ، كما أن السودان يطلقون على المالكية من البيض اسم « تورى » (١) ٠

والمساجد منتشرة فى جميع أرجاء مالى ، ولكل مدينة مسجدها أو مساجدها ، ولها أئمتها ووعاظها ، ولهؤلاء رواتب شهرية ثابتة ، وفى المدن الرئيسية مثل مالى العاصمة وجاو وتنبكت يوجد مسجد كبير جامع ، هو المسجد الرئيسى فى المدينة ٠

واشتهر السلطان موسى بكثرة بناء المساجد ، فمن عادته ، كما يقول السعدى ، انه كان يبنى مسجدا فى كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها(١)، ومن المساجد التى أقامها مسجد مدينة جاو على اثر عودته من الحج عام ١٣٢٥ م ، وقد أشرف على بنائه أبو اسحاق ابراهيم الساحلى الشاعر القرطبى والمهندس ، وكان السلطان موسى قد تعرف على أبى اسحاق بمكة خلال حجه ١٣٢٤ م ودعاه الى بلاده وصحبه معه فى عودته ، ويعرف هذا الشاعر المهندس فى بلاده باسم « الطويجن » (٣) ٠

بنى الساحلى جامع جاو من الطوب المحروق ، ولم يكن هذا معروفا من قبل فى السودان (٤) ، وجعل مئذنته هرمية الشكل ، وهذا أول بناء من هذا الطراز يدخل بلاد السودان ، وسرعان ما انتشر فى جميع بلاد غربى افريقية (٥) ٠ عمر مسجد جاو ونحو ثلاثة قرون بعد ذلك ، ولا تزال أطلاله باقية الى اليوم ٠

---

= الايمان، وتفرقوا الى نحو عشرين فرقة، أشهرها الاباضية ، نسبة الى عبد الله بن اباض التميمى ، مؤسس هذه الفرقة ، وقد خرج زمن خلافة مروان بن محمد ( ت ١٣٢ هـ = ٧٤٩م ) آخر خلفاء بنى أمية ٠ ومن أقوال ابن اباض : ان مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب وما سواه حرام ، وحرام قتلهم وسبيهم فى السر غيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحجة ٠٠ ولذلك فنزعتهم أميل الى المسالمة من غيرهم ، ولا يزال أتباع هذا المذهب فى المغرب وغيره الى اليوم ٠ ( الشهرستانى : الملل والنحل ـ نشر بدران ـ القسم الأول ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، ١٢١ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٢٥٦ وما بعدها ) ٠

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ٠

(٢) تاريخ السودان ص ٧ ٠

(٣) ذكره ابن خلدون باسم « السطو نجق » ، والمثبت عن السعدى وابن بطوطه ( راجع العبر جـ ٦ ص ٢٠٠ ، السعدى ص ٨ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٣١ ) ٠

(٤) Davidson, p. 91 ; Bovill, p. 89

(٥) Labouret, p. 203

كذلك أشرف الساحلي على بناء مسجد جديد في تنبكت ، وهي المسجد الجامع ، ويعرف كذلك باسم الجامع الكبير (١) . ويوجد بمدينة تنبكت جامع قديم بالحي الشمالي فيها ، يعرف باسم « جامع سنكرى » Sankore ، يقول السعدى أن هذا المسجد بنته سيدة تعرف باسم سنكرى ، وهي سيدة ثرية ؛ لكن ليس من المعروف تاريخ هذا البناء الأول (٢) ، أما عمل السلطان موسى في مسجد سنكرى ، فاقتصر على بناء مئذنته ، وجعل القبور ملاصقة له من جهتي اليمن والمغرب . يقول السعدى :

« وتلك عادة السودان أهل المغرب ، لا يدفنون موتاهم الا في رحاب مساجدهم وجوانبها (٣) » ، وقد جدد هذا المسجد فيما بعد وأضيفت ساحة القبور اليه (٤) ، وكان جامع سنكرى من أشهر المراكز الثقافية في تنبكت (٥) .

وأول من تولى الامامة في المسجد الجامع ، الفقهاء السودانيون زمن سيادة مالي ، وبعض العهد من دولة الطوارق ، وآخر الأئمة من السودان القاضي كاتب موسى ، الذي مكث في الامامة أربعين سنة ، وكان قد رحل الى فاس للتفقه في العلم بأمر السلطان موسى (٦) .

عن السعدى :

« وخلفه في الامامة جد جد تي ــ الضمير عائد على السعدى ــ عبد الله البلبالي ، وهو أول البيضان ، صلى بالناس في هذا المسجد أواخر دولة الطوارق، وفي أوائل دولة سن على» (٧) . ومن أئمة مسجد سنكرى ، أبو البركات محمود بن عمر (٨) .

---

(١) Le Chatelier, p. 133

(٢) السعدى ص ٦٢ ــ ٦٣ ، تاريخ الفتاش ص ١٢١ .

(٣) السعدى ص ٥٦٢٨ ــ ٥٧ .

(٤) السعدى ص ٥٧ .

(٥) كان جامع سنكرى المكان الذى اختاره الباشا محمود بن على بن زرقون ، من قادة الذهبي سلطان المغرب ، عند فتح صنغى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، اختاره لكى يجمع فيه أهل تنبكت ، فلما جمهم أقام فيهم مذبحة ( امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف : الفتاش ص ١٤٣ ــ ١٧٤ ، السعدى ص ١٣٥ وما بعدها ) .

(٦) السعدى ص ٥٦ .

(٧) السعدى ص ٥٧ .

(٨) السعدى ص ٦٢ ــ ٦٣ ، امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف .
L. Lugard, p. 144; Hogben, p. 33

وقد اشتهر المسلمون فى مالى بالمحافظة على أداء صلاة الجماعة فى مواعيدها ، وكانت المساجد مليئة دائما بالمصلين (١) . يقـول ابن بطوطة فى وصف محافظة أهل مالى على صلاة الجماعة :

« واذا كان يوم الجمعة ، ولم يبكر الانسان الى المسـجد ، لم يجد أن يصلى لكثرة الزحام ، وعادتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسـجادة ، فيبسطها له بموضع يستحقه به ، ثم يذهب الى المسـجد ، وسجادتهم من سعف شجر يشبه النخيل ولا ثمرة له ، ومنهـا لبـاسهم الثياب البيض الحسـان يوم الجمعة ، ولو لم يكن لأحدهم الا قميص ، غسله ونظفه وشهد به الجمعة (٢) » .

وقد شهد ابن بطوطة موكب السلطان لصـلاة العيد ، فى مدينة مالى ، وقال يصفه :

« وحضرت بمالى عيدى الأضحى والفطر ، فخرج الناس الى المصلى ، وهو قريب من قصر السلطان ، وعليهم الثياب البيض الحسان ، وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان ، والسودان لا يلبسون الطيلسان (٣) الا فى العيد ، ما عدا القاضى والخطيب والفقهاء ، فانهم يلبسون فى سائر الأيام ، وكانوا يوم العيد بين يدى السلطان ، وهم يهللون ويكبرون ، وبين يديه العلامات الحمر من الحرير ، ونصب عنـد المصلى خباء (٤) ، فدخله السلطان وأصلح من شأنه ، ثم خرج الى المصلى ، فقضيت الصلاة والخطبة ، ثم نزل الخطيب وقعد بين يدى السلطان ، وتكلم بكلام كثير ؛ وهناك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب ، وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه » (٥) .

ووجود هذا الوسيط لترجمة الخطبة من اللغة العـربية الى لغة الماندنجو ، لأن الصـلاة وجميع طقوس الاسلام كانت تؤدى باللغـة العربية (٦) . وعموما ، كانت الحياة الدينية فى مالى كما وصفها الكتاب الأجانب . سليمة (٧) .

---

(١) L. Lugard, p. 144 ; Hogben, p. 33

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٢ ، انظر كذلك : Le Chetelier, p. 134

(٣) الطيلسان رداء اسود والجمع طيالسـة ، وهو لفظ فارسى معرب ( القاموس المحيط ) .

(٤) الخباء والجمع أخبية ، خيمة من وبر أو صوف ولا تكون من الشعر .

(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٩ ــ ٤١٠ .

(٦) الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٣١ ومابعدها .

(٧) Le Chatelier, p. 134 ; Hogben, p. 33

وللمساجد عند أهل مالى حرمة كبيرة ، كما هو مقرر فى مبادىء الاسلام عامة ، وقد أشار ابن بطوطة الى أن أهل مالى كانوا يستجيرون بالمساجد ، واذا لم يوجد مسجد قريب ، استجاروا بدار الخطيب (١)، وحدث أن استجارت زوجة مانسا سليمان بدار الخطيب ، عندما كشف اشتراكها فى مؤامرة (٢) .

وازدهرت الحركة العلمية فى مالى ، وعرف عن السلطان كنكن موسى أنه استقدم عددا كبيرا من العلماء ولا سيما من مصر والمغرب والأندلس (٣) ، فامتلأت بلاده بالعلماء من السود والبيض على السواء، وكان ازدهار حركة التبادل التجارى بين مالى والخوارج ، من العوامل التى ساعدت على ازدهار الحركة العلمية فى مالى (٤) .

ومن المدن التى اشتهرت بكثرة علمائها : تنبكت ومالى وجنى وجاو (٥) ، حتى انه عندما تدهورت دولة مالى سياسيا بقيت هذه المدن محتفظة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الاسلامية فى قلب افريقية .

اشتهرت تنبكت وجاو بصفة خاصة، بأنهما مركزا الدين والتجارة ، وفضلا على الشهرة العلمية حيث عاش العلماء آمنين رافهين ، وبينما كانت فى تنبكت نقص بالعلماء والدراسات الاسلامية ، كانت حروب المائة عام تخرب وتدمر فى أوربا (٦) . وليس من المستطاع اعطاء صورة كاملة عن ازدهار الحياة العلمية والثقافية فى تنبكت خلال تلك الفترة ، سواء أكان ذلك فى العلوم التى كانت تدرس أم فى الانتاج العلمى لفقهائها وعلمائها ، فان هذه الكتب قد فقدت أو لم يعثر عليها بعد، ولكن

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٧ ــ ٤١٩ .

(٢) راجع ما سبق

(٣) Baulin, p. 26

(٤) Le Chatelier, p. 134 ; Gouilly, p. 55

(٥) Dubois, pp. 205, 221 ; Le Chatelier, p. 134

(٦) بدأت حرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا عام ١٣٣٧م ، حول أملاك انجلترا فى فرنسا ، وتخلل هذه الحرب فترات هدوء ومعاهدات ، ولم تنته الا بطرد الانجليز نهائيا من أملاكهم عام ١٤٥٣ وظهرت خلالها جان دارك ببطولتها . ( راجع :
Orton, Hist. of Europe, pp. 273-277 ; Luce, France Pendant la Guerre de Cent Ans (Paris, 1892-31) ; Perroy, La Guerre de Cent Ans Paris, 1946) ; Pirenne, A Hist. of Europe, pp. 429-46 ; Oman, Hist. of the Art of War in the Middle Ages, Lond., 1924 etc.

ليو الأفريقى ، عندما زار تنبكت فى القرن السادس عشر ، أى بعد تدهور مالى وزوالها كدولة كبيرة وخلال العهد الأخير من امبراطورية صـــنغى الاســلاميـة ، يقول ان تنبكت ، فى وقت زيارته لهـا ، مليئة بالعلماء والفقهاء والأئمة ، وأن هؤلاء يتمتعون برواتب سخية ، ويعاملون باحترام وتعظيم ، وأشار كذلك الى شدة الطلب على الكتب ، وهى مخطوطة ، اذ كانت تجارة الكتب تدر أرباحا طائلة ، بحيث فاقت الأرباح النــاتجة عن العمل فى أى تجارة أخرى (١) ، وهذا دليل على عظم الاقبال والتلهف على اقتناء الكتب وعلى كثرة العلماء والمتعلمين • يقول ابن بطوطة : انه رأى كتاب « المــدهش لابن الجوزى » عند فربا سـليمان ،حاكم احــدى المدن فى مالى (١) •

وأهم مركز ثقافى فى تنبكت مسجد سنكرى أو جامعة سنكرى ، ففيها كان العلماء من كل فنون العلوم الاسلامية ، وأكثر العلماء من البيض من قبيلة جدالة بصفة خاصة ، ومن أعظم علمائها المؤرخ الفقيه أحمد بابا الذى نقل عنه السعدى الكثير مما أورده فى تاريخ السودان (٢) • ومن علماء جامعة سنكرى الفقيه الحاج جد القاضى عبد الرحمن بن أبى بكر ، وتولى القضــاء « أواخر دولة مالى » ، وهذا الفقيه كما يقول السعدى ، « أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب القرآن فى جامع سنكرى ، بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء ، جاء هو وأخوه السيد الفقيه من بين ــ وهى ولاته ــ .. » (٢) •

أما مدينة مالى ، العاصمة ، فكانت كذلك ، تضم طائفة كبيرة من العلماء ، وكان فيها حى خاص بالبيض ، وكبيرا فقهــاء مالى عند زيارة ابن بطوطة لها ، هما : محمد بن الفقيه الجزولى وشمس الدين النقويشى المصرى • ومن الفقهاء الذين التقى بهم ابن بطوطة فى مالى : الفقيه المقرىء عبد الواحد صهر الجزولى (٤) •

ومن المدن أو الممالك التى خضعت لمالى ، وضرب بها المثل فى كثرة علمائها ، مدينة جنى أو مملكة جنى فيقال ان ملكها حين أسلم فى القرن

---

(١) ليو الافريقى : الكتاب السابق ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ •

(٢) الذهب المسبوك ص ١١٣ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ،

L. Lugard, p. 147; Davidson, pp. 91-92

Hogben, p. 46; Bovill, p. 90; De Vaux, p. 776

(٣) تاريخ السودان ص ٢٧ •

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٩٧ ــ ٣٩٨ ، راجع الفصل الخامس •

الثانى عشر الميلادى أمر بحشر العلماء فى بلاده ، فاجتمع له فيما يقوله السعدى نحو ٤٢٠٠ عالم وأسلم على أيديهم (١) .

وقد وجدت المدارس الكثيرة فى جميع المدن المشهورة بجوار المساجد مثل مدارس زاغة ، ويقول ابن بطوطة عن أهل هذه المدينة انهم « قدماء فى فى الاسلام ولهم ديانة وطلب علم » (٢) .

وانصب الاهتمام فى مناهج التعليم فى مالى ، وكذلك فى غيرها من بلاد السودان ، على حفظ القرآن أولا ، حتى كان أهل مالى يجعلون القيود لأولادهم ولا يطلقونهم الا بعد أن يحفظوا القرآن (٣) .

وبجانب الاهتمام بالقرآن ، هناك الاهتمام بلغة القرآن ، وهى اللغة العربية ، التى اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمى غربى افريقية عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة تكتب باللغة العربية ، كما كانت العربية لغة الحكومة والمراسلات الدولية ولغة التجارة ، أى أنها كانت اللغة السائدة Lingua Franca . ويقول تاماس أرنولد :

« غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الافريقية » (٤) ويقول ديشان :

« ولم تكتف قبائل الممالك الافريقية بدخول الاسلام ، بل طبعت بطابع عربى بسبب انتشار اللغة العربية فى تلك البلاد » (٥) .

وهناك خصائص معينة فى نطق الحروف العربية بين مسلمى غربى افريقية (٦)، وأما طريقة الكتابة ، فهى طريقة المغاربة، يقول القلقشندى:

« وكتابتهم بالخط العربى على طريقة المغاربة ، وقد ورد الى السلطان الناصر كتاب من موسى بالخط المغربى (٧) » .

---

(١) راجع الفصل الثانى وانظر السعدى ص ١٢ ـ ١٣ .

(٢) راجع الفصل الخامس وانظر تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٩٥ ، انظر كذلك :
Cooley, p. 103 ; L. Lugard, p. 144

(٣) راجع الفصل الثانى وانظر : تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٢٨ وما بعدها .

(٤) الدعوة الى الاسلام ( الترجمة العربية ) ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٥) الديانات فى أفريقية السوداء ص ١٣٢ .

(٦) انظر الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٣٤ وما بعدها .

(٧) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٨ ، انظر كذلك : مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٦ .

هذا قد تركت اللغة العربية أثرها في اللغات المحلية ، ولا سيما لغات الهوسا وصنغى والفولانيين ، فاستخدمت اللغة العربية فى كتابة لغة الهوسا منذ زمن مبكر ، كما استخدمت فى كتابة اللغة الفولانية ولاتزال الى اليوم (١) . ولا يزال الى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة فى بلاد غربى افريقية ، فى شتى مظاهر الحياة : الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفى الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية، وحتى فى أسماء الاعلام والمدن والحيوانات والنباتات (٢).

أى أن اللغة العربية ، وهى لغة عقيدة وحضارة قامت بالدور الذى قامت به اللغة اللاتينية فى أوربا الوسيطة ، لكنها تفوقت على اللاتينية، من حيث سعة الانتشار والبقاء بسبب مكانتها المقدسة، لأنها لغة القرآن والعقيدة الاسلامية ، فلم تزل أمام اللغات المحلية كما حدث للغة اللاتينية، وبقيت كذلك حتى فى عصر الاستعمار الأوربى ، بالرغم من زوال السلطة للدول الاسلامية فى غربى افريقية.يقول الرحالة الانجليزى فرانسس مور Fr. Moore عام ١٧٣١ م بأنه وجد معظم أهل غمبيا البريطانية يتكلم اللغة العربية ، وأن المامهم بها يفوق المام أهل أوربا الوسيطة باللغة اللاتينية (٣) .

ولم تخل دولة مالى من المصريين العاملين فى التجارة أو فى ميادين العلم المختلفة ، وحدث أن مرض ابن بطوطة وهو فى مالى على أثر تناوله طعام وطنى ، فطلب دواء من بعض المصريين ، فجىء له بدواء يسمى « بيدرا » وهو عروق نبات مخلوطة بالأينسون والسكر ، فشربه وشفى ، وعلق على ذلك بقوله : وعافانى الله من الهلاك، وفى هذه العبارة اشارة الى أن بعض صحبه قد مات من تناوله نفس الطعام (٤) .

وفى مجال الفنون والعمارة ، كان أشهر شخصية لها أثرها فى تطور فن العمارة فى مالى ، شخصية المهندس الشاعر القرطبى أبى اسحاق ابراهيم الساحلى ، فهو الذى أشرف على عمارة مساجد جاو وتنبكت ، وأدخل البناء بالطوب المحروق ، وبنى قاعة الاجتماعات بقصر مانسا موسى

(١) الاسلام واللغة العربية للمؤلف ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) انظر معجم الألفاظ والمصطلحات بالملاحق .

(٣) الاسلام واللغة العربية للمؤلف ص ٣٣ .

(٤) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٢٣ ، راجع ما سبق

فى مالى من الحجر والجبس وزخرفها بالخشب المطعم بالذهب والفضة (١) . كذلك أدخل الساحلى نظام السقوف المسطحة للمنازل والمآذن الهرمية الشكل (٢) .

وكانت المبانى فى مالى . قبل هذا التطور الذى أدخله الساحلى ، كما يصفها العمرى والقلقشندى :

« مبانيها – أى مالى – متفرقة ، وتبنى بالبالستا ، وهى أن يبنى بالطين بقدر ثلثى ذراع ثم يترك حتى يجف ، ثم يبنى عليه مثله ، وكذلك حتى ينتهى (٣)، وسقوفها بالخشب والقصب، وغالبها قباب أوجملونات كالأقباء ، وأرضها تراب مرمل ، وليس لها سور » (٤) .

ومن الفنون التى رآها ابن بطوطة فى رحلته ، زخرفة القرع المستخدمة عند أهل مالى فى صنع الجفان ، فهم ينقشونها « نقشا حسنا » كما يقول ابن بطوطة (٥) .

---

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣١ ، السعدى ص ٨ ،
Hogben, p. 31 ; L. Lugard, p. 127 ; Spitz, p. 62 ; Davidson, p. 91 ; Le Chatelier, p. 133.

(٢) راجع ما سبق وانظر :
Davidson, p. 91 ; L. Lugard, p. 126 ; Labouret, p. 203 ; Spitz, p. 62
Blyden, p. 206

(٣) يشبه ما هو معروف فى بعض ريف مصر باسم الطوف .

(٤) مسالك الابصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٥ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٣ .

(٥) تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٩٣ .

ـ ٥ ـ

## الحياة الاجتماعية

**طابع الحكم وأثره ـ مكانة السلطان فى أعين الرعايا ـ كيفية دخول القصر السلطانى ـ نظام التحية ـ كيفية مخاطبة السلطان ـ ظاهرة التتريب فى مجلس السلطان ـ الأثر الشرقى والاسلامى : الشعار والرنك وهيئة ركوب السلطان ـ هيئة جلوسه فى المشور ـ جلوسه فى القبة ـ مواكب الأعياد وألعاب التسلية ـ تقاليد الأكل ـ سطحية الفهم للدين الاسلامى ـ جوارى السلطان ـ الاختلاط بين الجنسين ـ بعض العادات السيئة ـ خروج الخدم والجوارى عاريات ـ الأزياء وتنوعها .**

---

لما كان طابع الحكم فى دولة مالى استبداديا مطلقا ، فقد تمتع ملوكها بمنزلة رفيعة فى أعين الرعايا ، تكاد تقرب من درجة التقديس والعبودية . يقول ابن بطوطة :

« والسودان أعظم الناس تواضعا لملوكهم وأشدهم تذللا له ، ويحلفون باسمه ، فيقولون ـ بصدد منسا سليمان ـ « منسا سليمان كى » » (١) .

واذا خطر لأحد من الرعايا ، كائنا من كان ، أن يدخل قصر السلطان ، لأى أمر ، فلا بد من خلع نعليه والا « قتل بلا عفو ، عامدا أو ساهيا » كما يقول القلقشندى (٢) .

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٧ .

(٢) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٠٠ .

والتحية التي يؤديها للسلطان معقدة ، فعلى الداخل أن يقف فترة أمام السلطان ، ثم يرفع يده اليمنى حتى تصل الى قريب أذنه ، بعد أن يكشف رأسه ، ثم يركع ، وتكون يده اليسرى مبسوطة فوق فخذه وتحت مرفق يده اليمنى ، وتشبه هذه التحية ما عرف عند المغول باسم « ضرب الجوك » (١) .

يقول أمير حاجب :

« وقد رأيت هذا عند خدمتهم للسلطان موسى ، لما قدم الديار المصرية » واذا دعا السلطان أحدا من رعاياه ، عند جلوسه بالقبة ، جرت العادة أن ينزع المدعو ثيابه ، ويستبدل ثيابا خلقه ، ثم ينزع عمامته ويلوثها بالأوساخ وحينئذ يكون قد تهيأ تماما للاقتراب من السلطان ، فاذا ما أقبل عليه ، رفع ثيابه وسراويله الى نصف ساقه ، ثم يتقدم وهو فى غاية الذلة والمسكنة ، ويضرب الأرض بمرفقيه ضربا شديدا ، ثم يقف كالراكع ، يستمع الى ما يلقيه السلطان عليه من أوامر (٢) .

واذا حدث وتكلم السلطان ، تحتم على جميع الحاضرين فى مجلسه أن يخلعوا عمائمهم ويكشفوا رءوسهم ، وبعد ذلك ينصتون الى قوله(٣) وقد يحدث أن يعطس أحد فى مجلسه ، وجزاؤه الضرب المؤلم ولا يسامح أحد فى ذلك .

يقول العمرى :

« فان بغت أحد منهم العطاس ، انبطح على الأرض وعطس حتى لا يعلم به ، أما الملك ، فانه اذا عطس ، ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم (٤) » .

وربما يتكلم بعض الحاضرين بين يدى السلطان ، ذاكرا أفعاله وخدماته لسيده ، فاذا كان صادقا فيما يقول ، وخطر لأحد من الجلوس أن يؤمن على كلامه ، نزع قوسه ثم أرسلها (٥) ، كما يفعل فى حالة

---

(١) صبح الأعشى جـ٥ ص ٣٠٠ ــ ٣٠١ ، جـ ١ ص ٦٠٥ حاشية ٣ .

(٢) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٠١ .

(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٨ .

(٤) الدر الكامنة جـ ٤ ص ٣٨٣ ، الذهب المسبوك ص ١١٣ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٨ .

(٥) مسالك الابصار جـ ٢ ق ٣ ورقه ٤٩٨ .

نزع قوسه مدها استعدادا للرمى .

الرمى (١) . حدث مثل هذا التقليد عند الجرمان الأولين ، مما يدل على شرف العمل العسكرى (٢) .

فاذا حاز حديث المتكلم قبولا لدى السلطان واستحق الشكر السلطانى ، أو انعاما ساميا أو مجرد وعد بالجزاء كشف المتكلم ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على رأسه وظهره ، يقول ابن بطوطة فى وصف هذا المظهر : « كما يفعل المغتسل بالماء ، وكنت أعجب منهم كيف لاتعمى أعينهم » (٣) . وربما قام بعملية التتريب غلمان الشخص المنعم عليه أو أحد من أصحابه .

وهناك « رماد » موضوع فى آخر مجلس الملك ، معد لهذا الغرض. وبعد ذلك ، يعود الشخص ويتمرغ على الأرض حتى يصل الى بين يدى الملك «ويضرب جوكا» آخر بيده ، ثم يقوم وهذا عندهم ، كما يقول ابن بطوطة ، من الأدب (٤) .

ولقد حافظ أهل مالى على أداء مثل هذه التحية ، حتى للملوك الأجانب ، اذا مابعثوا فى مهمات أو سفارات من قبل سلطان مالى . ذكر ابن بطوطة ، أنه « لما قدم الحاج موسى الونجرانى (٥) ، رسولا من عند مانسا سليمان ، الى مولانا أبى الحسن رضى الله عنه (٦) . كان اذا دخل المجلس الكريم ، حمل بعض ناسه معه قفة تراب ، فيترب اذا قال له مولانا كلاما حسنا ، كما يفعل ببلاده (٧) » .

هذه التقاليد تكاد تقتصر على مالى وغيرها من المماليك التى قامت بالسودان الأوسط والغربى ، نتيجة السلطة التى تمتع بها ملوكها وحكامها ، لكن هناك تقاليد أخرى شرقية واسلامية بصفة خاصة ، نقلت الى مالى مع الاسلام ونتيجة للاتصال التجارى والثقافى بالعالم الاسلامى (٨)

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٨ .

(٢) تاكيتوس والشعوب الجرمانية للمؤلف ص ٥٧ — ٥٨ .

(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٨ .

(٤) تحفة النظار جـ ٤ص ٤٠٩ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٣٠١ .

(٥) الونجرانى أى من ونقاره Wangara

(٦) هو السلطان أبو الحسن على بن عثمان ، سلطان بنى مرين فى فاس ( ٧٣٢ — ٧٤٩ هـ = ١٣٣١ — ١٣٤٨م ) .

(٧) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٩ .

(٨) راجع الفصل الثانى وانظر : Johnston,pp. 19-26.

من هذه التقاليد ، ما يتعلق بأمور السلطنة من شعار ومواكب وجلوس ووسائل تسلية . فشعار سلطان مالى ، كما يقول أمير حاجب : «أعلام وهى ألوية كبار جدا تنشر عليه حيث يركب، ورنكة (١) أصفر فى أرض حمراء » (٢) .

وفى هيئة ركوب سلطان مالى ، جرت العادة أن « يحمل على رأسه الجتر ــ أى المظلة ــ راكب ، وينشر على رأسه علم ، وتضرب أمامه الطنابير والطبول والبوقات ، بقرون لهم فيها صناعة محكمة (٣) » .

وعن هيئة جلوس السلطان فى المشور ، يخرج مانسا فى موكب رائع ، يقول ابن بطوطة :

« ويجلس أيضا فى بعض الأيام بالمشور ، وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبى ، تفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ، ويرفع الشطر ، وهو شبه قبة من الحرير ، وعليه طائر من ذهب على قدر البازى .

« ويخرج السلطان من باب فى ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه، وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب، لها أطراف مثل السكاكين ، رقاق طولها أزيد من شبر . وأكثر لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التى تسمى المطنفس .

ويخرج بين يديه المغنون بأيديهم قنابر ــ لعل المراد صور على شكل طائر القبرة من ذهب (٤) ــ الذهب والفضة ، وخلفه نحو ثلثمائة من العبيد أصحاب السلاح . ويمشى مشيا رويدا ، ويكثر التأنى، وربما وقف ينظر الى الناس ، ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر .

« وعند جلوسه ، تضرب الطبول والأبواق والأنفار ، ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين ، فيدعون النائب والفرارية ، فيدخلون ويجلسون ، ويؤتى بالفرسين والكبش معا .

---

(١) الرنك لفظ فارسى معناه اللون ، واستخدم بمعنى الشعار أو الرمز الذى يتخذه الأمير أو السلطان ، وعرفت الرنوك فى مصر الايوبية والمملوكية ، ودلت عند الأيوبين والمماليك على الوظيفة التى يشغلها الأمير أو التى كان يشغلها ، ( راجع دولة المماليك والجراكسة للمؤلف ص ٣٢٤ ــ ٣٣٩ ) .

(٢) مسالك الابصار ج ٤ ق٣ ورقة ٥٠٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ .

(٣) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ .

(٤) عن المهندس .

« ويقف دونما – المترجم – على الباب ، وسائر الناس فى الشارع تحت الأشجار » (١) .

***

وفى أكثر الأوقات ، يجلس السلطان فى القبة ، ولها من جهة المشور ، كما يقول ابن بطوطة ، طيقان ثلاثة من الخشب ، مغشاة بصفائح الفضة ، وتحتها ثلاثة مغشاة بصفائح الذهب ، وهى فضة مذهبة .

« وعليها ستور ملف ، فاذا كان يوم جلوسه بالقبة ، رفعت الستور ، فعلم أنه يجلس . فاذا جلس ، أخرج من شباك أحد الطيقان ( شرابة ) حرير ، قد ربط فيها منديل مصرى مرقوم ، فاذا رأى الناس المنديل ، خرجت الأطبال والأبواق .

« ثم يخرج من باب القصر نحو ثلثمائة من العبيد فى أيديهم بعض القسى ، وفى أيدى بعضهم الرماح الصغار والدرق ، فيقف أصحاب الرماح منهم ، ميمنة وميسرة ، ويجلس أصحاب القسى كذلك ، ثم يؤتى بفرسين ملجمين ومعهما كشبان ، يذكرون أنهما ينفعان من العين .

« وعند جلوسه ، يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين ، فيدعون نائبه قنجا موسى – وهو نائب منسا سليمان – وتأتى الفراريه ، وهم الأمراء ، ويأتى الخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية ، يمنة ويسرة فى المشور ، ويقف دونما الترجمان على باب المشورة ، وعليه الثياب الفاخرة ، وعلى رأسه عمامة ذات حواشى ، لهم فى تعميمها صنعة بديعة ، وهو متقلد سيفا ، غمده من الذهب ، وفى رجليه الخف والمهاميز ، ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ، ويكون فى يده رمحان صغيران ، أحدهما من ذهب والآخر من فضة ، وسنانهما من الحديد .

« ويجلس الأجناد والولاة والفتيان وغيرهم خارج المشور ، فى شارع متسع فيه أشجار ، وكل فرارى ، بين يديه أصحابه بالرماح والقسى والأطبال والأبواق ، وأبواقهم من أنياب الفيلة ، وآلات الضرب المصنوعة من القصب والقرع ، ولها صوت عجيب ، وكل فرارى له كنانة قد علقها بين كتفيه ، وقوسه بيده ، وهو راكب فرسه ، وأصحابه بين مشاة وركبان .

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٥ – ٤٠٧

« ويكون بداخل المشور ، تحت الطيقان ، رجل واقف ، فمن أراد أن يكلم السلطان ، كلم دونما ، ويكلم دونما ذلك الواقف ، ويكلم الواقف السلطان (١) » .

* * *

وفي الأعياد الكبرى مثل عيدى الفطر والأضحى ، هناك مواكب لاتقل روعة وبهاء عن موكبيه عند جلوسه بالمشور وجلوسه بالقبة ، يقول ابن بطوطة :

« يجلس السلطان في أيام العيدين ، بعد العصر على البنبى وتأتى السلاحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وأغمادها منه ، ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور .

« ويقف على رأسه أربعة من الامراء يشردون الذباب ، وفى أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ، ويجلس الفرارية والقاضى والخطيب على العادة ، ويأتى دونما الترجمان بنسائه الأربع وجواريه ، وهن نحو مائة ، عليهن الملابس الحسان، وعلى رءوسهن عصائب الذهب والفضة ، فيها تفافيح ذهب وفضة ، وينصب لدونما كرسى يجلس عليه ، ويضرب الآلة التى هى القضيب ، وتحتها قريعات ، ويغنى بشعر يمدح فيه السلطان ، ويذكر غزواته وأفعاله ، ويغنى النساء والجوارى معه ، ويلعبن بالقسى ، ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانه ، عليهم جباب — جمع جبة — الملف الحمر ، وفى رءوسهم الشواشي البيض — جمع شاش — وكل واحد فيهم متقلد طبله يضربه ، ثم يأتى أصحابه من الصبيان فيلعبون ويتقلبون فى الهواء ، ولهم فى ذلك رشاقة وخفة بديعة ، ويكون بالسيوف أجمل لعب ، ويلعب دونما بالسيف لعبا بديعا .

« وعند ذلك ، يأمر السلطان له بالاحسان ، فيؤتى بصرة فيها مائتا مثقال من التبر ، ويذكر له ما فيها على رءوس الناس ، وتقوم الفرارية فيتزعون فى قسيهم شكرا للسلطان . وبالغد يعطى كل واحد منهم دونما عطاء على قدره .

« وفى كل يوم جمعة بعد العصر ، يفعل دونما مثل هذا الترتيب الذى ذكرناه » (٢) .

---

(١) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٣ — ٤٠٥ .

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤١١ — ٤١٣ .

واذا كان يوم العيد ، وقد أتم دونما لعبه ، جاء الشعراء وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق (١) وجعل بها رأس من الخشب ، له منقار أحمر ، كأنه رأس الشقشاق ٠

« يقفون بين يدى السلطان بتلك الهيئة المضحكة ، فينشدون أشعارهم ، وذكر لى ، أن شعرهم نوع من الوعظ ، يقولون فيه للسلطان: ان هذا البنبى الذى تجلس عليه ، جلس فوقه من الملوك فلان ، وكان من أحسن أفعاله كذا ، وفلان وكان من أفعاله كذا ، فافعل أنت من الخير ما يذكر بعدك .

« ثم يصعد كبير الشعراء على درج البنبى ، فيضع رأسه فى حجر السلطان ، ثم يصعد الى أعلى البنبى ، فيضع رأسه على كتف السلطان الأيمن ، ثم كتفه الأيسر ، يتكلم بلسانهم ثم ينزل ٠

« وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديما عندهم ،قبل الاسلام فاستمروا عليه (٢) » ٠

ولم تعجب هذه التقاليد ابن بطوطة ، واعتبرها من العادات السيئة التى توجد بمالى (٣) ٠

وقد لاحظ والى مصر ، على السلطان موسى وهو بالقاهرة ، أنه لا يأكل الا منفردا (٤) ٠ وجرت العادة خلال شهر رمضان فى مالى أن يحضر أمراء السلطان الى قصره ليفطروا به ، ولكن على كل أمير أن يحضر طعامه معه من منزله (٥) .

على أن الغريب حقا ، هو سطحية الفهم للدين الاسلامى وأحكامه، بدليل مارواه العمرى والقلقشندى عن تقليد اشتهر فى مالى :

« من عادة أهل مملكته ، أنه اذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء ، قدمها له أمة موطوءة ، فيملكها بغير تزويج ، مثل ملك اليمن » ٠ وقد سأل ابن أمير حاجب ، السلطان موسى فى ذلك ، وقال له : ان هذا لا يحل لمسلم شرعا ٠ فقال موسى : ولا للملوك ؟

---

(١) لعله الشقراق ، وهو طائر مرقط بحمرة وخضرة وبياض (عن المهذب) ٠
(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤١٣ – ٤١٤ ٠
(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٤ ٠
(٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠١ ٠
(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٢٤ ٠

أجابه : ولا للملوك وارسال العلماء . فقال الملك : والله ما كنت أعلم ذلك (١) .

وعن أبي عبد الله بن خديجة الكومى (٢) بصدد حديثه عن مانسا موسى : « والذى يحمل آلته وحربته من الوصائف اثنتا عشر ألف لابسات أقبية الديباج والحرير اليمانى » (٣) .

* * *

وقد لاحظ ابن بطوطة خلال رحلته فى مالى ، أن الاختلاط بين الجنسين أمر مألوف ، وأنه في بعض البلاد تسمو مكانة المرأة عن مكانة الرجل ، ومن أقواله بصدد أهل ايوالاتن ، وأغلب سكانها من قبيلة مسوفة البربرية ، وكان قد مكث بها خمسين يوما عام ٧٥٣ هـ ــ ١٣٥٢م :

« ولنسائهم الجمال الفائق ، وهى أعظم شأنا من الرجال » (٤) ،

ثم قال :

« وشأن هؤلاء القوم عجيب ، وأمرهم غريب ، فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ، ولا ينسب أحدهم الى أبيه ، بل ينسب لخاله ، ولا يرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه ، وذلك شىء ما رأيته فى الدنيا الا عند كفار بلاد المليبار من الهنود ، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن ، وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن ، مع مواظبتهم على الصلوات ، ومن أراد التزوج منهن تزوج ، لكنهن لا يسافرن مع الزوج ، ولو أرادت احداهن ذلك لمنعها أهلها ، والنساء هناك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب ، وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات ، ويدخل أحدهم داره ، فيجد امرأته ومعها صاحبها ، فلا ينكر ذلك (٥) » .

ويروى ابن بطوطة بعض الحوادث ، مثل دخوله على قاضى ايوالاتن ، فوجد معه امرأة أجنبية ، ودخل مرة على أبى محمد سندكان المسوفى ،

---

(١) مسالك الأبصار ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٦ .

(٢) الكومى هذا من ولد عبد المؤمن ، كان يدعو فى المغرب للمهدى المنتظر من آل على بن ابى طالب ، وقد لقى مانسا موسى فى طريق عودته من الحج وطلب منه المساعدة ضد أعدائه ( العبر ج ٦ ص ٢٠٠ ) .

(٣) العبر ج ٦ ص ٢٠١ .

(٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٧ .

(٥) تحفة النظار ج ٤ ص ٣٨٧ ــ ٣٨٩ .

وكان قد قدم صحبته ، فوجد مع امرأته صاحبها ، فلامه ولم يزره بعد ذلك (١) .

وفى العاصمة مالى ، شهد ابن بطوطة الخدم والجوارى يظهرن عرايا ، قال :

« ولقد كنت أرى فى رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة ، فان عادة الفرارية ، أن يفطروا بدار السلطان ، ويأتى كل واحد منهم بطعامه ، تحمله العشرون فمن فوقهن من جواريه وهن عرايا (٢) » .

ومما أوجب تقززه ، أن كثيرا من أهل مالى يأكلون الجيف والكلاب والحمير (٣) . وفى هذا دليل على مدى البون الشاسع بين الطبقة الحاكمة وأعوانها ، وما فيه من نعمة وترف ، وبين ما عليه الطبقات الدنيا من عوز وحاجة .

وأما الأزياء فى مالى ، فالغالب فى أكثر بلادها الملابس المصرية ، وهذه لا تتوفر الا لذوى اليسار ، كما فى ايوالاتن ومالى ، وفى بعض البلاد يلبس عامة الناس الجلود ، ويلبس الخاصة الاكسية والأزر كما فى جاو ، وفى تكرور تلبس العمامة الصوف ، وعن الدكالى أن أهل مالى عامة : لباسهم عمائم بحنك مثل العرب ، وقماشهم بياض من ثياب قطن ينسج عندهم فى غاية الرقة واللطف ، وتسمى « الكميصا » ، ولبسهم شبيه بلبس المغاربة : جباب ودرايع بلا تفريج » (٤) ، ويلبس الفقهاء منهم عمامة على نسق العمامة الشرقية ، مع ترك عذبة تتدلى على ظهره (٥) .

وفيما يتعلق بزى وحلية رجال الجيش ، يقول الدكالى : ان الأبطال من فرسانهم « تلبس أساور من ذهب ، فمن زادت فروسيته لبس معها أطواقا من ذهب ، فان زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب ، وكلما زادت فروسية البطل ، ألبسه الملك سراويل متسعة ، ويزاد فى كبر سراويله بزيادة فروسيته ، وسراويلهم ضيقة أكمام الساقين ، متسعة الشرج (٦) .

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

(٢) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٢٤ .

(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٢٤ .

(٤) نزهة المشتاق ص ١١ ـ ١٢ ، تحفة النظار جـ ٤ ص ٣٨٧ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٩ .

(٥) Blyden, pp. 2-6.

(٦) مسالك الأبصار جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٩ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٩ .

ـ هـ ـ

## العلاقات الخارجية

**شهرة مالى فى الخارج ـ اهتمام أوربا وظهور مالى زمن كنكن موسى فى خرائط العالم ـ الصلات مع الجيران الافريقيين : الصوصو ـ جنى ـ صنغى ـ الطوارق ـ موش ـ الفولانيون ـ العلاقات مع دول المغرب ـ العلاقات مع مصر : الصلات القديمة ـ أهمية موقع مصر ومركزها الدينى والسياسى والثقافى ـ شـواهد حية على قدم العلاقة ـ العلاقات التجارية والثقافية ـ الصيغ الخاصة فى الدواوين المملوكية لمخاطبة ملوك مالى ـ العلاقة مع الدول الأوربية ٠**

---

ان التوسع العظيم فى تجارة مالى ونشاطها زمن كنكن موسى ، بصفة خاصة ، يعزى الى نشاط هذا السلطان وسعيه الدائب فى دعم العلاقات الخارجية وتنميتها ، ويعتبر مانسا موسى أول من حطم الستار الحديدى ، وهو حاجز اللون والتفرقة العنصرية ، فيما نسميه حديثا ، حتى وصف السلطان موسى بأنه « صديق البيض » (١) ٠

ثم ان شهرة كنكن موسى ، وموكب حجـة الاسطورى الذى بهـر أوربا ، وكانت حافزا قويا لدفع أوربا على التفكير الجدى فى معرفة قلب أفريقية والوصول اليه ، حيث الذهب والثروات الأسـطورية ، ووضح هذا فى خرائط العالم Mappae Mundi التى صدرت فى أوربا منذ القرن

---

(١) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٩ ،

Davidson, p. 90 ; Okafor, p. 28 ; Hogben, p. 32 ; Bovill, p. 91

الرابع عشر الميلادى (١) ، وكان هذا التفكير وهذه المحاولة ، بجوانب عوامل أوربية محلية أخرى ، هى التى انتهت بحركة الكشف الجغرافى وما أعقبها من حركة استعمارية كبرى فى أفريقية .

حقيقة حال المسلمون من تجـــار العرب والبربر دون اتصال أوربا المسيحية بقلب افريقية اتصالا مباشرا ، لأسباب دينية وتجارية ، ولكن هـــذه الحيلولة لا تعنى انعزال قلب افريقية تجـــاريا عن العالم الأوربى المسيحى ، هذا مع بقاء ونمو الاتصال المباشر بين هذا الجزء من القارة وبين العالم الاسلامى ، بما فيه اسبانيا الاسلامية فى أوربا .

❋❋❋

كانت علاقة مالى بالدول الافريقية المجاورة تجارية فى أساسها ، عمادها تبادل المنفعة ، ولكن وجدت العــــلاقات الســــياسية والحربية ، وأساسها مطامع مالى فى التوسع الحربى على حساب جيرانهـــا ، ونشر الدين الإسلامى بين الوثنيين .

بدأت مالى فى فجر تاريخها ، بالاصطدام مع امبراطورية الصوصو الوثنية ، وهذه حطمتها زمن مارى جاطه وضمت أملاكها ، كما ضـــمت ما تبقى من أملاك امبراطورية غانة الاسلامية (٢) .

ومن الممالك الهامة ذات العلاقات التجارية والثقافية مع مالى ، مملكة جنى ، وهذه وان فشلت مالى فى اخضاعها وضمها الى أملاكها (٣) ، الا أنها لم تكن منعزلة عن مالى ، ولا سيما أن ملوك جنى كانوا من أبناء عمومة الماندنجو ملوك مالى ، وكانت جنى من الممالك المزدهرة تجـــاريا وثقافيـــا (٤) .

أما صنغى ، فكانت زمن ازدهار مالى دويلة خاضعة لها ، حتى اذا قويت تدريجيا ، جاء أول صدام لها مع مالى ، بل كان خطر صنغى أبرز الأخطار التى أحدقت بمالى من بعد عصر السلطان كنكن موسى ، وبسبب

---

(١) البرتغاليون فى غرب افريقية للمؤلف ص ١٦ وما بعدها Bovill, p. 91 ، راجع الفصل الرابع .

(٢) راجع الفصل الاول .

(٣) راجع الفصل الرابع .

(٤) السعدى ص ١٢ - ١٥

خطر صنغى على مالى خـــلال النصيف الثـــانى من القرن الخامس عشر الميلادى ، كانت استغاثات مالى بالعثمانيين والبرتغاليين (١) ٠

وهناك الطوارق وموش والفولانيون ، فأما الطوارق ، فقد أكثروا من غزو مالى ، وانتزعوا منها مدينة تنبكت وتحـــكموا فيها نحو أربعين سنة ( ١٤٣٣ ــ ١٤٦٨ م ) ، ولم تنجح مالى فى استردادها منهم ، حتى تمكنت صنغى من ابادتهم (٢) ٠

وأما قبائل موش ، فلم يقلوا عن الطوارق خطرا على مالى ، ولما كانوا على الوثنية ، فانهم قاوموا جميع الدول الاسلامية الافريقية المجاورة ، ولم يخضد شوكتهم سوى صنغى ٠

وفى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، بدا خطر الفولانيين على مالى ، وبســـبب الضغط الفـــولانى وأحلافهم من التكاررة ، استغاثت مالى مرة أخرى بالبرتغاليين عام ١٥٣٤ م (٣) ٠

على أن هذا الصراع المستمر والمتقطع ، لم يحل دون التبـــادل التجارى حتى مع البلاد الوثنية جنوب مالى ، أو بلاد الكفار ، على قول ابن بطوطة ، وقد وصلت متاجر مالى الى امبراطورية البرنو الاسلامية (٤) ٠

ولعل أهم العلاقات التجارية والثقافية والسياسية ، ما قام بين مالى ودول المغرب ومصر ، فقد وفد المغاربة على مالى وجميـــع بلاد السودان الاوسط والغربى بأعداد ضخمة للتجارة ولنشر الثقافة العربية الإسلامية ، وكثيرا ما أوفد ملوك السفارات لتدعيم هذه العلاقات ، منها ســـفارة بعث بها كنكن موسى عام ١٣٣٧ لتهنئة السلطان أبى الحسن ملك مراكش من بنى مرين بمناسبة فتحه تلمسان ، وسفارة جاءت الى مالى زمن منسا مغا ابن منسا موسى ، ردا على السفارة السابقة ، ثم كانت رحلة ابن بطوطة

(١) راجع الفصل السادس وانظر :
Spitz, p. 64; Fage, p. 27; Labouret, p. 241; Johnston, p. 118; Bovill, p. 105

(٢) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، راجع الفصل السادس وانظر : السعدى ص ١٤ ــ ١٥ ،
Le Chatelier, p. 88; Reeve, p. 33; Gouilly, p. 57; L. Lugard, p. 175.

(٣) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، راجع الفصل السادس ٠

(٤) امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ، انظر : تحفة النظار ج ٤ ص ٤٤١ ــ ٤٤٢ ،
Yver, Bornu (Encyc. of Islam, Vol. I), pp. 751-752

زمن مانسا سليمان ، وكان فى الواقع سفيرا من قبل السلطان أبى عنان فارس سلطان مراكش (١) ٠

وبالنسبة الى مصر ، هناك العلاقات التجارية والثقافية والصداقة التقليدية بين مصر ومالى ، وقد توطدت هذه الصداقة ودعمت بصفة خاصة ، منذ حج السلطان كنكن موسى عام ١٣٢٤ م زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٠

ولكن علاقة مصر ببلاد غربى افريقية قديمة ، ترجع الى ما قبل الميلاد ببضعة قرون ، حتى ان الكثير من النباتات والحيوانات والصناعات ، وصل من مصر الى جميع بلاد غربى افريقية ، بما فيه مالى ٠

يقول جونستون Johnston

« ان أول تيارات الحضارة وصل من مصر الى جميع بلاد افريقية السوداء جنوبى الصحراء الكبرى ، من ذلك : بناء القوارب واستعمال اللبن فى البناء ، وهو مرحلة متقدمة ، والأسلحة الحديدية من دروع ورماح وبلط وقسى » ويضيف جونستون : « ان قبائل التيبو أو التدا Tibu or Ted هى التى أدخلت الصناعات الحديدية والاسلحة الى افريقية الزنجية ، نقلا عن مصر » (٢) ٠

فاذا كانت هذه الصلة مع مصر ، ترجع الى أقدم العصور ، فليس من شك ، فى أنها ازدادت منذ العصر الاسلامى ، ولا سيما أن مصر كانت من بين المنابع التى جاء منها الاسلام الى غربى افريقية (٣) ، فضلا على أنها فى طريق الحج ، وكانت الأراضى المقدسة الاسلامية تحت نفوذ سلاطين مصر ، فضلا على أن مصر كانت مركز الخلافة الاسلامية ،

كان حجاج مالى وغيرها من الملوك والرعايا المسلمين يمرون بمصر فى طريق سفرهم وعودتهم من الحج ، وكانوا يلقون التكريم والترحيب والعون من أولى الأمر فيها ، ومن ملوك مالى المعروفين ، والذين مروا بمصر خلال حجهم : برمندانة ومنسا ولى بن مارى جاطة الاول وساكوره ثم كنكن موسى ومن بعده سليمان وغيره ٠

---

(١) راجع ما سبق وانظر :
Spitz, p. 62 ; Hogben, p, 32 ; Bovill, p. 93 ; Gouilly, p. 55 ; L. Lugard, p. 127 ; Le Chatelier, p. 81.

(٢) Johnston, pp. 15-20 ، انظر كذلك : Davidson, pp. 70-73

(٣) الاسلام واللغة العربية فى السودان الأوسط والغربى للمؤلف ص ٩ وما يليها

ولعل أبرز الدلائل الحية الباقية الى اليوم ، تلك المعالم التى مازالت بالقاهرة ، وتنبىء عن الصلات القوية المستمرة عبر العصور بين مصر وبلاد غربى افريقية ، مثل « حى بولاق الدكرور » المحرفة عن التكرور ، وينسب الى أحد صلحاء التكارزة (١) الذين دفنوا فى مصر وهو : الشيخ الصالح أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى ، المعاصر للخليفة العزيز الفاطمى ( سنة ٣٨٦ هـ ــ ٩٩٦ م ) ، كما أن تخصيص رواق للتكارزة ، من أروقة الأزهر ، لهو شاهد حى على مدى ما لقيه مسلمو غربى افريقية وطلاق العلم من ترحيب ، وهذا بجانب انشاء « مدرسة ابن رشيق » (٢) فى فسطاط مصر ( بخط حمام الريش ) وهى المدرسة التى أنشأها حجاج التكارزة على نفقتهم الخاصة ، لتدريس الفقه المالكى وللاقامة فيها عند مرورهم بمصر (٣) ٠ كل هذه شواهد تدل على مدى قوة الرابطة الصلات بين مصر وغربى افريقية المسلم ٠

ازدادت الصلات بمرور الزمن ، وتضخم حجم التجارة ، حتى قيل ان قافلة خرجت من مالى الى مصر ، كان قوامها اثنى عشر ألف جمل (٤) ، وبجانب الصلات الثقافية والدينية ، كان من بين السلع الهامة التى تستوردها مالى من مصر : الثياب الحسان ، فى نظير الذهب والنحاس المستورد من مالى (٥) ٠

وأقام فى مالى عدد كبير من التجار والفقهاء والعلماء ، حتى الطبيب الذى عالج ابن بطوطة ، وهو فى مالى ، كان مصريا (٦) ٠

ونظرا لكثرة العلاقات وتوثقها بين مصر ومالى ، أضحى فى الدواوين

---

(١) ليس من الضرورى أن يكون هذا الشيخ الصالح من مدينة تكرور أو اقليم تكرور الواقع فى حوض السنغال الأدنى ، والذى خضع لسلطان مالى ، ولكن جرى العرف فى مصر وفى البلاد الشرقية الاسلامية أن تطلق كلمة تكرور ويقصد بها كل من جاء من غربى افريقية ، مع شهرة اقليم تكرور نفسه بالاسلام منذ زمن مبكر ٠ ( راجع الفصل الأول ) ٠

(٢) نسبت المدرسة لابن رشيق وهو القاضى علم الدين بن رشيد الذى عهد اليه ببناء المدرسة والتدريس فيها ، وكان بناء المدرسة فى سنة بضع وأربعين وستمائة من الهجرة ، أى فى أواخر عهد الدولة الأيوبية ، وأوائل عهد أسرة كيتا الحاكمة فى مالى ( خطط جـ٢ ص ١٧١ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨١ ، المسالك جـ ٢ ق ٣ ورقة ٤٩٢ ) ٠

(٣) خطط جـ ٢ ص ١٧١ ٠

(٤) راجع ما سبق ٠

(٥) راجع ما سبق ٠

(٦) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٢٣ ، راجع الفصل الخامس ٠

المصرية زمن سلاطين المماليك ، صيغ خاصة لمخاطبة ملوك مالى ، وهــذه معدة في ديوان الانشاء ، تصدير بها المكاتبات الرسمية ، منها :

« أدام الله نصر المقر العالى السلطان الجليل الكبير العالم العادل ، المجاهد المؤيد الأوحد ، عز الاســلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الخلافة ، ظهير الامامة ، عضد أمير المؤمنين ، الملك فلان ... »

ويدعى له بما يناسب المقام ، وبعد هذا سلام وتشــوق (١) . وهنــاك صيغة معينة للدعاء ، لابد من استيفائها فى المكاتبات الى ملوك مالى ، منهــا :

« ويسر له القيام بفرضه ، وأحسن له المعاملة فى قرضه ، وكثر سواده الأعظم ، وجعلهم بيض الوجوه يوم غرضه ، ومتعه بملك يجــد الجديد سجف سمائه والذهب نبات أرضه ، صــدرت هذه المفاوضة ، وصدرها به مملو ، وشكرها عليه مجلو ، ومزايا حبه فى القلوب من كل فؤاد ، وسبب ما حلى به الطرف والقلب من السواد ، تنزل به ســفنها المسيرة فى البر وترسى ، وتحل عند ملك ينقص به رائدة ، وينسى موسى منسى وتقيم عليه ، والدهر لا يطرقه فيما ينوب ، والفكر لايشوقه الا اذا هبت صبا من أرضه أو جنوب » (٢) .

***

وفيما يتعلق بالدول الاوربية ، لم تكن هناك علاقة مباشرة معها ، حقيقة وجد التبادل التجارى بين مالى وأوربا ، ولكن عن طريق التجــار المسلمين من العرب والبربر ، ولم يحدث الاتصال المباشر الا عندما بدأ البرتغاليون الكشف الجغرافى فى افريقية ، وتبودلت السفارات بين بلاط مالى وبين البرتغاليين .

---

(١) العمرى : التعريف ص ٢٨ .

(٢) التعريف ص ٢٨ .

# خاتمة

## ( أ ) ظهور البامباره
## على أنقاض مالى وصنغى

**اسطورة الأخوين كولوبالى ـ دولة سيجوز من بيتون كولوبالى ـ اصطدامها ببقايا مالى زمن ماما غان كيتا ـ نهاية دولة سيجو على أيدى التكارره عام ١٨٦١م ـ دولة كا أرتا المنافسة ـ شهرتها وتوسعها زمن الماسا أبى بكر ـ نهايتها على أيدى التكارره ـ ظهور سامورى التورى من البامباره وتوحيد صفوف الماندنجو ـ كفاحه ضد الاستعمار الفرنسى ووفاته عام ١٩٠٠م .**

---

على أثر تدهور دولة مالى ، نهض فرع من فروع الماندنجو فى القرن السابع عشر الميلادى ، وهو فرع البامباره ، ونجح هذا الفرع فى تأسيس مملكتين متنافستين ، وذلك على أنقاض مالى وصنغى الدائلتين .

وقبائل البامباره أهم مجموعة من مجموعة الشعوب المتكلمة بلغة الماند ، انتشرت فى وديان النيجر وفرعه الأعلى بانى منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وكانت تكون جزءا من دولة مالى . وبعد الهزائم المتلاحقة التى لقيتها مالى على أيدى امبراطورية صنغى ، نجح البامباره فى تكوين دويلة حول مدينة سيجو على النيجر الأعلى ، وصارت هذه الدويلة امبراطورية قوية فى القرن السابع عشر (١) .

---

(١) Le Chatelier, pp. 88-93

وفى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى ، كانت السيادة فى السودان الغربى موزعة بين أربع دول قوية : دولة التكاررة فى فوتا فى الغرب ، ويليها من ناحية الشرق دولتا البامباره فى سيجو وكاأرتا ، ثم دولة الفولانيين فى ماسنة فى حوض النيجر (١) وفى بلاد الهوسا ، على أن أعظم هذه الدول وأقواها هما دولتا البامباره (٢) .

وتبعا للأساطير المحلية ، كان البامباره بزعامة أخوين هما : برامانجولو Bramangolo ونيانجولو Niangolo ، هرب هذان الأخوان أمام خصومهما ، وقفذا فى النهر حيث أنقذتهما سمكة وحملتهما الى الشاطىء الآخر ، وتخليدا لهذه النجاة ألحق كل من الأخوين لقبا باسمه هو : كولوبالى Kulu Bali ، ومعناه : الناجون دون استخدام زوارق (٣) .

ومثل هذه الأساطير ، كثيرا ما تقترن بمؤسسى الدول ، اذا اشتهر أمرهم فيما بعد ، والثابت تاريخيا أن سلالة الأخ الأول وهو برامانجولو ، نجحوا فى تأسيس دولة فى سيجو ، وخضعت هذه الدولة فترة من الزمن لسيادة باشوات تنبكت ودفعت لهم الجزية (٤) ، وفى زمن بيتون كولوبالى ( ١٦٦٠ ــ ١٧١٠ م ) اتسعت دولة سيجو وتخلصت من سيادة تنبكت ، بل نجحت سيجو فى فرض جزية على باشوات تنبكت ، الذين اشتهروا باسم الأرما Arma ، وهم المولدون من اب من البربر وأم زنجية (٥) ، كان خضوع الأرما لحكام سيجو فى عام ١٦٧٠ م (٦) .

امتدت دولة سيجو فى تلك الفترة فى وديان النيجر من كانجابا من الماندنجوا ، جنوبا الى تنبكت والى الصحراء شمالا ، بل صارت سيجو ملجأ للفارسين من مراكز ، فقد حدث أن لجأ اليها على بن حيدر خوفا من بطش شريف مراكش (٧) .

---

(١) امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف ، Fage, p. 144

(٢) Fage, p. 144

(٣) Labouret, p. 241

(٤) Le Chatelier, p. 88 ; Rouch, Les Songhay, p. 10 ; Fage, p. 32

(٥) كلمة الأرما تحريف محلى للكلمة العربية «رامى أورماه» ( انظر معجم الألفاظ الاصطلاحية بالملاحق وراجع :

(٦) Marty, Etudes sur l'Islam et les Tribus du Soudan, T. II, pp. 6-7 ; Rouch, op. cit., p. 4 ; Gouilly, pp. 63-64 ; Johnston, p. 68 ).

(٧) Fage, p. 147 ; Bovill, p. 175 ; Gouilly, p. 64 Labouret, p. 141 ; Bovill, p. 176

ونجح بيتون كولوبالى فى طرد مانسا مالى المعاصر عن عاصمته فى العام نفســه الذى خضعت له فيه تنبكت (١٦٧٠م) ، واسم مانسا ما الى هذا : ماما مغان كيتا (١) . جاء فى حكم سيجو بعد وفاة بيتون كولوبالى، ابنــة دنكورو Denkoro ( ١٧١١ ـ ١٧٣٦ م ) ، وفى عهده وقعت فتن واضطرابات فى سيجو ، أدت الى انتقال العرش الى أسرة جديدة من البامبارة هى أسرة ديارا Diara ، وذلك عام ١٧٥٠ م .

جاءت نهاية دولة ســـيجو فى عام ١٨٦١ م على أيدى الحاج عمر سلطان التكارره فى فوتا ، حين قاوم الفرنسيون توســـعه فى الغرب ، فاتجه شرقا وقضى على دولة ســـيجو (٢) .

أما سلالة الأخ الثانى وهو ينانجو لوكوبالى ، فأسسوا لهم دولة فى منطقـــة كاآرتا Kaarta ، شمالى نهر باخوى أحـــد فروع السنغال ، وذلك عندما رفضـــوا سيادة دولة سيجو ، ودب صراع بين الدولتين خلال القرن الثامن عشر ، كانت الغلبة فيه لدولة سيجو (٣).

اشتهر حكام كاأرتا بلقب « مساسى » Massassi ويقابل لقب « مانسا » فى مالى ، ومعنى لقب حكام كاأرتا الحـــرفى « الفـــرع الملكى أو الســـلالة الملكيـــة » (٤) .

ومن ملوك كاأرتا المشهورين الماسا أبو بكر ، الذى نجح فى توسيع مملكة باضافة أقاليم : كنجوى Kingui وباكونو Bekunu وجـــــوديوم Guidiume ودياقونو Diafunu ، ومن خلفاء أبى بكر : الماسا بسكورو Bessekovo وهو الذى أســـتقبل المكتشف منجو بارك عام ١٧٩٦ م فى مدينة جويمو Guemu (٥) .

وآخر سلطان للبامباره من سلالة هؤلاء الملوك ، السلطان كانديان Kandian ، ومركز حكمه فى مدينة نيورو ، غربى كومبى صالح عاصمة غانه القـــديمة ، وقد تعـــرض بدوره لغزو الحـــاج عمـــر الذى نجح فى القضـــاء على جميع أفراد الأسرة المالكة عام ١٨٦٠ م ، أى قبـــل

(١) Spitz, p. 63 ; Labouret, p. 203

(٢) Fage, p. 148 ; Gouilly, pp. 64,74 ; Labouret, p. 241

(٣) Fage, p. 146 ; Gouilly, p. 64

(٤) Labouret, p. 242

(٥) Hobbey, pp. 22-23 ; Vandeleur, p. 149 ; Rouch, p. 11 ; Johnston, pp. 304-305 ; Labouret, p. 242 ; Bovill, p. 132.

نهاية سيجو نسـبة واحدة . وحاول الحاج عمر أن يتعقب الفارين من كاأرتا ، وقد اسـتعد هؤلاء لمقاومته الا أن الفرنسـيين حالوا دون تقـدمه (١) .

وبعد هذه الأحداث وزوال دولتى البامباره فى سـيجو وكاأرتا ، ظل الماندنجو منقسـمين مفرقين ، حتى ظهر بينهم زعيم قـوى فى عام ١٨٦٠ م ، هوسـاموري التـورى Samari Turé فى اقلـيم وسولو Wassulu ، وسرعـان ما أصـبح سـلطانا فى منطقـة بيساندوجو Bissandugu ، ورغم أنـه أمى ، الا أنه أثبت مقـدرة وكفاءة (٢) ، اذ استطاع خـلال عشرين سنة (١٨٧٠ - ١٨٩٠ م) أن يبسط نفذه على جميع فروع الماندنجو وأن يوحد صـفوفهم ، وكانوا مبعثرين جنوبى دولة التكارره .

اتخـذ سـاموري التـورى لقب « امـام » Alimami (٣)، وتصدى لكفاح الاستعمار الفرنسى ستة عشر عاما ( ١٨٨٢ - ١٨٩٨ م ) ولم يتقيد بشروط المعاهدة غير المتكافئه ، التى عقدها معه الفرنسـيون ، وظل يكافح الفرنسيين ، فدأهم الفرنسيون عاصمته بيساندوجو واحتلوها عام ١٨٩١ م ، كما احتلوا وسالو عام ١٨٩٣ م ومن بعدها سـيجو ثم تنبكت فى العالم التالى (٤) .

هرب ساموري التورى الى أعالى نهر فولتـا ، حيث دمر بعض المدن خلال الفترة من ١٨٩٤ الى ١٨٩٨ م ، مثل كونج وبنك Bonduku وبونا ، وأمام هذه المدينة الأخيرة أباد جيشا فرنسيا بقيادة الكابتن برولو Braulot ، وكان يقـود جيش ساموري ابنه سـارانتى Sarantie ويؤرخ لهذا النصر بعام ١٨٩٧ م .

---

(١) كان الفرنسيون تيو غلون من جزيرة جورى Gorée التى احتلوها عام ١٦٥٩ م، وهى أقدم مستعمرة فرنسية فى غربى افريقية ، وكذلك جزيرة سانت لويس عند مصب السنغال ، ومن هاتين الجزيرتين ، أخذوا يتوغلون تدريجيا فى حوضى السنغال والنيجر (Johnston, p. 179 ; Fage, p. 148)

(٢) ساموري التورى هو جد أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينية الاسـلامية الحديثة

(٣) Gouilly, pp. 47, 77 ; Labouret, p. 242 ; Fage, p. 149

(٤) كانت سيجو وتنبكت ونيورو وماسنه تابعه للحاج عمر الفوتى سلطان التكارره ( ت ١٨٦٤ م ) ، وكان أحمدو بن الحاج يحكم فى سيجو ، وانتقل الى نيورو ثم هرب الى ماسنه أمام الزحف الفرنسى عام ١٨٩١ م ، فتعقبه الفرنسيون الى أن هرب الى بلاد الهوس حيث مات عام ١٨٩٨ م (Rouch, p. 11 ; Fage, p. 148 ; Church, p. 238)

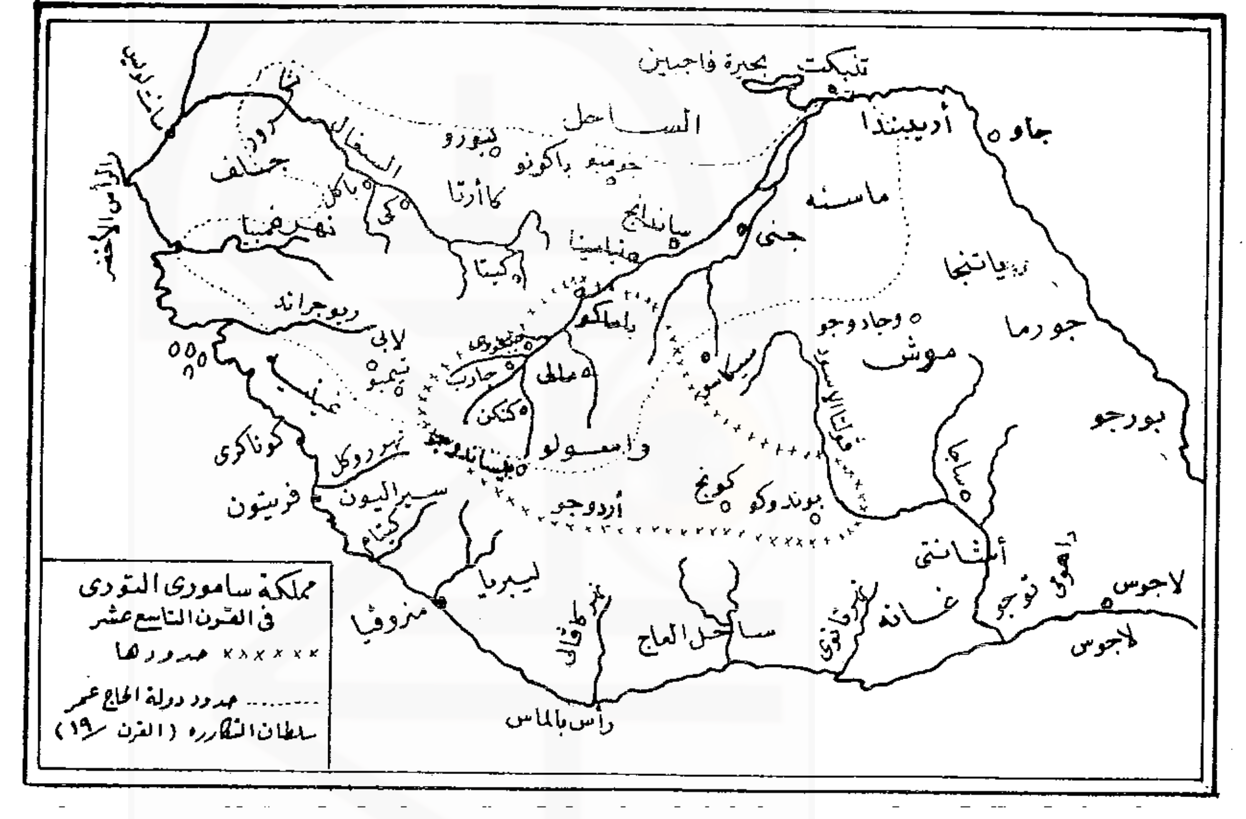
وأخيرا تمكن الفرنسيون من القبض عليه فى ٢٩ سبتمبر ١٨٩٨م فى مدينة جويلو مو Guelemu فى أعالى ساحل العاج ونفوه الى جابون حيث مات عام ١٩٠٠ م ، بعد أن بلغ الخامسة والستين من عمره ، وجرد الفرنسيون قواته من السلاح (١) .

وبعد هذا التاريخ ، لم نعد نسمع عن حوادث كبرى من جانب الماندنجو (٢) .

---

(١) ساموری التوری هذا هو جد أحمد سيكوتورى Sékou Touré رئيس جمهورية غينية الحديثة ، وغينية أول مستعمرة فرنسية تختار الاستقلال ، وعين أحمد سيكوتورى رئيسا لغينية المستقلة عام ١٩٥٨ م ثم انتخب رئيسا لجمهورية غينية عام ١٩٦١ م ، والعاصمة كونكرى ولا يزال الى اليوم (١٩٧٠) .

(٢) Hogben, p. 64 ; Labouret, p. 242 ; Fage, p. 156 ; Gouilly, pp. 80-82




بقايا مالي الممثلة في مملكة ساموري التوري

- ب -

## جمهورية مالى الحديثة

أما جمهورية مالى الحديثة ، فهى بعض دولة مالى الاسلامية وسميتها ووارثتها ، بالرغم من قلة مساحتها . استقلت هذه الجمهورية عام ١٩٦٠م ، وكانت تعرف قبل استقلالها باسم : « السودان الفرنسى » وأخذت اسم مالى بعد الاستقلال احياء للمجد القديم .

ومجمل التطور التاريخى لجمهورية مالى الحديثة ، أن المنطقة التى قامت فيها لا شك منطقة تاريخية ، عريقة فى التاريخ القومى الافريقى ، زارها الرحالة العرب مثل ابن حوقل فى القرن العاشر الميلادى وابن بطوطة فى القرن الرابع عشر وليـــو الافريقى فى القرن السادس عشر . وفى العصور الحديثة زارها رحالة غربيون منهم : منجو بارك (١٧٩٥ ـ ١٧٩٧، ١٨٠٥ م ) ورينى كايى Réné Caille ( ١٨٢٧ ) وبارث ( ١٨٥٠ ـ ١٨٥٥ ) .

وقد امتد الاســـتعمار الفرنسى لهـذه المنطقة من جزيرتى جورى وسانت لويس منـذ عام ١٦٥٩ م ، فأخـذوا يرسلون البعثات الى بامبوك فى الداخل بحثا عن الذهب والصمغ ، خلال السنوات : ١٧٣٠ ، ١٧٣١، ١٧٥٦ ، ١٨٢٤ ؛ وتكررت البعثات والحملات الحربية حتى وصـلوا الى سيجو على النيجر عام ١٨٦٦ م ، وأكثروا من بناء الحصون على السنغال والنيجر فى الفترة ما بين ١٨٧٩ ، ١٨٨١ م ، ثم مدوا خطـا حديديا ، افتتحوه عام ١٩٠٤ م ، وفى ذلك العام كانت هذه المنطقة قد أصـــبحت مستعمرة فرنسية .

اشتعلت الحركات الوطنية ، وتزعمهـا بعض أفراد أسرة كيتـا، فقد كان يمثل هذه الأسرة ، قبل عهد الاســـتقلال بعض الشـــخصيات

البارزه ، التى تولت الحكم فى بعض الولايات خلال عهد الاستعمار ، واستمر الكفاح حتى ظفرت البلاد باستقلالها .

وأول رئيس لجمهورية مالى الحديثة هو موديبو كيتا Modibo Keïta سليل أسرة كيتا التاريخية ، انتخب رئيسا لاتحاد مالى المكون من مالى والسنغال منذ تكوينه فى يناير ١٩٥٩ ، ثم رئيسا لحكومة الاتحاد فى ابريل ١٩٥٩ م ، ولم يدم الاتحاد طويلا لخلافات جوهرية بين عضوتى الاتحاد . وانتخب مديبو كيتا رئيسا لجمهورية مالى بالاجماع فى يناير ١٩٦١ .

وفى ١٩ نوفمبر من عام ١٩٦٨ م ، إنتهت مدة رياسة مديبو كيتا ، بعد تنحيته ، وتولى الملازم موسى تراورى أو تراءور رياسة الجمهورية ، ولقبه الرسمى « الملازم موسى تراورى رئيس اللجنة العسكرية للتحرر الوطنى ورئيس دولة مالى » .

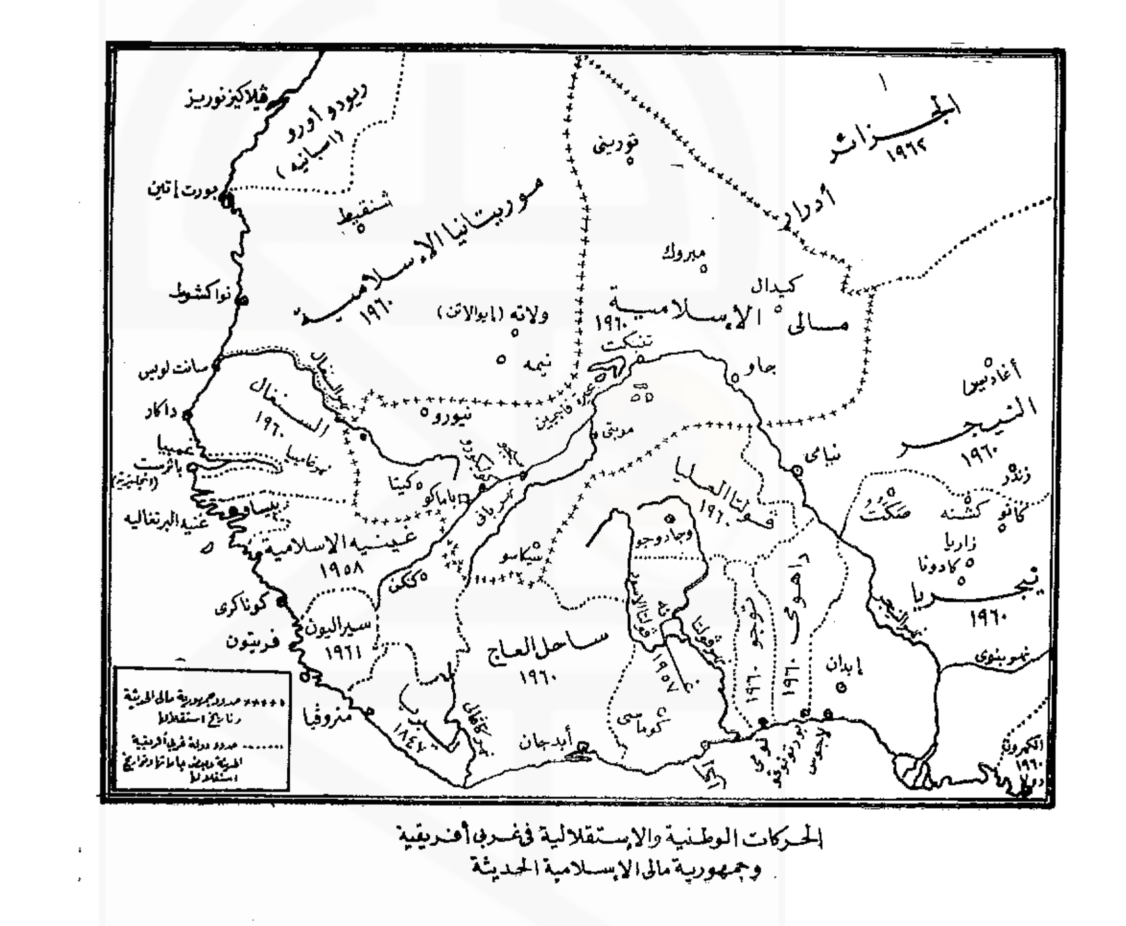
ويبدو من لقبه ، أنه قد يكون سليلا للأسرة المالكة التى حكمت مالى قبل أسرة الكوناتيين السابقة على حكم أسرة كيتا .

وعاصمة جمهورية مالى باماكو على النيجر ، وليس لها منفذ على البحر ، فاستخدمت داكار عاصمة السنغال زمن الاتحاد ، ثم أضحت حاليا تستخدم ابيدجان Abidjan عاصمة جمهورية ساحل العاج(١) .

---

(١) د. محمد حسنين : الاستعمار الفرنسى ( مصر ١٩٦٢ ) ص ٨٣ – ٨٧ ، ١٠٠ ، مقررات مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز المنعقدة فى القاهرة ١٩٦٤ ،

Vandeleur, p. 149 ; Johnston, pp. 178-179, 204-205, 209, 238 ; Gouilly, p. 56 ; Stamp, p. 273 ; Rouch, p. 11 ; Trimingham, pp. 14-15 ; Church, pp. 177-179, 237-254 ; Kitchen, pp. 493-501.



الحركات الوطنية والاستقلالية في غرب أفريقية
وجمهورية مالى الإسلامية الحديثة



# الملاحق

## معجم بالألفاظ والمصطلحات

( أ ) ألفاظ ومصطلحات

( ب ) الأثر اللغوى العربى والاسلامى عند الماندنجو
وجيرانهم فى غربى افريقية

## معجم بالألفاظ والمصطلحات

### ( أ ) ألفاظ ومصطلحات

**أسكيا وأسكى :** لقب الأسرة الثانية فى حكم امبراطورية صنغى الاسلامية ، وأول من لقب به محمد أبو بكر الطورى وزير سن على وقائد جيشه . وقد انتزع الطورى العرش من سلالة سن على عام ١٤٩٣ م ، وعندما بلغ هذا الخبر بنات سن على، صحن : أسكيا، يقول السعدى : ومعناه فى كلامهم : لا يكون اياه . أى المغتصب ، ولكن السطورى احتفظ بهذا اللقب هو وخلفاؤه من بعده ، فصارت أسرتهم تعرف باسم أسرة الأساكى (١) .

**الأرما :** هم سلالة الفاتحين المراكشيين من المغاربه ونساء الارستقراطية المحلية فى السودان الغربى ، وقد صارت لهم مميزات خاصة بمرور الزمن ، وصاروا أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد وانفصلوا عن مراكش . وهذه الكلمة محرفه عن الكلمة العربية « الرامى » من جنود المشاة المسلحين بالبنادق ، أو « الرماة » وهم حملة الرماح. ويشبه هذا الفريق « المولدين » فى أسبانيا الاسلامية من آب عربى أو بربرى مسلم وأم مسيحية ، كما يشبهون فريق « التركبول » Turcopuli الذين ظهروا خلال الحروب الصليبية فى الشرق الأوسط وهم المولدون من أب سورى وأم يونانية (٢) .

**الاكوى :** لقب موسى ديجيو جد سندياتا كيتا ، من أسرة كيتا الحاكمة فى

(١) السعدى ص ٧١ – ٧٢ ، الفتاش ص ١١ ، ١٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ .
L. Lugard, p. 171

(٢) Manty, pp. 6-7 ; Rouch, p. 4 ; Gouilly, pp. 63-64

مالى، تولى عرش مالى حوالى عام ١٢٠٠ م ، وقيل بصدد تفسير هذا اللقب بأن معناه : « الله خالق الكون » (١) .

**ألفا أو الفع** : اختصار للكلمة العربية « الفاهم » أو الفقيه وهو ما عرف به رجال العلم والأدب والمتعلمون عامة فى السودان الغربى ولا سيما فى مدينة تنبكت وجاو ، وتمتعت هذه الطبقة بمنزلة سامية ونفوذ كبير ، مثل القاضى الفع محمود كعت (٢) .

**أولى أو ( ولى )** : تحريف للكلمة العربية ( على ) ، يقول القلقشندى : ومعنى ولى ، على ، وعرف بهذا الاسم ولقا مارى جاطة (٣) .

**بنبى** : مصطبة ذات ثلاث درجات ، تقام تحت شجرة وعليها يجلس السلطان فى مالى للنظر فى شئون الرعية ، وتفرش بالحرير وتوضع عليها المخاد (٤) .

**بـو** : ضمير يدل على الملكية أو التبعية أو النسبة ، فى صيغة الجمع ، بلغة الكانم والبرنو ، والمفرد « ما » ، فيقال مثلا : الكانمبو أى سكان كانم (٥) .

**بـور** : بمعنى ملك بلغة الولوف أو الجلف ، ومنها : بور مالى أى ملك مالى (٦) .

**بولا** : هم طبقة العبيد المحررين فى مالى ، بلغة الماندنجو ، ولعب أفراد هذه الطبقة دورا كبيرا فى تاريخ دولة مالى ، ويقابلها طبقة الكوسا فى امبراطورية غانه ، ولهذه الطبقات قرائن فى تاريخ الامبراطورية الرومانية وفى تاريخ الدولة الاسلامية (٧) .

**تكرور وتكاررة** : والعامة تقول تكارنه ودكارنه . والتكاررة جماعة مختلطة من الزنوج تأثرت كثيرا بسبب الموجات المتتابعة من المهاجرين

---

(١) Monteil, pp. 58-59 ; Delafosse, pp. 19-20

(٢) القاضى الفع محمود كعت صاحب الفتاش ، انظر كذلك ص ٤٨ من كتاب الفتاش : Marty, p. 14

(٣) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ ، Monteil, p. 75

(٤) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٦ .

(٥) انظر « ما » فيما يلى وراجع : Carbou, pp. 3-4

(٦) Monteil, p. 145 ; Bovill, p. 120 ; Le Chatelier, p. 82

(٧) راجع الفصل الأول والفصل السابع وانظر : Monteil, pp. 22, 26, 56

والفاتحين ، وموطنهم حوض السنغال ، وليس لهذه الجماعة تسمية خاصة بها من قبل نفسها ، غير أن قبائل الجلف ( الولوف ) هى التى أطلقت عليها هذه التسمية : التيكولور أو التاكرور ، وليس للتكاررة لغة خاصة بهم ، لكنهم اتخذوا لغة الفولانيين أو الفلاتا ، حتى أطلقوا على أنفسهم « هال بولارن » Hal-Pularen أى الشعوب المتكلمة بلغة البول والبول تسمية أخرى للفولانيين . كذلك أطلقوا على أنفسهم . « فوتا نكوبى » Futankôbé أى « مواطنى فوتا » ، اشتقاقا من محل اقامتهم فى فوتا السنغالية ؛ ويطلق العرب والمشارقة عامة كلمة تكرور ويريدون بها كل من جاء من السودان الأوسط والغربى ، وعن ابن خلكان : أن أهل كانم بنو عم تكرور ، وأن تكرور اسم لأرضهم فسموا بها .

ويفسر بعض الكتاب أن كلمة تكرور معناها الحرفى اسود ، ويقول ياقوت الحموى عن التكاروه انهم « اشبه الناس بالزنوج » وليس من شك فى أن ياقوت يعنى كلمة التكاروه كل ما جاء من بلاد السودان الغربى والأوسط ، ومن التفسيرات الطريفة التى أوردها بعض الكتاب الانجليز أن كلمة تكرور تدل على اختلاط لونين Two-colours (١) .

**تلز :** بمعنى الحافد عند الماندنجو ، والحافد لغويا هو ولد الولد أو الصهر ، والحفدة كذلك الأعوان والخدم وقيل الأختان (٢) .

**دك :** ( نظر دوجو التالية ) .

**دوجو :** بمعنى قرية عند الماندنجو ، واشار السعدى اليها باسم « دك » وأراد بها « دار » أو محل اقامة السلطان ؛ وتقابل هذه الكلمة ما عرف عند الفولانيين باسم « رى » Ri ؛ وعند الكانورى ، تعنى كلمة دوجو ، حفيد الملك (٣) .

---

(١) معجم البلدان جـ ٢ ص ١٣٨ الفتاش ص ٢٤ — ٢٥ ، تعريف العشائر والنخلان بشعوب وقبائل الفلان ص ٤ ، انظر تاج العروس ،

Bovill, p. 84; Fage, p. 146; Trimingham, p. 13; L. Lugard, p. 115; Urvoy, p. 31; Delafosse, Takrur (Ency. of Islam), Vol. IV, p. 633, Gouilly, p. 209, Le Chatelier, p. 79, Monteil, p. 57

(٢) العبر جـ ٦ ص ٢٠٠ ، مختار الصحاح .

(٣) السعدى ص ٨ ، Palmer, The Bornu, p. 9; Monteil, p. 20, 151 امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف .

**دوجو تيجوى :** معناها عند الماندنج رئيس القرية أو مؤسسها، وهو سيد الأرض ، واختصاصه عندهم تقسيم أراضى القرية على سكانها ، ويعاون هذا الرئيس مجلس استشارى مكون من زعماء الأسر ، يطلق عليه بلغتهم « تون تيجوى » ، ومن مهام الدجوتيجوى كذلك ، فى العهد الوثنى ، تسلم الضرائب التى يدفعها أهل القرية للاله المحلى ولذلك يعتبر الكاهن الأعظم لهذا الاله وعليه أن يقوم بمساعدة المحتاجين من أهل القرية وتقديم الضيافة للقادمين ، ودفع الجزية المقررة على القرية للسلطان الأعلى الحاكم .

وجرت العادة عند الماندنجو أن ينتخب رئيس القرية بواسطة مجلس القرية ، ومن رؤساء القرى من يلقب كذلك ب : مانسا الماندنجو ، وهو اللقب الذى ساد عند ملوك مالى ، ويعنى السلطان (١) .

**ديانامًا :** بمعنى ولاية أو منطقة أو مملكة عند الماندنجو ، ويلقب حاكمها باسم « المانسا » أو « الماسا » ، واشتهر هذا اللقب الأخير عند البامباره ، احدى فروع الماندنجو (٢) .

**ديون :** عبد بلغة الماندنجو (٣) .

**ديون صندكى :** رئيس العبيد عند الماندنجو وكذلك الوزير ، ومن هؤلاء من اشتهر فقط بلقب « صندكى » ، ومنهم من وثب على عرش مالى مثل « صندكى » الذى تزوج من أم السلطان موسى الثانى من أسرة كيتا وتولى العرش فى مالى عام ٧٩١ هـ = ١٣٨٨ م (٤) .

**ساركن :** بمعنى ملك بلغة الهوسا ، ويقال ساركن السودان ، أى ملك السود ، ولا يزال هذا اللقب معروفا عند امراء كونتا جورا فى نيجريا الى اليوم ، ولقب عثمان دان فودى به كذلك فقتل ، « ساركن المسلمين » أى أمير المؤمنين (٥) .

---

(١) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ ، Monteil, pp. 20-22

(٢) راجع « كافو » فيما يلى وانظر : Monteil, p. 145

(٣) Monteil, p. 27

(٤) العبر جـ ٦ ص ٢٠٢ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ — ٢٩٨ ، راجع الفصل السادس Monteil, pp. 22, 25, 141, 149

(٥) دول الهوسا الاسلامية للمؤلف ، امبراطورية الفولانيين الاسلامية للمؤلف ، امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف ،
Fage, p. 35 ; Bovill, p. 99 ; Palmer, Memoirs, III, pp. 95-96, 135 ; L. Lugard, p. 245.

**سن** : بمعنى خليفة السلطان أو بدله أو عوضه عند الصنغى ، وقد الحق هذا اللقب بالملك على كولن مؤسس الأسرة الثانية فى حكم صنغى، وعرف باسم «سن الأول على كولن» واتخذ هذا اللقب من بعده ، وعرف هذا اللقب كذلك باسم « شى » ( بالشين ) ، فقال « شى عالى » أى سن على (١) .

**شاشيه** : لباس للرأس عند سلطان مالى ، ويصفه ابن بطوطة بأنه من ذهب ويشد بعصابة ذهب لها أطراف مثل السكاكين ، رقاق ، طولها أزيد من شبر (٢) .

**شى** : ( راجع سن ) .

**صنغى** : اسم اقليم يقع فى أواسط النيجر ، نسبة الى قبائل الصنغى ، ويعرفون بصور مختلفة منها : « سغى أو سنغى » ، وكذلك « سونرى » ، وتطلق البامباره عليهم اسم « كويروبورو » وتعنى بهذه التسمية « سكان القرى أو أهل الريف » .

وهناك من يقول ان الصنغى جاءوا أصلا من مصر ، وهم ميالون للسلم ، وأنهم سكنوا أولا فى أغادنس ، حيث وصلتهم هجرات جديدة من مصر زمن البطالمة والرومان، ومع هذه الهجرات وصلت حيوانات مستأنسة وفنون معمارية مصرية مثل البناء باللبن (٣) .

**طيلسان** : لباس للرأس عند أهل مالى، لا يلبسونه الا فى أيام العيدين باستثناء القاضى والخطيب والفقهاء ، فانهم يلبسونه فى سائر الأيام . والتفسير اللغوى : الطيلسان مفرد والجمع طيالسه ، وهو الأسود ، وهى لفظة فارسية معربة ، والأطلس الثوب الخلق ، والذئب الأمعط ، فى لونه غبرة الى السواد ، وكل ما كان على لونه، فهو أطلس (٤) .

**فـا** : لقب مؤسس الأسرة وزعيمها عند الماندنجو ، وهو لقب قديم يرجع

---

(١) السعدى ص ٢ ـ ٣ ، ٥ ـ ٦ ، الفتاش ص ٤٢ ـ ٤٤ ، ٦٢ ، راجع الفصل السادس .

(٢) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٦ : راجع الفصل السابع .

(٣) امبراطورية صنغى الاسلامية للمؤلف ، الفتاش ص ١١ ، ٤٤ ، السعدى ص ٢ ، Trimingham, pp. 15-16; Hogben, p. 41; Johnston, pp. 13-14; Le Chatelier, pp. 35-39; Rouch, Les Songhay, pp. 1-3.

(٤) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤١٠ ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح .

الى العهد الوثنى ، ويقال له كذلك « فايا » ، وله سلطة مطلقة على أسرته ، لكنه يستعين بمجلس مخصوص من أصفيائه من بين أعضاء الأسرة ، ويعد رئيس الخـدم وهو من العبيد أصـلا عضوا فى هذا المجلس •

وبعد وفاة الفا ، تقدم الأسرة له العباده ، وجميع ما يخلف من أملاك ، لاتقسم ، وتعتبر ملكا عاما للأسرة ، وأكبر أبناء الفا ، هو الذى يرثه فى اللقب ، ولكن بعد ترشيح مجلس الأسرة ، فاذا كان غير صالح لحمل هذا اللقب ، قرر مجلس الأسرة طرده ونفيه مع أبنائه ان كان له أبناء ، وينتخب غيره •

وهناك مجلس أقل عددا من المجلس المخصوص ، ويتكون عادة من أقرب المقربين للفا • وكثيرا ما وقع الصراع والتنافس بين المجلسين• ونظام الأسرة عند الماندنجو نموذج مصـغر لنظام القرية ، فكل أسرة لها استقلال ذاتى ، لكن هذا الاستقلال لايتعارض مع تقاليد القرية (١) •

**فامغان :** اللقب فا هو الموروث عن العهد الوثنى ، ومغان أو معـنا بمعنى محمد ، عند الماندنجو (٢) •

**فايا :** ( راجع فا ) •

**فرارى :** والجمع فرارية ، وهو أمير الجيش أو القائد فى مالى ، وجرت العادة ، أن يحيط الفرارية بالسلطان فى المواكب العامة (٣) •

**فران كلا :** حاكم اقليم كلا فى مالى، ويعبر السعدى عن حكام كلا ، كذلك باسم سلاطين ، فيقول « سلاطين كل » ، واقليم كلا عند أهل صنغى يسمى كالاسان (٤) •

**فربا :** بمعنى نائب السلطان أو ممثله أو نائبه فى حكم ولاية أو مدينة ، وأصله « ديون » أى عبد ، ويرتقى أحيانا الى « ديون صندكى » أى رئيس العبيد ، وقد يحمل لقب الفربا أحد أعضاء أسرة المانسا

---

(١) Monteil, pp. 19-21

(٢) العبر جـ ٦ ص ٢٠١ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ Monteil, p. 124 راجع الفصل الأول •

(٣) تحفة النظار جـ ٤ ص ٤٠٤ ، ٤١٧ ، راجع الفصل السابع •

(٤) السعدى ص ١٠ Monteil, p. 150

وجرت العادة أن يترك سلطان مالى البـلاد المفتوحه ، تتمتع باستقلالها الذاتى ، حسب تقاليدها القديمة الموروثة ، اذا ثبت ولاؤها، أما اذا خيف خروجها وتمردها، طرد حاكمها الوطنىوعين بدلا منه « الفربا » ليكون مشرفا على « تون تيجـوى » أى مجلس القرية ، لكى يضمن بقـاء القرية على الولاء ، وأحيانا يحل المانسا مجلس القرية ويعهد باختصاصاته الى الفربا .

ومن أمثلة أصحاب هذا اللقب فى دولة مالى : فربا حسـين حاكم يوالاتن ، زمن زيارة ابن بطوطه ، و « فربا مغا » أى فربا محمد وكان ممن صحبوا السلطان موسى فى حجه (١) .

**قاسا** : لقب الملكة الأم أو الزوجة الكبرى عند الماندنجو (٢) .

**قنجا** : لقب نائب السلطان عند الماندنجو (٣) .

**كافو** : مقاطعة أو اقليم أو ولاية عند الماندنجو (٤) .

**كالاسان** : ( راجع فران كلا ) .

**كوكو** : عاصمة امبراطورية صنغى الاسلامية ، ووردت بصورة مختلفة : كوغا أو كاغ ــ كركر ــ جاجو ــ جاو (٥) .

**كولوبالى** : معناها عند البامباره ، من فروع الماندنجو ، الناجون من الغرق أو الهلاك دون استخدام زوارق (٦) .

**كى** : بمعنى حاكم عند الماندنجو ، وقد يلقب به سلطان مالى نفسه ، مثل السلطان موسى الذى لقب باسم « كى مل » والسلطان سـليمان ، « منسا سليمان كى » . ومن معانى هذا المصطلح ملك أو حاكم وطنى خاضع لسلطان مالى (٧) .

---

(١) الفتاش ص ٣٤ ــ ٣٥ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ،
Monteil, pp. 23-24, 27 راجع الفصل السابع .

(٢) تحفة النظار ج ٤ ص ٤١٧ Monteil, p. 137 راجع الفصل الخامس والفصل السابع .

(٣) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٣ .

(٤) راجع دوجو وديانا ما وانظر Monteil, p. 241

(٥) السعدى ص ٧ ، الفتاش ص ٤٥ ، معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩٥ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٥ ، العبر ج ٥ ص ٤٣٤ ، ج ٦ ص ٢٠٠ ، ليو الأفريقى : الكتاب السابع ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٣٩٥ ،
Bovill, p. 101, Cooley, pp. 103-104 ; L. Lugard, pp. 120, 144, 157.

(٦) راجع الخاتمة وانظر : Labouret, p. 241

(٧) السعدى ص ٨ ، تحفة النظار ج ٤ ص ٤٠٧ ، الفتاش ص ٣٧ ، راجع الفصل الأول والفصل الرابع والفصل الخامس Hogben, p. 33

**ما :** أو « مع » بمعنى « سيد » أو « أم » ، وفى لغة الكانم والبرنو تدل كلمة « ما » وجمعها « بو » على معنى الملكية أو التبعية ، فيقال عن الكانميين : « كانمبو » وعن البرنويين : « برنوبو » (١) .

**ماسا :** صيغة أخرى للمانسا بمعنى الملك أو الحاكم ، واشتهرت أكثر عند البامباره (٢) .

**مالنك :** هم أنفسهم الماندنجو ، ومالنك التسمية التى أطلقتها عليهم قبائل الفولانيين ، وتعنى بها : رعايا مالى أو سكان مالى (٣) .

**مالى :** تحريف لكلمة « ماندى » عند قبائل السوننك احدى فروع الماندنجو ومعناها مقر الملك أو العاصمة . وكلمة مالى أطلقتها قبائل الفولانيين للدلالة على بلاد الماندنجو أو المالنك (٤) .

**مامودو :** تحريف لكلمة محمود العربية (٥) .

**الماندنج :** هى مجموعة القبائل التى كونت دولة مالى ، وتنطق بأشكال مختلفة عند مختلف القبائل الافريقية المجاورة (٦) .

**مانسا :** بمعنى السلطان عند الماندنجو ، وهو لقب رئيس القرية المنتخب (٧)

**مع دك :** من معانيها عند الماندنجو « دار السلطان » (٨) .

---

(١) راجع بو فيما سبق ، انظر الماندنجو فيما يلى وراجع :
Monteil, p. 7 ; Carbou, pp. 3-4 ; Labouret, p. 240
امبراطورية البرنو الاسلامية للمؤلف . Labouret, p. 242

(٢) راجع « دياناما » فيما سبق ومانسا فيما يلى وانظر الخاتمة ،
Labouret, p. 242 ; Monteil, p. 145

(٣) راجع الفصل الأول وانظر :
Labouret, p. 240 ; Le Chatelier, p. 75 ; Church, p. 238

(٤) راجع الفصل الأول وانظر : الفتاش ص ٣٧ ، Fage, p. 24 ; Monteil, p. 7
Fyfe, p. I ; Delafosse, p. 19 ; Labouret, p. 239

(٥) Monteil, p. 25

(٦) راجع الفصل الأول وانظر :
Church, p. 238 ; Monteil, pp. 7, 22-30 ; Trimingham, p. 14 ; Binger, II, p. 373 ; Quintin, p. 304 ; Labouret, pp. 239-40.

(٧) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٣ ، الفتاش ص ٨١ ،
Monteil, pp. 22-24 ; Le Chatelier, pp. 75, 91-95

(٨) راجع « دوجو » وانظر Hogben, p. 31

**مغا أو مغان** : بمعنى محمد ، عند الماندنجو (١) .

**مامادو** : تحريف لكلمة محمد العربية .

**موش (٢)** : قبائل مختلطة تقيم جنوبى منحنى النيجر فى منطقة فولتا العليا وهم أهم عناصر المنطقة ، ولهم تاريخ معروف ، يرجع الى القرون الأولى ، وظهرت لهم مملكة كبرى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وظل الموش على الوثنية وقاوموا الاسلام لمدة طويلة ، ثم أسلموا ، واشتهروا بكثرة الغزو والنهب ، ولهم علاقات أغلبها عدائية، مع جميع الدول الاسلامية التى قامت فى السودان الغربى مثل دولتى مالى وصنغى ، ويكون الموش حاليا أغلب سكان جمهورية فولتا العليا .

ويلقب حكام موش أو ملوكها باسم « موغونابا » ولا يزال فى جمهورية فولتا العليا الحديثة عدد كبير من أصحاب النفوذ والثروة ، يرجعون الى سلالة أولئك الحكام القدماء (٣) .

## ــ ب ــ

## الأثر اللغوى العربى والاسلامى
## عند الماندنجو وجيرانهم فى غربى افريقية

### ١ ــ بعض الألفاظ العربية الدينية

**الله** : ياللا أويالف عند الولوف

: ياللا عند الصنغى والفولانيين والبامبارة والديولا والصوصو والخاسونك .

: اللا أو نجالا عند المالنك

---

(١) العبر جـ ٦ ص ٢٠١ ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٩٧ ، Monteil, p. 124 ، راجع « قامغان » فيما سبق .

(٢) التسمية العربية عن السعدى والفتاش ، ويكتب هذا الاسم فى المراجع الأجنبية : Mossi أو Mosi

(٣) للمزيد من التفاصيل عن الموش وتاريخهم راجع : السعدى ص ٧٤ ، الفتاش ص ٧١ ، Trimingham, p. 15 ; Johnston, pp. 178-9, 209, 255-57; Le Chatelier, pp, 120-122 ; Hogben, pp. 29, 53 ; Gouilly, pp. 51-53 ; Delafosse, pp. 6-18 ; Monteil, p. 143 ; Urvoy, p. 28 ; Mélanges Ethnologiques, pp. 21-32 ; Dugue, pp. 486-487 ; Spitz, pp. 65-66.

**استغفر الله :** سافور الهى عند أهل مالى

**الحمد لله :** هاند اللايا فى السنغال

**امام :** اليمام أو اليمامى عند معظم قبائل السودان الأوسط والغربى

**انجيل :** لنديل عند الولوف

**بيت الله :** بيت الله فى السنغال

**توراة :** تافرى عند الولوف

**جامع :** ندياما عند الولوف

**جن :** جن عند الولوف

: دين أو جنن عند البامبارة

: الجن عند الديولا

: جنارو أو جنادى عند الفولانيين

: جندى أو دى عند الصنغى

**جنات :** ( جنات النعيم أو الفردوس )

: أديانا أو ديانا ـ الديانا عند الولوف

**فردوس :** فردوس عند المالنك

**جهنم :** ديانداما عند الديولا

: دياناما عند البامبارة

: دياخاناما عند المالنك

: ياهانيبا عند الماندنجو

: أهاناما عند الصوصو

**حلال :** ألال عند الولوف

**سبحان الله :** سوباهانا ـ سوبونا عند الولوف

**شريعة :** ساريا عند الماندنجو

**شهادة :** سادى عند الولوف

: أسادا عند الديولا

**ابليس** : بلس ـ باليس عند الولوف

**شيطان** : ستان عند البامبارة

: سنتانى عند الصوصو

: سيتان عند الولوف

: سيتانى عند الفولانيين

**العلم** : سليمان عند الديولا

**القاضى** : الكالى ـ الكانى عند الديولا

( ويتضمن معنى رئيس القرية أو رجل الشرطة ) عند الولوف

**قرآن** : الكران عند الولوف

: الكرانا عند الديولا

: الكرانو عند المالنك

**كتاب الله** : الكتابو عند الديولا

**( القرآن )**

**بعض الألفاظ العربية الدينية الأخرى**
**عند قبائل غربى افريقية عامة**

**الآخرة** : الاكيرا

**بالله** : باللاهى

**تسبيح** : تسبيها

**الحرام** : الهرام

**الدنيا** : الدنيا

**الدين** : الدين

**السجادة** : أساديادا

**القبور** : الجبور

**الملائكة** : الملانهيكا

## ٢ ـ فى مجال التعليم

الاصل العربى : قرأ يقرأ وما يشتق منهما

**أ ـ بمعنى يقرأ أو يتعلم أو يستذكر أو تعليم**

**خاران** : عند الصوصو

**كارا وكاران وكران وكارها وكرانجو** : عند الماندنجو والمالنك

**كارانج** : عند الديولا

**كالانج** : عند البامبارة

**ب ـ بمعنى تلميذ أو طالب علم**

**خاراندى** : عند الصوصو

**كارادان وكارامو خادين وكاراندين** : عند المالنك والماندنجو

**كالانجدنج** : عند البامبارة

**جـ ـ بمعنى عالم أو أستاذ أو كاتب أو ناظر مدرسة**

**كاراموهو** : عند الديولا

**كاراموكو** : عند المالنك

**كالاجكيلا وكالانجدنج** : عند البامبارة

**د ـ بمعنى مدرسة أو مكان القراءة أو التعليم**

**خاراباناخى** : عند الصوصو

**كارانعولا وكارابورو** : عند الماندنج والمالنك

**كالانجبورو** : عند البامبارة

**هـ ـ بمعنى محاضرة أو درس**

**خارانس** : عند الصوصو

**كاراتى** : عند الديولا

**كالانج** : عند البامبارة

الاصل العربى : طالع يطالع وما يشتق منهما

**تـالى :**

**تال :** عند البامبارة والمالنك

**تاليبو :** ( بمعنى خبر أو قصة أو حكاية أو يحكى أو يروى )

**تاليبا :** عند البامبارة ( بمعنى راو أو محدث أو قاص )

## ٣ ـ بعض الأدوات الكتابية

**القرطاس :** كرتاس عند المالنك

: كرداسى عند الديولا

**قلم :** خلم وكلم عند المالنك

: كلما عند البامبارة والديولا

**كاغد :** كايت عند الولوف

**( لفظة معربة بمعنى ورقة )**

**اللوح :** ألوا عند الولوف ( ويتضمن معنى المنضدة الصغيرة )

## ٤ ـ بعض المواقيت

**الساعة ( أى الآن ) :** سا عند الولوف

: ساءا عند الصنغى

**الفجر :** فاديا عند الولوف

**الصبح أو الصباح :** سبا عند الولوف

**الظهر :** نديولور عند الولوف

**الخميس :** الاميسا ــ الخمسو عند المالنك

: الخميس عند الواوف والصوصو

: لاميسا والخميسا عند الديولا

الخميسى عند الصنغى

**السبت :** أست عند الولوف

: اسيبيتى عند الصنغى

: سيبيتى وسيبيرى وسيبيلى عند المالنك والماندنج والديولا

**المحرم :** مهرامو ومهرم عند الديولا

**رجب :** رجب ورزب عند الديولا

### ٥ ـ بعض أدوات الحرب

**البند ( العلم ) :** باندارى عند المالنك

**الراية ( العلم ) :** رايا عند الولوف

: ريت عند البامبارة والمالنك

**السرج :** كرج عند الديولا

: كرك عند الماندنجو

**الطبل :** تابلا عند الماندنجو والبامبارة

**القرن :** زارنا عند البامبارة

### ٦ ـ بعض الحيوانات

**البغل :** بركيل ـ فاريل عند الولوف

**الجمل :** جالم عند الولوف

: نجوما عند المالنك

### ٧ ـ بعض النباتات

**التمر :** تامار وتومارو بمعنى البلح أو النخيل عند الماندنجو والمالنك والخاسونك والسوننك والبامبارة

**القرنفل :** كورانبولى عند المالنك

: خورا مبول عند الولوف

**القطن :** وتن عند الولوف

**القمح :** الكما عند الصنغى

**ليمون :** لمورو عند المالنك والديولا والماندنجو

### ٨ ـ موازين ومكاييل

**الدرهم** : درم عند الولوف

**المد** : مد عند الولوف

: مدى ـ مورى ـ مورو عند المالنك

### ٩ ـ ملابس

**الجبة** : جبا ـ ديفا عند المالنك

**الحرير** : هريرا عند المالنك

### ١٠ ـ بعض أسماء الاعلام العربية والاسـلامية

**ابن أو ولد** : ولد

**ابراهيم** : بيراهيما ـ براهيما ـ بوهاريما

**أبو بكر** : بوكار ـ بو بكر ـ باكارى

**الأمين** : لامين

**الحسين** : أوسينو

**أمير** : أمارا

**بشير** : بسيرو

**حسن** : أسن ـ السـان

**حماد** : أمات

**خليل** : كاليلو

**شيخ** : سك ـ سيكو ـ شيهو

**طاهر** : تاهيرو

**عبد الرحمن** : ابدو ـ أبودى

**عبد الله** : عبداللاهى ـ أبدو اللاى

**عثمان** : أنتومان ـ أوسمان ـ أسوما ـ أتومانج

**على** : الى ـ ألو ـ اليون ـ ولى

**عمر** : أومارو

**عيسى** : ابسا

**فاضل :** فاديلو ــ فالياو

**محمد :** مامادو أو « ما » فقط

**محمود :** مامودو

**أم كلثوم :** أومو

**أمينة :** أميناتا

**بنت :** منت

**بنت النبى :** بنتا

**حفصة :** افسا

**حواء :** هوا

**خديجة :** أدجياتا

**زينب :** سينابو ــ تينابا

**عائشة :** أيســاتو

**فاطمة :** فاتيماتو ــ فاتيماتا ــ فاتو

**مريم :** لالا ــ مرياما

**١١ ــ بعض أسماء المدن العربية والاسلامية (١)**

**الطائف :** تايفا فى غينية

: تايف فى السنغال

**طيبة :** تاباتو عند الولوف والفولانيين والماندنجو

**القيروان :** كيروان فى السنغال وغينية

**مصر :** ماسيرا فى غينية

---

(١) هذه أسماء مدن قائمة فعلا فى البلاد المذكورة بجانبها .



## مصادر البحث

### القسم الاول : المراجع العربية


١ ــ **ابن أبى زرع** : ( على بن عبد الله بن أبى زرع الفــاسى ت ١٣٢٦ م )
الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغــرب ( نشره وترجمه تونمبرج Tonemberg )

٢ ــ **ابن الأثير** : ( على بن أحمد بن أبى الكرم ت ٦٣٠ هـ = ١٣٢٨ م )
الكامل فى التاريخ ــ بولاق ١٢٧٤ هـ .

٣ ــ **ابن الخطيب** : ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد الخطيب الملقب بلسان الدين الخطيب ت ٧٦٦ هـ ) الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ــ تونس ١٣٢٧ هـ .

٤ ــ **ابن الفقيه** : (بو بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه)
كتاب البلدان
( نشــــرة دوغـــويه De Jocje ــ ليدن ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م )

٥ ــ **ابن الوردى** : ( زين الدين أبو حفص عمر ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م )
تاريخه : تتمة المختصر فى أخبار البشر
( ترجمة ونشره هيلاندر S. Hylander ــ لندن ١٨٢٣ م )

٦ ــ **ابن اياس** : ( أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م )
١ ــ نشق الأزهار فى عجائب الأقطار
( نشره وترجمه الى الفرنسية لانجلى L. Langles
باريس ١٨٠٧ م )
٢ ــ بدائع الزهور فى وقائع الدهور ــ بولاق ١٣١١ هـ

٧ ـ **ابن بطوطة** : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتى الطنجى ت ١٣٦٩م)
تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاقطار
( نشره وترجمه الى الفرنسية دفريميرى وسانجوينتى
Defrémery et Sanguinetti ـ باريس ١٨٥٣ م )

٨ ـ **ابن حوقل** : ( أبو القاسم النصيبى ت ٩٦٨ م )
كتاب صورة الارض ـ القسم الاول ـ ليدن ١٩٣٨ م

٩ ـ **ابن خرداذبه** : ( أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله )
المسالك والممالك ـ ليدن ١٣٠٩ هـ

١٠ ـ **ابن خلدون** : ( عبد الرحمن ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م )
تاريخه ـ مصر ١٢٨٤ هـ

١١ ـ **ابن دينار** : ( أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبى القاسم )
كتاب المونس فى أخبار أفريقيا وتونس ـ تونس ١٢٨٦ هـ

١٢ ـ **ابن مماتى** : ( القاضى الوزير شرف الدين أبو المكارم ت ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م )
كتاب قوانين الدواوين ( نشر سوريا عطية ـ مصر ١٢٩٩ هـ )

١٣ ـ **ابن صود (١)** :
تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان
( نشره هوداس Houdas ـ باريس ١٩٠١ م )

١٤ ـ **أبو العباس الناصرى** :
الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ـ الدار البيضاء ١٩٥٤ م

١٥ ـ **أبو الفداء** : ( اسماعيل صاحب حماه ت ٧٣٢ هـ = ١٣٣٢ م )
كتاب تقويم البلدان
( نشره وترجمه سولفى Solvet ـ الجزائر ١٨٣٩ م )

١٦ ـ **أحمد بابا التنبكتى** : ( ١٥٥٣ ـ ١٦٢٧ م )
نيل الابتهاج بتطريز الديباج .
( طبع على هامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون ـ القاهرة ١٣٥١ هـ )

---

(١) اسم المؤلف غير معروف والمعروف اسم جده فقط وهو : محمد بن الأمين بن محمد ابن صود . ولذلك أسندته الى لقب الأسرة .

١٧ ـ **أرشيبالد** : ( اويس A. Lewis )
القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط
( ترجمة أحمد عيسى وراجعه شفيق غربال ـ مصر ١٩٦٠ )

١٨ ـ **أرنولد** : ( توماس )
الدعوة الى الاسلام
( ترجمة د . حسن ابراهيم و د . عبد المجيد عابدين و الدكتور النحراوى ـ مصر ١٩٥٧ )

١٩ ـ **الادريسى** : ( أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الادريسى ـ ولد فى سوتا ١١٠٠ م )
كتاب نزهة المشتاق فى ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق ( طبع حجر )
قطعة منه : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ـ ليدن ـ ١٨٦٦ م .

٢٠ ـ **الاصطخرى** : ( أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى ـ توفى فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى )
المسالك والممالك
( تحقيق د . الحينى ومراجعة شفيق غربال ـ مصر ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م )

٢١ ـ **الالورى** : ( آدم عبد الله )
موجز تاريخ نيجريا ـ بيروت ١٩٦٥ م

٢٢ ـ **البشارى** : ( شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البناء الشامى المقدسى )
كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم
( نشره دى غويه ـ ليدن ١٨٧٧ م )

٢٣ ـ **البكرى** : ( أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى ت ١٠٩٤ م )
المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب
( وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ـ نشره راندو Random ـ الجزائر ١٨٥٧ م )

٢٤ ــ **التونسى** : ( الصديق محمد بن السيد بن عمر التونسى )
تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (طبع حجر ١٨٥٠م)

٢٥ ــ **الحميرى** : ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم )
صفة جزيرة الاندلس ( منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الامصار ــ جمعه مؤلفه سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م )
تحقيق ونشر ليفى بروفنسال ــ مصر ١٩٣٧

٢٦ ــ **السعدى** : ( عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدى. ت بعد عام ١٦٥٥ م )
تاريخ السودان ( حققه ونشره هوداس ونبوا ) Houdas and E. Benoist
باريس ١٨٩٨ .

٢٧ ــ **الشنقيطى** :
الوسيط فى تراجم أدباء شنقط

٢٨ ــ **العمرى** : (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٨٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م )
١ ــ التعريف بالمصطلح الشريف ــ مصر ١٣١٢ هـ
٢ ــ مسالك الابصار فى ممالك الامصار
( الجزء الاول تحقيق أحمد زكى باشا ــ مصر ١٣٤٢ هـ/١٩٢٤م - الاجزاء الاخرى لا تزال مخطوطة ) .

٢٩ ــ **الغرناطى** : (أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الاندلسى ت ١١٧٠)
كتاب تحفة الالباب

٣٠ ــ **الفونى** : ( ألفا هاشم محمد أحمد بن أحمد ت ١٣٤٩ هـ نشرة قرار G. Ferrard باريس ١٩٢٥ ) تعريف العشائر والخلاف بشعوب وقبائل الفلان (مصر )

٣١ ــ **الفيروز أبادى** : ( مجد الدين )
القاموس المحيط

٣٢ ــ **القلقشندى** : ( أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م )

٣٣ ــ **المسعودى** : ( أبو الحسن على ت ١٩٥٦ م )
أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان ( مخطوط فى مجلد رقم ٨٧٩ ــ دار الكتب المصرية )

٣٤ ـ **المقرى** : ( أحمد بن محمد ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م )
نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ـ مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م

٣٥ ـ **المقريزى** : ( تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م )

١ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك
( نشر وتحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ـ مصر ابتداء من ١٩٣٦ الى ١٩٦٨ )

٢ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ بولاق ١٢٧٠ هـ

٣ ـ الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك
( نشر الدكتور جمال الدين الشيال ـ مصر ١٩٥٥ م )

٤ ـ الالمام بأخبار من بأرض الحبشة ملوك الاسلام

٣٦ ـ **اليعقوبى** : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الانصارى ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م تاريخه ـ النجف ١٣٥٨ هـ )

٣٧ ـ **باركر** E. Barker :
الحروب الصليبية
( ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى ـ مصر ١٩٦٠ )

٣٨ ـ **بروفنسال** : L. Provencal ( ناشر )
كتاب مفاخر البربر ( مؤلفه مجهول وتاريخ تأليفه ٧١٢ هـ حققه ونشره ليفى بروفنسال ـ الرباط ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م )

٣٩ ـ **جنيد** : ( المعلم جنيد وزير حتكت )
مزار أمير المؤمنين محمد بلو ( ألفه ١٣٧٨ هـ وطبع فى نيجريا ـ وترجمه من اللغة العربية الى لغة حوسى : المعلم خضر بنجى نائب قاضى قضاه كادونا بنيجريا )

٤٠ ـ **حسنين** : ( دكتور محمد حسنين ) :
الاستعمار الفرنسى ـ مصر ١٩٦٢

٤١ ـ **ديشان** (H. Deschamps) :
الديانات فى افريقية السوداء
( ترجمة أحمد صادق ـ مصر ١٩٥٦ م )

٤٢ ـ **زامباور (Zambour) :**
معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى

٤٣ ـ **زكى محمد حسن ( دكتور ) :**

الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ـ مصر ١٩٤٥

٤٤ ـ **شبل : ( فؤاد محمد )**

دراسات فى اقتصاديات القارة الافريقية ـ مصر ١٩٦٣

٤٥ ـ **طرخان ( دكتور ابراهيم على ) :**

١ ـ الاسلام والممالك الاسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى ـ مصر ١٩٥٩

٢ ـ تاكيتوس والشعوب الجرمانية ـ مصر ١٩٥٩

٣ ـ مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ـ مصر ١٩٦٠

٤ ـ غانة فى العصور الوسطى ـ مصر ١٩٦٧

٥ ـ البرتغاليون فى غرب أفريقيا ـ مصر ١٩٦٧

٦ ـ الاسلام واللغة العربية فى السودان الاوسط والغربى ـ مصر ١٩٦٩

٧ ـ امبراطورية غانة الاسلامية ( المكتبة العربية ـ مصر ١٩٧٠ )

٨ ـ قيام امبراطورية مالى الاسلامية ـ مصر ١٩٧٠

٩ ـ امبراطورية البرنو الاسلامية ( فى المطبعة )

١٠ ـ امبراطورية صنغى الاسلامية ( تحت الطبع )

١١ ـ امبراطورية الفولانيين الاسلامية ( تحت الطبع )

١٢ ـ دول الهوسا الاسلامية ( تحت الطبع )

١٣ ـ امبراطورية التكاروه الاسلامية ( تحت الطبع )

٤٦ ـ **كعت ( القاضى الفع محمود كعت ) :**

تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور وتفريق انساب العبيد من الاحرار

( بدأ تاليفـه ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م ) نشره هـوداس ودولافوس ـ باريس ١٩١٣

٤٧ ـ **ليو الافريقى** : (حسن بن محمد الوزان ولد حوالى ١٤٩٣م وتوفى حوالى ١٥٤٠ م )
(تاريخ ووصف افريقية وأشهر ما فيها من عجائب) ـ انظر المراجع الاجنبية رقم ٥٤

٤٨ ـ **محمد عبد الفتاح ابراهيم** : ( عميد أ . ح . )
افريقية من السنغال الى نهر جوبا ـ مصر ١٩٦١

٤٩ ـ **نعيم قداح** :
افريقية الغربية فى ظل الاسلام ـ كوناكرى ١٩٦٠

٥٠ ـ **ياقوت** : ( أبو عبد الله ياقوت الحموى ت ١٢٢٩ م )
معجم البلدان ـ مصر ١٩٠٦



## القسم الثانى :

## المراجع الاجنبية


1. Albert de Cicourt : Histoire des Mores Mudejares et des Moriques ou des Arabes D'Espagne. Paris, 1864
2. Arnet, The Rise of Sokoto Fulani (1929).
3. Barker, E., The Crusades, Lond., 1925

   ( انظر رقم ٣٧ فى المراجع العربية )

4. Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa (1849-1855) London, 1875
5. Baulin : J., The Arab Role in Africa. London, 1962
6. Baumann, H. et Westermann, D. : Les Peuples et les Civilisations de l'Afrique. Paris, 1948
7. Bernard, A.: Afrique Septentrionale et Occidentale (Géogr. Univ.) T. XI. Paris, 1939
8. Blyden, E.W. : Christianity, Islam & The Negro Race. London, 1881
9. Bourret, F.M. : Ghana, The Road to Independence. London, 1960
10. Bovill, E.W. : The Golden Trade of the Moors. London, 1961
11. Boyd, A. & Rensburg, p. : An Atlas of African Affairs. London, 1962

12. Bradury, R.E. : The Benin Kingdom and the Edo-speaking Peoples of South Western Nigeria, London, 1957.

13. Brevié, J. : Islamisme Contre Naturisme au Soudān Français. Paris, 1913

14. Brooke, Z.N. : A History of Europe (911-1198). London, 1938

15. Brown, L.A. : The Story of Maps. London, 1951

16. Burns, A.S. : History of Nigeria London, 1955

17. Carbou, H. : La Région du Tchad et du Quadai. Paris, 1912

18. Cara de Vaux, B. : Timbuktu (Ency. of Islam, Vol. IV).

19. Church, R.J.H. : West Africa, A Study of the Environment and Man's use of it. London, 1961

20. Clark, F. and others : The New West Africa, Problems of Independencies. London, 1953

21. Cooley, W.D. : The Negroland of the Arabs (An Enquiry into the Early History and Geography of Central Africa). London, 1841

22. Cosneau, F. : Les Grands traités de la Guerre de Cent Ans (Collections des textes pour servir à l'étude et à l'enseignement de lHistoire). Paris, 1889

23. Davidson, B. : Old Africa Rediscovered. London, 1959

24. Delafosse, M. : 1. — Traditions Historiques et Légendaires du Soudan Occidental. (Traduites d'un Manuscrit Arab), Paris, 1913.
2 — Sonhay (Ency. of Islam) Vol. IV.
3 — Soso (Ency. of Islam) Vol. IV.
4 — Takrûr (Ency. of Islam) Vol. IV.

25. De La Roncière, Ch. : La Découverte de l'Afrique au Moyen Age. Le Caire, 1925

26. Delmond, p. : Dans La Bouche du Niger (Mélanges Ethnologiques, Dakar, 1953).

27. De Pedrals, D.P. : Manuel Scientifique de l'Afrique Noire. Paris, 1949

28. Dike, R. : Trade and Politics in the Niger Delta (1820-1885). Oxf., 1956

29. Dozy, R., Les Musulmans de l'Espagne, Leiden, 1861.

30. Dublié, P. : La Vie Materielle des Mauves (Mélanges Ethnologiques, Pakar, 1953).

31. Dubois, F. : Notre Beau Niger. Paris, 1911

32. Fage, J. : 1 — An Atlas of African History, Cambr,. 1958.
2 — An Introduction to the History of West Africa. Cambr. 1959

33. Fyfe, C. : A History of Siera Leone. Oxf., 1962

34. Gautier, E.F., Le Passé de l'Afrique du Nord, Les siècles Obscures. Paris, 1937

35. Gorer, G. : Africa Dances (A Book About West African Negroes). London, 1949

36. Gouilly, A. : L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française. Paris, 1952

37. Gravier, G. : Recherches sur les Navigations Européennes au Moyen Age aux Côtes Occidentales d'Afrique, en dehors des Navigations Portugeses du XVIe siècle. Paris, 1878

38. Green, V.H.M. : Renaissance and Reformation. London, 1952

39. Gunther, J. : Inside Africa. N. York, 1955

40. Hobbey, L.F. : 1 — Early Explorers to A.D. 1500. London, 1961
2 — Opening Africa. London, 1962

41. Hodgkin, T. : Islam and National Movement in West Africa
( من بحوث مؤتمر الدراسات الأفريقية ـ لندن ١٩٦١ )

42. Hogben, S.J. : The Muhammadan Emirates of Nigeria. London, 1930

43. Hollis, A.C. : The Mandi, Their Language and Folklore. Oxf., 1909

44. Johnston, H.H. : A History of the Colonization of Africa by Allien Races. Cambr., 1913

45. Kitchen, H. (Edit.) : The Educated African. London, 1962

46. Kup, P. : A History of Siera Leone (1400-1781). Cambr., 1961

47. Labouret, H. : 1 — Mali (Ency. of Islam), Vol. III.
2 — Mandingo (Ency. of Islam), Vol. III.

48. Lady Lugard, F.L.S. : A Tropical Dependency. (An outline of the Ancient History of the Western Soudan with an account of Modern Settlement). London, 1905

49. Laird, M. & Oldfield, R.A.K. : Narartive of an Expedition into the Interior of Africa, by River Niger in 1832, 1833 and 1834. London, 1873

50. La Monte, J.L. : Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem. Cambr., 1932

51. Lane-Poole, St., The Moors in Spain. London, 1887

52. Lapie, P.O. : My Travels Through Tchad. London, 1943

53. Largeau, V. : Le Sahara Algérienne. Paris, 1881

54. Le Chatelier, A. : L'Islam dans l'Afrique Occidentale. Paris, 1899

55. Leo Africanus (J. Leo A More) : A Geographical History of Africa (Translated and Collected by : John Pery). Londini, 1600

( راجع المصادر العربية رقم ٤٧ )

56. Lodge, R. : The close of the Middle Ages. London, 1924

57. Luce, S. : La France Pendant la Guerre d eCent Ans. Paris, 1892-1893

58. Marty, P. : 1 — Etudes sur l'Islam et les Tribus de Soudan. Paris, 1920

2 — Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures. Paris, 1921

59. Meek C.K. : The Northern Tribes of Nigeria, London, 1925.

60. Mélanges éthnologiques (Mémoires de l'Institut Français d'Afrique Noire). Dakar, 1953

61. Memorandum on the Emigration and Distribution of West Africans i nthe Sudan. Khartoum, 1913

62. Millet, R. : Les Almohades. (Histoire d'une Dynastie Berbère). Paris, 1923

63. Monteil, Ch. : Les Empires du Mali. Paris, 1930

64. Morel, E.D. : Affairs of West Africa. London, 1902

65. Murdock, G.P. : Africa, Its Peoples and Cultural History. N. York, 1959

66. Niven, C.R. : The Land and Peoples of West Africa. London,, 1958

67. Oman, C. : History of the Arts of War in the Middle Ages. London, 1924

68. Okafor, A. : History of West Africa (The New West Africa). London, 1953

69. Orton, P. : A History of Europe (1198-1378) London, 1951

70. Palmer, H.R. : 1 — Sudanese Memoirs, Lagos, 1928.
2. — The Bornu Sahara and Sudan. London, 1936

71. Pedler, F.J. : West Africa. Straid. Eng., 1959

72. Perroy, E. : La Guerre de Cent Ans. Paris, 1946

73. Pirenne, H. : 1 — A History of Europe. London, 1936

2 — Histoire de Belgique, Brussels, 1922

74. Reeve, H.F. : The Gambia, Its History, Ancient, Medieval and Modern. London, 1912

75. Reindore, Rev. C.C. : History of the Gold Coast and Asante. Basel, 1892

76. Richard, J. : Le Royaume Latin de Jerusalem. Paris 1953

77. Robertson, G.A. : Notes on Africa. Particularly, those parts between Cape Verde and the River Congo). London, 1819

78. Roland, O, and Fage, J.D. : A Short History of Africa. London, 1962

صدرت ترجمة عربية لهذا الكتاب تحت عنوان «موجز تاريخ أفريقيا للدكتورة دولت صادق ومراجعة الدكتور محمد سيد غلاب

79. Roland, O. : 1 — The Dawn of African History. London, 1960
(Edit.) 2 — The Middle Ages of African History London, 1967

80. Rouch, J. : 1 — Les Songhay. Paris, 1954
2 — La Religion et la Magie Songhay. P aris, 1956

81. Runciman, S. : A History of the Crusades. Cambr., 1954

ترجمة المرحوم الدكتور السيد الباز العريني

82. Sharaf, T. : A Short History of Geographical Discovery. Alex., 1963

83. Shinnie, M. : Ancient African Kingdoms. Lond., 1965

84. Spitz, G. : L'Ouest African Français. Paris, 1947

85. Stamp, D.L. : Africa, A Study in Tropical Development. London, 1952

86. Talbot, P.A. : Peoples of Southern Nigeria. London, 1936

87. Temple, O. : Notes on the Tribes, Provences, Emirates and States of the Northern Provence of Nigeria. Lagos, 1922

88. The Nigeria Handbook. London, 1956

89. Thompson, V. and Aldoff, R. : French West Africa. London, 1958

90. Tooley, R.V. : Maps and Map-Makers. London, 1949

91. Trimingham, J.S. : Islam in West Africa. Oxf., 1959

92. Urvoy, Y. : Petit Atlas Ethno-Demographique du Soudan (Entre Sénégal et Tchad). Paris, 1942

93. Vandeleur, S. : Campaigning on the Upper Nile and Niger. London, 1899

94. Ward, W.E.F. : A History of he Gold Coast. London, 1948

95. Wiedner, D.L. : A History of Africa, South of the Sahara. N. York, 1962

96. Yver, G. : 1 — Ghana (Ency. of Islam) Vol. II.
2. — Hausas (Ency. of Islam) Vol. II.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٣/٣٨٢٦